

١
سيرة محمد

من

الشاة إلى اليقين

الدكتور فاضل صالح السامرائي

استاذ بكلية الآداب
جامعة بغداد

مكتبة البشار
بغداد

مكتبة القدس
بغداد

سيرة محمد

من

الشَّاعِرِ إِلَى الْيَقِينِ

الدكتور فاضل صالح السامرائي

أستاذ بكلية الآداب
جامعة بغداد

مكتبة القادسيين
بغداد



www.aljawadain.org

الفهرس

٥	مقدمة الكتاب
١١	تقديم للمدكتور عبد الكريم زيدان
٢٣	بين الالحاد والايان
٣٦	من خلق الله
٣٩	النبوة
٤٦	محمد والوحي
٧٠	القرآن كتاب الله
٧١	الأدلة القرآنية
٩٩	الاخبار بالغيوب
١٤٩	الأدلة الحديثية - مقدمة
١٥٢	تدوين الحديث
١٦٤	أدلة الحديث
١٩٩	جولة في الكتب القديمة
٢٠٦	محرّف التوراة والانجيل
٢٤٦	بشارات الكتب السماوية

- عاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة ط١٣٨١هـ - ١٩٦١م
- محمد في التوراة والانجيل والقرآن لإبراهيم خليل أحد (سابقاً القيس إبراهيم خليل فيلبس) نشر مكتبة الوعي العربي
- مختصر التذكرة للإمام محمد بن أحمد القرطبي (اختصرها الإمام عبد الرهاب الشعرائي) المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٦هـ
- مصطلح الحديث تأليف العلامة الشيخ عبد الغني محمود ط١٣٣١هـ - ١٩١٣م مطبعة الفتوح الأدبية بمصر
- مطلع النور لعباس محمود العقاد كتاب الشهر ديسمبر ١٩٦٨ م
- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين لمصطفى صبري شيخ الإسلام - طبع بدار إحياء الكتب العربية ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م
- هداية الحيارى من اليهود والنصارى للإمام ابن قيم الجوزية طبع بهامش الفارق بين المخلوق والخالق
- الوحي الحمدي لمحمد رشيد رضا ط١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى لجبال الدين أبي المحاسن عبد الله بن السيد الشريف السهمودي - مطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣٢٦هـ.

ملفوفة من بشارات اهل الكتاب

البشارة الاولى	٢٥٠
البشارة الثانية	٢٥٢
البشارة الثالثة	٢٥٧
البشارة الرابعة	٢٦٠
البشارة الخامسة	٢٦٦
البشارة السادسة	٢٦٣
البشارة السابعة	٢٦٤
البشارة الثامنة	٢٦٧
البشارة التاسعة	٢٦٩
البشارة العاشرة	٢٧٠
البشارة الحادية عشرة	٢٧٣
البشارة الثانية عشرة	٢٧٥
البشارة الثالثة عشرة	٢٧٦
البشارة الرابعة عشرة	٢٧٨
البشارة الخامسة عشرة	٢٨٠
البشارة السادسة عشرة	٢٨٣
البشارة السابعة عشرة	٢٨٦
البشارة الثامنة عشرة	٢٨٥
البشارة التاسعة عشرة	٢٩٠
البشارة العشرون	٢٩٤
معنى المكتوب	٢٩٥
البشارة الحادية والعشرون	٢٩٧
البشارة الثانية والعشرون	٣٠٠

البشارة الثالثة والعشرون

بشارات من انجيل برنابا	٣٠٢
تجاسة البحث	٣٠٤
كلمة الخيرة	٣٠٨
مراجع البحث	٣٠٩
المفهرس	٣١١
	٣١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده وصلى الله على سيدنا محمد إمام الداعين
وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه وبعد :

فإن موضوع هذا الكتاب يخص كل فرد من عقلاء خلق الله بلا استثناء ، أقول
موضوع هذا الكتاب ولا أقول هذا الكتاب ، وذلك أنه يبحث في موضوع نبوة محمد
ﷺ الذي ادعى أن الله أرسله إلى الناس كافة يبلغهم منهاج ربهم وأنه خاتم
الأنبياء والمرسلين وأن شرعه ناسخ لما مضى من الشرائع فمن أطاعه رضي الله عنه
وجعله في سعادة دائمة وأدخله الجنة ومن عصاه كان في شقاء دائم وأدخله ناراً وقودها
الناس والحجارة .

وهذا موضوع خطير يخص كل فرد ويعنيه وجدير بكل فرد أن يتحقق من صدق
هذا الادعاء ويتبينه ويؤليه من الاهتمام أبلغه ومن البحث أصدق حتى يقع على حقيقة
الأمر .

وعليه أن يترك وهو في سبيل البحث والتحقيق كل نوع من أنواع الهوى
والعصبية فإن ذلك أقرب أن يوصله إلى الحكم السليم .

ولماذا الهوى هنا ؟ ولمصلحة من يتعصب ؟

قد تكون في الهوى والعصبية مصلحة في غير هذا الموضوع أما في هذا الموضوع
فالمصلحة الحقيقية لكل فرد أن يترك الهوى ويبحث إلى أن يقف على بينة الأمر ، ثم
ينطلق من هناك .

فإنه ينبغي على هذا الموضوع سلباً أو إيجاباً تصحيح اعتقاد وتصحيح سلوك لأن المسألة مسألة مصير ، مصير كل فرد بعينه .

وبصيح بل يجب أن يكون هذا الموضوع الشغل الشاغل للفرد يبحث ويسأل ويستعين ويستنجد ويستغيث حتى يقف على جلية الأمر .

وهذا موضوع طالما شغلني وأنا في أول الشباب ومقتبل العمر ، وقد كان قبل هذه المسألة مسألة (الإيمان بالله) .

فإن الله سبحانه وهب لي عقلاً متشككاً أبلغ درجات الشك وقد كانت مسألة الإيمان بالله تبرحني وكان الهمّ يسيطر على نفسي وقلبي في الليل والنهار في النوم واليقظة ولا أبالغ إذا ما قلت إن هذه المسألة كانت تقطع عليّ النوم . وكثيراً ما كنت وأنا أسير في الطريق لا التفّت إلى من يمر بي أو يسلم عليّ وكثيراً ما يمسك بي صديق فيقول : أين أنت يا فلان ؟ فأستيقظ وأنا ساثر وقد كنت غارقاً في تفكير عميق .

وكنت أظن أنه ليس على وجه الأرض فرد مؤمن بل كلهم أناس يخفون شكوكهم وكنت أرى أن الناس كلهم ملحدون ولكن منهم من يجهر بإلحاده ومنهم من يبرقه .

وكنت أظن أنه ليس ثمة شخص في الدنيا يتمكن من إقناعي بوجود الله . وكنت مستعداً أن أهب كل عزيز لمن يقيم لي الدليل على وجوده .

فإن هذه المسألة أخطر مسألة في الوجود في اعتقادي إذ كان بتنازعي أمران : اللذة والحرام .

أنتهز الفرصة وأهب لذات الحياة وأمتنع بها ما استطعت كيف أشاء أم أنصبر وأسير في طريق الحرام فلفل هناك إلهاً يدين الناس ويحاسبهم على أفعالهم ؟

في أي درب أسير ؟ أي طريق اللذة أم في طريق الحرام ؟

وكثيراً ما كنت مع نفسي في حوار طويل وأخذ ورد ، في أي درب أسير ، أسير في طريق اللذات والشهوات فإنها فرصة لمن تعود أم أنصبر وأحرم نفسي ؟

وهل يصح ترك هذه اللذات لأمر محتمل غير محقق الوقوع ؟!

ثم لا يلبث أن يصيح بي هاتف آخر : ويليك أصبر فلعلك نحاسب عما ستفعل . فأقف .

وأظن أن هذه الحال هي حال أكثر شبابنا اليوم .

بنيت في هذا الهمّ المقعد والخيرة القاتلة مدة غير قليلة ثم قررت ، قررت أن أبحث حتى أصل إلى نتيجة مهما كلف هذا الأمر من وقت وتضحية . وعزمت عزماً أكيداً على السير في هذا الدرب مهما طال حتى أصل إلى شيء : إيمان أو إلحاد .

وبدأت في البحث والتحصيل ، ولا أكتم الفاريء أنني كنت أقرأ الكتب الضخمة فلا أرجع منها بشيء ولا ألتفع بكلمة ثم أتركها لأقرأ غيرها فما كانت تبلى الظمأ ولا أرجع من حبرني إلا إلى حيرة أشد . واستمررت وأنا أعازم على السير لا أكل ولا أفر حتى فتح الله عليّ بالإيمان ومنّ باليغين لما علم من صدق عزمي على المضي وشدة رغبتي إلى الوصول .

وما زلت والله أذكر (يوم الإيمان) فوالله ما وجدت ساعة في حياتي أحلى من ساعة الإيمان ولا يوماً أضوأ ولا أزهر من يوم الإيمان .

الوجود حولي كله تغير ؛ الطير والشجر ، والنهر والحجر ، والكوكب والشمس والقمر . أحسست تجارباً عميقاً وصله وثيقة بيني وبين هذا الوجود ، لم كنت منقطعاً عن ركب الوجود ؟

نفسى اليوم غيرها بالأمس ، أحسست كأنني ولدت ولادة جديدة ، كأنني جئت إلى هذا الوجود من جديد .

أضاءت جوانب النفس وأشرقت حنايا الفؤاد وامتألت نفسي بالنور ، أحسست هذا النور حتى كدت أراه . ولست الظلمة هاربة . القبت عني الحمل الثقيل واستراح القلب وسكنت النفس وهذا الضمير وشعرت بالأمن والاستقرار . ونفست الصعداء ثم تنفست الصعداء .

رباه ! ما أحلى الإيمان ! ما أعذب اليقين ! ما أحلى عيش المؤمن وما أنكد عيش الملحد الكافر !!!

رحمك يا رب . . . اللهم لا تسلبني نعمة الإيمان ولا تخلع عني رداء اليقين ومنعتني به إلى يوم الفاك .

وكنيت أرى أن عليّ أن أحافظ على هذا الملقب الشمين وأحصنه وأحميه من الضياع فكنت أرى صنع الله متجلياً في كل شيء في الزهرة الجميلة والعطر الفواح وفي الماء الجاري والكوكب اللائح والبدر المنير . رأيته في كل شيء وما كنت أراه في شيء . وكنت أعتق كما هتف الذي رأى صنع الله في الزهرة وذلك أن أحد علماء الأحياء بينما كان في مختبره هتف صائحاً : رأيت الله ! فاجتمع إليه تلاميذه وسألوه عن الأمر فقال : لا تراعوا فقد أرايتي المجهر في هذه الزهرة من دقة الصنع وبراعة الوضع ما حيرت عقلي وأخذ يلبي وأثبت لي أن هذا لا يمكن أن يحدث نتيجة فواعل طبيعية لا تدرك ما تصنع .

رأيت يد القدرة الخفية تمتد إلى كل شيء تحوطه بالعناية والرعاية .

ومرت الأيام ثم يرزت مشكلة أخرى أخف حملاً من صاحبها إلا أنها كانت تأخذ مني مبلغاً كبيراً من الجهد والتذكير أيضاً وتبدأ صدري بدخان من الشك والارتباب .

هذه المشكلة هي موضوع هذا الكتاب : هل محمد نبي أرسله الله حقاً ؟ هل الإسلام وحده هو الدين المرضي عند الله ؟ لماذا لا تكون اليهودية أو النصرانية أو غيرها ؟

هذه المشكلة أخذت مني ماخذاً غير قليل ، وكنت أعزف عن الاستدلال بالقرآن فلما مني أن ليس فيه دليل .

وقلت لا بد من السير في هذا الطريق أيضاً فإن الله كما رحمني في الأولى سيأخذ بيدي في الثانية ولن يضيعني واستعنت الله وطلبت منه الهداية والتوفيق .

وكنيت أريد الدليل العقلي على تبوة محمد لا الدليل القرآني فقد كنت أرى أن

القرآن دليل ادّعائي لا عقلي ، ثم وجدت وأنا سائر في هذا الطريق أن الدليل العقلي الذي أتشدده هو في القرآن وأن أدلة القرآن عقلية لا إدعائية تغنع طالب الحججة وصاحب البرهان .

ثم قرأت التوراة والإنجيل أكثر من مرة موازناً بينها وبين القرآن فوجدت القرآن أصفى اعتقاداً وأنأى عن التشبيه والتمثيل وعمياً لا يليق بالله وبرسله ، وجدت أن كلاً من التوراة والإنجيل لا يعدو أن يكون كتاب سيرة اختلط فيه الحق والباطل وامتدت إليه يد التحريف . كما ستري . وهذه الناحية برزت منذ القراءة الأولى ثم أعدت النظر في قراءتي حتى استقرت نفسي والحمد لله واطمأن القلب إلى سلامة ما نحن عليه .

وكنيت أرى لزماً عليّ أن أنقل هذه التجربة إلى الآخرين إذ لا شك أن فيهم من عانى مثل ما عانيت فأضع في طريقه مصباحاً أو اختصر عليه الطريق ، فأنتفع وانتفع . فكتبت (نداء الروح) - باكورة اتناجسي - في الإيمان بالله واليوم الآخر وأجلت موضوع هذا البحث إلى الآن ولعل في تأجيله خيراً .

هذا هو السبب الأول في اختيار هذا الموضوع .

والسبب الثاني لاختيار هذا البحث - وهو سبب مهم - أن هذا الموضوع موضوع رئيس يبنني عليه تصحيح اعتقاد وتصحيح سلوك - كما قلت - .

فإذا أمنا بصحة هذه القضية قلنا بكل ما يترتب عليها من أمور جزئية ورفض كل ما يخالف هذا الاعتقاد جملة وتفصيلاً من دون تكليف أنفسنا في النظر في الجزئيات الكثيرة التي لا تكاد تنتهي .

وهذه مسألة كبيرة وبخاصة في هذا العصر الذي تعددت فيه الفلسفات وتشعبت فيه الميادى والآراء . فإن مناقشة كل جزئية ويبحث كل فكرة أمر يطول ويطول فالأولى الرجوع إلى مناقشة الأساس الذي تقوم عليه هذه الجزئيات فإما أن يصح فيصح ما يتبني عليه أو ينهار قينهار ما بتي عليه . وبذلك تختصر الطريق والجهود ونستفيد من الوقت .

وهذا ما هدفنا إليه ها هنا أيضاً فإنه إذا صححت نبوة محمد ﷺ بالأدلة العقلية
صح ما ينبني على هذا الاعتقاد جملة وتفصيلاً من إيمان بأن الإسلام خير الأديان وخير
المبادئ وأمثل الطرق وأنه لا نجاة إلا به وإن كل خطوة في غير هذا الطريق ضياع
وضلال .

وبذلك تتم الفائدة المتوخاة من أقصر سبيل وأصح سبيل أيضاً .

وهذا هو السبب الثاني الرئيس للكتابة في هذا الموضوع .

وهما دافعان رئيسان كما ترى .

وأقول قبل إنهاء المقدمة أن القارئ قد يجد تعبيرات لا يرتاح إليها مثل قولنا
(أعلن محمد في القرآن) أو (ادعى محمد) وما شابه ذلك وهذا مجازاة للخصم وهو
نحو قوله تعالى : « قل لا تسألون عما أجرمتنا ولا نسأل عما تعملون » فعبّر عن نفسه
بالإجرام ، وقوله : « وآثأ أولياكم لعل يهتدى أو في ضلال مبين » ، فأرجو ألا يضيق
به القارئ ذرعاً .

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبنا على دينه وأن لا يرزأنا في ديننا وإيماننا

فكل خطب له أمر يهونه الا المصيبة في الأخلاق والدين

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

الجمعة ١٥ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ

٦ آب ١٩٧١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

للاستاذ الفاضل الدكتور عبد الكريم زيدان

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

فإن الكتابة ونحوها من الخطابة والمحاضرة إنما تحسن إذا كان من ورائها مطلب
خير مقصود يريد صاحبها الوصول إليه ، وبدون ذلك تكون الكتابة وأخوانها نوعاً
من العبث أو الترف العقلي المذموم والهاء الناس بما لا ينفع ولا يفيد . . . وخير
المطالب الخيرة على الإطلاق تعريف الناس بربهم وتوثيق صلتهم به ، وشحن
نفوسهم بمعاني الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما ، وهداية
الخيارى منهم ورد الشاردين إلى طريق الله المستقيم ، ونجلية معاني الإسلام لهم ،
وإزهاق الباطل المقذوف حول عقيدة الإسلام ونبى الإسلام .

وهذا الكتاب الذي أقدم له هو من هذا النمط العالى الرفيع الذي يهدف إلى خير
المطالب الخيرة التي أشرت إليها ، وهو من أحسن وأجود ما قرأت في موضوعه وهو
إثبات نبوة محمد ﷺ وما يتعلق بهذا الموضوع الذي هو من ركائز الإيمان وعقيدة
الإسلام كما هو معلوم .

والدكتور فاضل صالح ، أسعده الله ، جعل عنوان الكتاب : (نبوة محمد من
الشك إلى اليقين) ، مما يوحي إلى القارئ ويتبادر إلى ذهنه أن المؤلف شك وارتاب
في نبوة محمد ﷺ ثم عاد إليه اليقين . . . ويؤيد هذا المتبادر من العنوان ما ذكره
المؤلف في مقدمته وبينه عما اعتراه من شك وارتباب . . . ولكن هذا المتبادر من
العنوان وما يفهم من مقدمة الكتاب ، ليس التعبير الدقيق لما اعتري نفس الكاتب

فلا اعتقد أن الكاتب أصابه شك أزاح إيمانه بنبوة محمد ﷺ وإنما أصابه شيء من وساوس الشيطان وإلقاءاته وحرشاته المعهودة بعباد الله المؤمنين .

ولا يقال هذا مني ظن محض ورجم بالغيب واحتمال بعيد وكلام غير صحيح . لأن كل إنسان أعرف بنفسه من غيره .

والكاتب يحدث عن نفسه ويخبر عما وقع له وهو صادق فيما يخبر عنه ويقول ، ويقر على نفسه ، والإقرار حجة على المقر كما يقول الفقهاء . . . وأقول رداً على هذا القول المحتمل أن يقال : أن الإنسان لا يكون دائماً أعرف بأحوال نفسه من غيره فقد لا يعرف ما في نفسه أو ما في بدنه من مرض .

وإذا أحس به فقد لا يعرف نوعه، وإذا عرف نوعه فقد لا يعرف خطورته ولكن يعرف ذلك غيره من أطباء الأبدان والأرواح ، وإذا كان هذا مسلماً به فقد يخبر الإنسان عما في نفسه ولا يكون إخباره دقيقاً ولا مطابقاً لما هو الواقع فعلاً في نفسه ، وعلى هذا الأساس قلت ما قلته عن الكاتب وقياساً على ما وقع لي في مرحلة من مراحل عمري الفائتة .

وبين ذلك أن الشيطان لا شأن له بالقلوب الميتة أو المظلمة المغلفة العمياء ، فقد انتهى منها ، وإنما همه القلوب المؤمنة فهي التي ينبغي ويحوم حولها ويسعى لايجاد ثغرة فيها لاقتحامها لاطفاء نورها أو إزعاج أهلها بما ينشئه فيها من دخان أسود أو بما يلقى فيها من زخرف القول الباطل .

ومثل الشيطان في ذلك مثل اللص اللثيم الخاقد على ذوي النعمة فهو لا يحوم حول البيوت الخربة المهجورة فليس فيها ما يغريه على دخولها وإنما يحوم حول البيوت المعمورة المملوءة بما يغريه على إقتحامها وسرقة ما فيها أو على الأقل إزعاج أهلها بجلبته وضوضائه وإلقاء الحجارة عليهم شفاءً لما في صدره من غيظ مكبوت وحقد دفين يدل على ما قلناه ما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : أنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال قد وجدتموه ؟

قالوا : نعم . قال ذلك صريح الإيمان .

وفي الحديث الذي رواه الإمامان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟

وجه الدلالة ههنا للحديثين الشريفين أن الشيطان يلقي الخواطر السيئة والوساوس في قلب المؤمن ليكثر صفو إيمانه بالله ، ومن المعلوم أن وساوسه لا تقف عند هذا النوع وإنما تشمل كل ما يناقض العقيدة الإسلامية وأصولها مثل الإيمان بنبوة محمد ﷺ واليوم الآخر ونحو ذلك .

وهذا الإلقاء الشيطاني يلقى المؤمن ويزعجه ويهيججه كما تزعجه وتهيججه الجرائيم تدخل جسمه ، ويستعظم المؤمن هذه الإلقاءات الشيطانية فلا يتكلم بها وإنما يسعى إلى دفعها والتخلص منها كما يسعى من أصابه مرض إلى الخلاص منه . وهذا كله من علامات حياة القلب وشدة حساسيته ضد كل دخيل طاريء عليه يناقض إيمانه . وهذا ما حصل للمؤلف ، فقد استعظم ما أحس به وساء بشكاً وهو في الحقيقة نفث شيطاني ظل خارج قلبه لم يقوَ على إقتحامه وإن ظن هو أنه اقتحمه . كالغبار يعلو في السماء فيغطي وجه القمر حسب نظر الناظر مع أنه بعيد بعيد عن القمر . ولهذا لم يتكلم الكاتب بما أحس به وإنما راح يسعى صامتاً بجمع الأدلة والبراهين لقمع هذا اللثم الشيطاني وإزهاقه فكان هذا الكتاب .

ولا يقال هنا أو يظن أن ما حصل للكاتب يحصل حتماً لكل مؤمن ، فليس في كلامنا ما يدل على هذا المظن ولا نعتقد هذا ، وإنما الذي قصدناه وأردنا بيانه أن الشيطان من شأنه وعاداته الإغارة على قلوب المؤمنين ما وجد إلى ذلك سبيلاً وهذا لا يعني أنه لا يسلم منه مؤمن أو أن غاراته كلها تكون من غطواحد . . . ومثله في ذلك مثل اللص الحقود اللثيم من شأنه وعاداته إقتحام البيوت العامرة ولكن لا يعني هذا أن كل بيت عامر لا بد أن يقتحمه هذا اللص ولا يسلم منه ، وإنما يعني أن كل بيت عامر معرض لاعتداء هذا اللص .

والنبوة مشتقة من الإنباء ، والنبي على وزن فاعل ، وهو إما أن يأتي بمعنى فاعل فيكون المقصود بالنبي المنبئ . وإما أن يأتي بمعنى مفعول فيكون المقصود بالنبي

المتنبأ . والحقيقة أن هذين المعتبرين متلازمان في إطلاقنا هنا كلمة : النبي لأن النبي هو الذي ينبيء الناس بما أنبأه الله به ، وهو متنبأ بما أنبأه الله به وهذا التلازم بين المعتبرين ظاهر في الرسول . لأن كل رسول هو نبي وليس كل نبي رسولاً والرسول هو الذي يكلف بتبليغ ما أنبأه الله به للناس أما النبي غير الرسول فهو الذي لم يكلف بتبليغ ما أنبأه الله به وفي هذه الحالة أي بالنسبة للنبي غير الرسول يمكن أن يقال أن النبي جاء على وزن فعيل بمعنى المفعول فيكون المقصود به : المتنبأ .

ولفظ الأنبياء وإن كان يعني الإعلام والأخبار ولكنه في عامة موارد في القرآن الكريم يراد به الإخبار عن الأمور الخائبة التي يختص بمعرفتها من يخبر بها دون الإخبار بالأمور المشاهدة التي يشترك في معرفتها مع المخبر غيره من الناس . فمن هذه الاستعمالات القرآنية قوله تعالى حكاية عن قول عيسى عليه السلام « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم » .

وقال تعالى عن رسوله محمد ﷺ « فلما نبأها به ، قالت من أنبأك هذا ، قال نبأني العليم الخبير » .

وقال تعالى عن يوم القيامة : « عم يتساءلون عن النبأ العظيم » .

وقال تعالى ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

والإيمان بالنبوات يقوم على الإيمان بالله تعالى ويتضرع منه ، فلا يتصور إيمان بالنبوات مع جحد لوجود الله تعالى . ومن هنا كان لا بد من الكلام ولو قليلاً عن الإيمان بالله وهذا ما فعله صاحب الكتاب فذكر بعض الأدلة على الإيمان بالله وأحال القارئ إلى كتابه « نداء الروح » للوقوف على المزيد من الأدلة والبراهين على وجود الله تعالى وضرورة الإيمان به . والحقيقة أن مسألة الإيمان بوجود الله هي أكبر وأظهر البديهيات على الإطلاق وتساوي في ظهورها وبدهيتها قولنا : « واحد زائد واحد يساوي اثنين » وما من شيء على الإطلاق عليه من الأدلة والبراهين المثبتة لوجوده مثل وجود الله تعالى . فكل شيء بلا استثناء من ملموس ومرئي ومسموع ، وبكلمة أشمل ، كل موجود في الأرض هنا أو في السماء وأجرامها هناك دليل قاطع وبرهان ساطع على وجود الله تعالى . وكل تقدم علمي يظفر به الجنس البشري يقدم لنا

مقادير هائلة من الأدلة والبراهين على وجود الله تعالى كما حصل في مجال الذرة والصعود إلى القمر . ولو أردنا إحصاء هذه الأدلة والبراهين على وجود الله سواء في ما يختص بمعرفته العلماء وما يشترك معهم في معرفته العوام لما استطعنا لها عدداً .

والإيمان بوجود الله تعالى بعد هذا ، مركوز في نفس الإنسان ومفطور عليه ، والمنكرون له شردمة قليلة يقوم إنكارها على محض المكابرة والعناد ، وكثيراً ما يزول هذا العناد عند الشدائد فيعود الإيمان إلى نفوس المعاندين وفي هذا وقائع كثيرة جداً لأن الغالب إصابة الناس بالشدائد والضراء ، ومن هذه الوقائع ما روت إحدى المجلات من حديث لطيار ملحد عن أخرج الساعات التي مر بها أثناء عمله في الحرب العالمية الثانية ، قال : كان رجلاً ملحداً لا يعرف الله ولم يذكر اسمه قط ، وفي إحدى غاراته على العدو أصاب طائرته خلل خطيراً خلاص له منه ومعنى ذلك الموت المحقق له . قال ذلك الطيار الملحد : فوجدت نفسي وبلا شعور مني ولا إرادة ولا قصد أهتف باسم الله طالباً منه الغوث والممدد ، وقد جاءه الممدد ونجا بأعجوبة منها في حديثه وصار بعدها من المؤمنين . ولما كان الإيمان بوجود الله تعالى مفطوراً عليه الإنسان بأصل خلقته وجبلته « فطرة الله التي فطر الناس عليها » لم يرسل الله تعالى رسلاً ليثبتوا للناس وجود الله وإنما أرسلهم ليثبتوا لهم استحقاق الله وحده للعبادة بجميع أشكالها ومعانيها .

قال تعالى حكاية عن بعض ما قاله رسل الله إلى أقوامهم « قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض » وقال تعالى مبيناً . بم أرسل جميع رسله : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » .

وقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » . والإله هو المألوه أي المعبود الذي تلهه القلوب بغاية المحبة والخضوع ، فلا معبود بحق إلا الله تعالى ولما كان المشركون مفرين بوجود الله وبربوبيته وتفرد به بالخلق والإحياء والإماتة والنفع والضرر والعطاء والمنع والرزق ، فإن القرآن الكريم يذكرهم بهذا الإقرار ويقول لهم إن الله هو الإله الفرد كما هو الرب الفرد . وإذا كان الله تعالى هو المستحق وحده للعبادة وإن الله ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » فلا بد

من تعريف الخلق بكيفية عبادته وطرق ومناهج هذه العبادة . فكان من راحة الله أن أرسل لهم رسلاً من جنسهم يبينون لهم مناهج عبادة الله التي يسعدون بها ، فبعثة الرسل من لوازم ومظاهر راحة الله بعباده وربوبيته لهم ، ولهذا كان إنكار النبوات جهلاً بحقيقة ربوبية الله وتنقيصاً بقدر الله . قال تعالى : « وما قدرُوا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدي للناس . . . الخ » .

وإذا كان إرسال الرسل من لوازم ربوبية الله تعالى ورحمته ، فإن هذا اللازم قد حصل فعلاً ، فقد أرسل الله تعالى للناس رسلاً مبشرين ومنذرين على فترات من الزمن ، حتى صارت أخبار الرسل ومجيئهم للناس ودعوتهم إلى عبادة الله وبأن الله أرسلهم ليبلغوهم رسالاته صار كل ذلك من الأمور الشائعة المعروفة عند البشر المقطوع بوقوعها ولهذا قال تعالى لرسوله الكريم ﴿ ﷺ ﴾ : « قل ما كنت بدعاً من الرسل » . وقال تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » .

فجنس الرسل وإن كان قليلاً في البشر إلا أنه معروف عندهم غير منكور كما قلنا وجميع رسل الله دعوا إلى عبادة الله وحده كما أشرنا إلى ذلك ، من قبل ، ولهذا كان دين الأنبياء واحد وإن اختلفوا في طرائق العبادة ومناهجها ، قال ﴿ ﷺ ﴾ : « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وأنا وأبى بابين مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » . وقال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » .

ولما كان الأنبياء دينهم واحد ، ومرسلهم واحد وهو الله جل جلاله كان الإيمان بجميعهم واجباً لا يجوز التفريق فيما بينهم بهذا الإيمان قال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيباً . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم أجرهم وكان الله غفوراً رحيماً » .

وقال تعالى : « آمن الرسل بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله » .

وإذا كان الإيمان بجميع الأنبياء واجباً . فإن الطاعة تكون للرسول القائم إلى أن

يأتي الذي بعده فتكون الطاعة له ، وهذه الطاعة في الحالتين هي في الحقيقة طاعة الله . قال تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله » . ومن يرفض طاعة الرسول المتأخر بحجة طاعته للرسول المتقدم حجته داحضة غير مقبولة في عقل ولا دين ومثله مثل الذي يرفض طاعة أميره الذي عينه السلطان العادل بحجة أنه مطيع ومتبع للامير السابق الذي مات . . . وهذا محض الجهل لان طاعة الرسول كما قلنا هي طاعة الله .

والرسول إنما يطاع باعتباره رسولاً يبلغ عن الله ولا يطاع لذاته . ولهذا كان الرسول المتقدم يبشر بالرسول الذي يأتي بعده مذكراً قوميه بهذه البشارة يلزمون طاعته . قال تعالى عن بشارة عيسى عليه السلام بمحمد ﴿ ﷺ ﴾ . « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » . والرسول المتأخر يصدق الرسول المتقدم قال تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » . وقد ذكر المؤلف ، أسعده الله ، بعض النصوص من التوراة التي في أيدي اليهود الآن ومن الإنجيل الذي في أيدي النصارى الآن . وهذه النصوص صريحة في دلالتها على نبوة محمد ﴿ ﷺ ﴾ .

وإذا كان رسل الله يبلغون رسالاته ، وعلى البشر طاعتهم وفاء بحق الله عليهم وظلماً بالسعادة في الدارين ونجاة من العقوق والعصيان وما يترتب على ذلك من شقاوة لهم وسخط الله عليهم ، أقول إذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يؤيد رسل الله بما يدل على صدقهم ولا يلتبس أمرهم بغيرهم من المفتريين على الله الكذب ، وهذا ما حصل فعلاً ، فإن الله تعالى من تمام نعمته ورحمته وإقامة الحجة على عباده ، أيد رسله بآيات تدل على صدقهم وعلى أنهم رسل الله حقاً ، وهذه الآيات هي التي يسميها العلماء بالمعجزات ، أما القرآن فيسميها الآيات . وكذا يسميها رسوله ﴿ ﷺ ﴾ ، وهذه التسمية أولى من تسميتها بالمعجزات ، فمن إستعملات القرآن قوله تعالى : « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » . « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين » « ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه » .

وفي الحديث الشريف ، قال ﴿ ﷺ ﴾ : « ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من

الآيات ما آمن على مثله البشر . . . الخ » .

وقد يسمي القرآن معجزات الأنبياء بالبينات كما في قوله تعالى « ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات » وقال تعالى : « وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل . قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين » . فالبينة والآية ، في هذه الآيات هي المعجزة التي أيد الله بها رسله ليظهر صدقهم . ولما كانت رسالة محمد ﷺ عامة لجميع البشر عربهم وعجمهم ، أبيضهم وأسودهم قال تعالى : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » .

وقال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » . وأنه خاتم الأنبياء قال تعالى : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، كانت آيات نبوته متنوعة ومعروفة للذين أرسل إليهم ومناسبة لجميع الناس على اختلاف معارفهم وعقولهم واستعداداتهم . وهذا ، والله أعلم سرتنوع آيات نبوته ﷺ . فمن آيات نبوته سيرته العطرة وأخلاقه الزكية وصدقه الثام فما عرف عنه كذب قط ولا خيانة قط ولا فاحشة قط ولا شك أن مثل هذه السيرة العطرة الطيبة دليل كاف لذوي العقول السليمة والفطر السليمة على نبوة محمد ﷺ . فإن الذي لم يعرف عنه كذب في أهون الأمور لا يتصور منه الكذب على الله الذي هو أفحش الكذب قال تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء » ولهذا كانت سيرته ﷺ دليلاً كافياً على نبوته عند أبي بكر الصديق وخديجة ولم يطلبها خارقاً أو دليلاً آخر على صدقه ﷺ . وكذلك أسلم أعرابي جاء إلى رسول الله ﷺ وسأله الله أرسلك للناس ؟ قال نعم . فأسلم الأعرابي وقال ليس هذا الوجه - أي وجه رسول الله - وجه كذاب ذلك أن التمسك بالصدق يترك أثره في قسما وجه الصادق يبصره ذوق البصائر والفراسة . ولكن ليس كل الناس كافي بكر وخديجة وذلك الأعرابي في سرعة الاستجابة والاكتفاء بسيرة النبي ﷺ والاستدلال بها على صدقه ونبوته ، فلا بد من تنوع آيات نبوته ، وهذا ما حصل . وقد ذكر الدكتور فاضل حفظه الله بعض هذه الآيات المثبوتة إلينا نقلاً متواتراً مثل إنشقاق القمر والإسراء ووصفه لبیت المقدس ولم يكن قد رآه قبل أن أسرى به

ﷺ وتسبيح الحصى في كفيه وحسين الجذع له وتكثير الطعام ونسج الماء من بين أصابعه الشريفة . ولكن أعظم تلك الآيات على الإطلاق القرآن العظيم فهو آية العظمى التي لا تزال قائمة بيننا تحرس كل مبطل وتتحدى كل جاحد وثبتت صفات الإيمان : قال ﷺ مشيراً إلى عظم هذه الآية : أي القرآن الكريم « ما من نبي إلا وقد أتى من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » . ومظاهر وجوه إعجاز القرآن ودلائله على نبوته ﷺ كثيرة جداً ذكر بعضها صاحب الكتاب . ومن المعروف أن القرآن الكريم تحدى كل مرتاب أو منكر لنبوة محمد ﷺ بأن يأتي مثل هذا القرآن إن كان صادقاً في إنكاره نبوة محمد ﷺ قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » . ومن سولت له نفسه تحديه جاء بكلام ساقط مضحك يفضح كذب هذا المنكر المكابر كما وقع لمسلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وجاء بساقط القول متحدياً القرآن ، فكان بما جاء به من لغو ساقط قوله : « يا ضفدع بنت ضفدعين نقّي كما تنقّين لا الماء تكدرين ولا المياض تمنعين رأسك في الماء وذنبك في الطين » .

والحقيقة أن القرآن الكريم لا يمكن أن يصنعه إنسان قط لأنه كلام رب العالمين المقتضين به ، وأية محاولة من أي إنسان للاتيان بمثله فهي فاشلة قطعاً ، قال تعالى : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، فلا يمكن ولا يجوز أن يصدر هذا القرآن إلا من الله تعالى ، ولا يمكن أن يصنعه أي مخلوق لأنه خارج عن قدرته .

وإذا ثبت بالدليل القاطع أن محمداً ﷺ رسول الله حقاً إلى جميع الناس فعليهم تصديقه والإيمان بنبوته لا سيما أصحاب الأديان من يهود ونصارى وغيرهم لأنه ما من أمة دعيتهم إلى الإيمان بأنبيائهم إلا ورسول الله محمد ﷺ مثل تلك الآية وأكبر ملها . ويفضل جميع الأنبياء بآيته الكبرى الباقية حتى الآن وهي القرآن الكريم ، بها آيات الأنبياء جميعاً كلها مضت وبقيت أخبارها . فلا يسوغ في عقل الإيمان بنبوة الأنبياء السابقين وإنكار نبوة محمد ﷺ . ومثل من يفعل ذلك مثل من يؤمن بفقته فلان لأنه طالب في الصف الأول بكلية الدراسات الإسلامية وينكر فقه أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد بن حنبل ، أو يؤمن بشاعرية فلان لأنه نظم قصيدة متهافة

ركيكة وينكر شاعرية المتنبي أو البحري ، أو يؤمن بعلم فلان بالنحو لأنه طالب في الصف الأول في كلية اللغة وينكر معرفة سيبويه بالنحو أو يؤمن بعلم فلان بالحديث لحفظه بعض الأحاديث وبعض فنون الحديث واصطلاحاته وينكر على البخاري علمه ومعرفته بالحديث .

فإذا كان ذلك كله مستنكراً في العقول السليمة فإن إنكار نبوة محمد ﷺ مع الإيمان بنبوة غيره أشد استنكاراً .

ويرد هنا سؤال ، إذا كان الأمر كما قلنا فلماذا لم يؤمن أصحاب الأديان الأخرى بنبوة محمد ﷺ ولماذا يقولون في هذا التناقض الذي ضربت له الأمثال ؟ والجواب من وجهين :

« الوجه الأول » الجهل . فمن جهل شيئاً لم يقدره ولم يعرف قيمته وهكذا الأمر بالنسبة لنبوة محمد ﷺ وآيات نبوته فمن جهلها ولم يعلمها إما لعدم بلوغه خبرها وخبر دعوته وآيات صدقه أو بلغه ذلك محرفاً مشوهاً دون أن يتحرى وجه الصواب ويطلب المعرفة الصحيحة في مسألة نبوته عليه الصلاة والسلام فيبقى على جهله وعدم إيمانه به ﷺ . وإذا كان على دين وكان عنده شيء من عقل أبصر تناقض دينه فربما تمرد عليه وبقي بلا دين أي بلا اتباع نبي . وهذا السبب أي الجهل هو الغالب على عامة أصحاب الأديان . ومن هنا كان القيام بتبليغ الدعوة الإسلامية إلى أهل الأرض من الفروض على المسلمين

« الوجه الثاني » اتباع الهوى ، وهذا هو الغالب على طلاب الرياسة مما حملهم على العناد وعدم الإيمان بنبوة محمد ﷺ ، فإن الهوى كما قيل يعمي ويصم وله تأثير بالغ في النفس ، فهو يشبه الدخان الأسود الكثيف الذي يمر على لوح أبيض ناصع البياض ، فكلما مر عليه ترك سواداً فيه وغطى بياضاً منه حتى يسوده تماماً ، وهكذا قلب الإنسان ، يسود تماماً بسبب أهواء النفس التي تمصف فيها فلا يعود يبصر الحق ، وإذا بصره فلا يتحمس له ولا يندفع نحوه ولا يرضى به ولا يتقاد إليه ، وقد حدثنا القرآن الكريم عن أصحاب الكتاب وأنهم يعرفون رسول الله كما يعرفون أبناءهم ومع ذلك لم يؤمنوا به عناداً منهم واتباعاً لأهواء نفوسهم حرصاً منهم على الرياسة باسم

الدين على أتباعهم وهكذا كان شأن فريق من كفرة قريش أعمى قلوبهم الهوى حتى لم يعودوا يبصرون الآيات وإذا أبصروها لم ينتفعوا بها ، بل أرادوا بها ضلالاً ويؤولونها التأويلات الباطلة . قال تعالى : « وقالوا مهما لنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » . وقال تعالى : « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين » وقال تعالى : « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » وقال تعالى : « ولو أن لنا إليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » .

وهذا غاية الخذلان وانتكاس القلب . بل إن اسوداد القلب بسبب اتباع الهوى يماح مبلغاً عظيماً بحيث أن صاحبه لو أبصر نار الآخرة حقيقة ثم عاد إلى الدنيا لعاد إلى كفره وتكذيبه . قال تعالى : « ولوترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا ترد ولا نكذب بالآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخشون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون » . وهذا شيء غريب جداً يرتعد منه المسلم الحريرص على إيمانه ويجعله دائم المراقبة لنفسه وما يجري فيها من تيارات الهوى الخفية لئلا تشند وتعمل به من الحق حتى تزيجه عنه تماماً .

وهما يكن من أسباب جحد الجاحدين بنبوة محمد ﷺ فإن جحودهم في واقع الأمر تصديق لما أخبر به القرآن من عدم إيمانهم ، كما أن إيمان من آمن منهم تصديق لما أنبأ به القرآن الكريم من إيمانهم . وفي هذا وذاك دليل آخر يضاف إلى أدلة نبوة محمد ﷺ . ولا يفتح في نبوته ﷺ تكذيب من كذبه فإن في الإنسان استعداداً هائلاً للانحدار والضلال ، وقد يبلغ به السفه كما بلغه فعلاً أن يشد الرحال لقتل رسول الله كما فعل المشركون الأولون ، فلم يكتفوا بعدم الإيمان به والإهتداء بهديه وهم يرون آيات صدقه ونبوته ، وإنما راحوا يديرون الكيد له لاغتياله في مكة فلما لجأ الله منهم أرادوا اللحاق به إلى المدينة لقتله وقتل أتباعه . فهل هناك أكبر من هذا الاستعداد الهائل في الضلالة وعمى البصيرة ؟

نعوذ بالله من الخذلان ، ولهذا نحن لا نعجب أبداً من تكذيب المكذبين ومن منادو كثير من الناس عن الحق . ونحن نعلم يقيناً أن المشركين الأقدمين كانوا يرون رسول الله ﷺ بوجهه المثير مزيهاً بآيات ربه ودلائل صدقه ومع هذا كذبوه بل وقالوا ، فليحمد المسلم على نعمة الإسلام وليعص عليهما بالنواجذ حتى يلقي

عليها الله وليكثر من قول « يا مغلوب القلوب ثبت قلوبنا على دينك » .

وبعد : فإني أعود إلى ما قلته أولاً من أن هذا الكتاب من أجود وأحسن ما قرأت في موضوعه ، وأحسب أن صاحبه قد وفق في تأليفه كثيراً فليحمد على ذلك . وليس قصدي من هذا الكلام مدح الكتاب وصاحبه وإن كان المدح في محله ولمستحقه سائغاً مقبولاً .

والما قصدي الدلالة على ما ينفع الناس ويحتاج إليه الكثيرون منهم وإن كان في ثنايها هذه الدلالة مدح الكتاب وصاحبه ، ومثلي في ذلك مثل من يدل العطشى على عين ماء عذب ويدل الجياع على فصعة طعامها شهية لذية مباح وإن كان في ثنايها هذه الدلالة الإشارة إلى فضل من قدم هذا الطعام وتسبب في تدفق ذلك الماء العذب الزلال .

أثاب الله مؤلف هذا الكتاب بسعادة الدارين ونفع به الناس وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

الدكتور عبد الكريم زيدان

بغداد جمادى الأولى / ١٣٩٢

حزيران ١٩٧٢

بَيْنَ الْحَادِ وَالْإِيمَانِ

هناك فكرتان رئيستان في تفسير نشوء الكون والخلق والإيجاد ؛ فكرة مادية لا تلتزم ولا ترى أن وراء الكون المادي قوة تفسر نشوء الكون وخلقته وإيجاده ، وفكرة أخرى إيمانية إلهية ترى أن لهذا الكون إلهاً مبدعاً عالماً قديراً لا حدود لعلمه وقدرته وإرادته . ونحن هنا لا نريد أن نتقصي الأدلة على وجود الخالق فإن هذا لا يمكن أولاً لأنها من الكثرة والتنوع والتعدد بحيث لا يمكن حصرها ، ثم إنها ليست موضوع بحثنا وإن كانت هي القاعدة الأولى لبحثنا وحسبنا هنا أن نغمس الموضوع مسأً خفيفاً يناسب وما نحن بصدده .

١ - لو نظرنا إلى الإنسان وأجهزته - مثلاً - لرأينا أن كل عضو من أعضائه يقوم بوظيفة معينة وأنه موضوع لغاية محددة مرسومة فالعين - مثلاً - وضعت وصممت لتقوم بوظيفة الرؤية وكل أعضائها وأنسجتها وضعت وصممت لخدمة هذه الغاية ؛ والأذن صممت ووضعت لتقوم بوظيفة السمع وكل عضو من أعضائها صمم ليفهم بوظيفة خاصة تخدم هذه الغاية الكبيرة وهكذا كل عضو في جسم الإنسان رسمت له وظيفة محددة واضحة يقوم بها ، فمن الذي حدد الغايات وصنع كل جهاز وكيفه ليقوم بهذه الغاية ؟

إن الناظر في جسم الإنسان أو أي كائن حي آخر يرى أن مصممه وخالقه عالم بما يريد من كل عضو ، فالقلب والرئتان والمعدة والأمعاء والكبد والكليتان واللسان والأسنان والغدد المختلفة وغيرها وغيرها كلها واضحة الأهداف والغايات فدل ذلك على أن مصممه عالم بالغايات وصمم كل عضو وخلقته ليقوم بتنفيذ هذه الغايات والأهداف بدقة . ألا ترى أن الذي جعل لسان المزمار في سقف الخلق - مثلاً - يعلم أن وجوده في مكانه ضروري لمنع دخول الطعام إلى الرئتين ؟ وأن الذي وضع الصفراء والبنكرياس على علم بأن وجودهما ضروري لتحليل المواد الدهنية ؟ وإن

وتكوين هذا الجزء عن طريق المصادفة .

فالقول بالمصادفة في الحقيقة إنما هو فرار من التعليل العلمي والإلزام المنطقي العقلي بوجود الخالق المبدع . ولكن أنى لهم هذا ؟ فالموافقات الكثيرة والغايات الدقيقة والأهداف الواضحة تنفي هذا الاحتمال البتة كما رأيت وكما هو مقرر علمياً .

٢ - نظرة إلى عالم الحيوان ترىنا أنه على أنواع منها ما يسير في الأرض ومنها ما يطير في السماء ومنها ما يسبح في الماء وقد أعد كل صنف أعداداً خاصاً تبعاً لنوع معيشته . فقد زود الطير بأجنحة وهبّت أجهزته وبناؤه الجسمي للطيران في الهواء ، وزود السمك بخياشيم يستطيع معه أن يتنفس الهواء المذاب في الماء .

ثم نرى أن الحيوانات مكيفة بحسب بيئتها فالحيوانات التي تعيش في المناطق الحارة تختلف عن اختها التي تعيش في المناطق الباردة من حيث بناء الجسم وتخطيطها بفراء ثخينة أو شعر طويل ، والتي تعيش في المناطق الصحراوية تختلف عن التي تعيش في المناطق الكثيرة الماء وقد أعد كل صنف أعداداً خاصاً تبعاً لنوع معيشته واختلاف بيئته ، فمن الذي أدرك هذه الحاجات وزود كل صنف بما يحتاج إليه ؟ من الذي غطى الحيوانات القطبية بالفراء الثخينة والأشعار الطويلة والبناء الجسمي المتين ونزع ذلك عن اختها في المناطق الحارة ؟ من الذي زود الحيوانات الصحراوية بقبولية جسمية على تخزين الماء وتحمل العطش وأعد جسمه وفمه للعيش على النباتات الصحراوية القاسية ونزع ذلك عن الحيوانات التي تعيش في المناطق الكثيرة الماء ؟ أليست ترى أن الذي جعل معدة الجمل - مثلاً - ذات مخادع لخزن الماء يعلم أنه حيوان يعيش في منطقة قليلة الماء ؟ أليست ترى أن الذي جعل باطن فمه مغلفاً بمادة سمكية ليتلقى الأشواك والنباتات الصحراوية القاسية يعلم بأنه حيوان صحراوي يعيش على هذا النوع من النباتات وزوده بما يصلحه لذلك ؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نرى أن كل صنف من الحيوان أودعت فيه غرائز تهديه إلى ما يصلحه ويبقى نوعه بطرائق في غاية الدقة والعجب وهو يقوم بذلك وإن لم يكن رأى أحداً من بني جنسه يقوم بها . فلو قدر لك أن تأخذ بيضة نحل ونفقسها بطريقة علمية بعيدة عن كل نحلة فلا شك أنها بعد فترة وجيزة ستبني خلية من الشمع على شكل سدس منتظم وإن لم تكن رأت أمها أو أحداً من جنسها ،

فمن الذي علمها صنعة السدس المنتظم لخزن العسل وهي لم تر أمها أو أحداً من جنسها يفعل ذلك ؟

وهناك أمثلة كثيرة مثل هذه الإلهامات .

ومن طريف ما مر بي أن أحد أصدقائي وضع زهاء ثلاثين بيضة دجاج معها بيضة واحدة لطير مائي في مأكنة تفريخ وبعد مرور المدة فقس جميع البيض ونزلت الفراخ من المأكنة وبعد نزولها تَوَّاهت فراخ الدجاج إلى الحديقة تبحث في التراب وانفرد عنها فراخ الطير المائي فذهب إلى الساقية يسبح ولم تغره الجموع الكثيرة من الفراخ ليهذب معها ، فمن الذي أعلمه أنه طير مائي وأرشدته إلى ذلك وهو لم يشاهد أمه أو أحداً من جنسه ؟

إنه الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

٣ - ثم لو نظرنا إلى هذه الأرض التي ندرج عليها ووضعها في الكون الفسيح لم أينا أنها اجتمعت عليها ألوف العوامل بل ملايين العوامل لتجعلها صالحة للحياة ، فجمعها الخالي وبعدها الخالي عن الشمس وميلان محورها بهذا القدر وفشرتها الأرضية السهلة الاستعمال وسمكها وتوزيع الماء واليابسة ووضع الجبال وتركيب الماء من عناصر معينة بنسب معينة وخلط الهواء من عناصر معينة بنسب معينة لو اختلفت لفسدت الحياة ، وغلافها الغازي وتكوينه وحجمه كل ذلك وغيره عوامل لو اختلف واحد لاختلف نظام الحياة أو استحال ، فمن الذي أدرك هذه العوامل والقوانين وقدرها وألف بينها لتظهر الحياة ؟ أليس الذي فعل ذلك عالماً قديراً حكماً مدبراً ؟

قال الدكتور فرانك لنن : « ويحيط بالأرض غلاف غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها إلى ارتفاع كبير (يزيد على ٥٠٠ ميل) .

ويبلغ هذا الغلاف الغازي من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة يومياً إلينا متقضة بسرعة ثلاثين ميلاً في الثانية ، والغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة ويحمل بخار الماء من المحيطات إلى مسافات بعيدة داخل القارات حيث يمكن أن تسكثف مطراً يحيي

الأرض بعد موتها والمطر مصدر الماء العذب ولولاها لأصبحت الأرض صحراء جرداء خالية من كل أثر للحياة .

ومن هنا نرى أن الجو والمحيطات الموجودة على سطح الأرض تمثل عجلة التوازن في الطبيعة . . . وكثيراً ما يسخر البعض من صغر حجم الأرض بالنسبة لما حولها من فراغ لا نهائي . ولو أن الأرض كانت صغيرة كالقمر أو حتى لو أن قطرها كان ربع قطرها الحالي لعجزت عن احتفاظها بالغلافين الجوي والمائي اللذين يحيطان بها ، ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت ، أما لو كان قطر الأرض ضعف قطرها الحالي لتضاعفت مساحة سطحها أربعة أضعاف وأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه وانخفض تبعاً لذلك ارتفاع غلافها الهوائي وزاد الضغط الجوي من كيلوجرام إلى كيلوجرامين على السنتيمر المربع ويؤثر كل ذلك أبلغ الأثر في الحياة على سطح الأرض فتتسع مساحة المناطق الباردة اتساعاً كبيراً وتغص مساحة الأرض الصالحة للسكنى نقصاً ذريعاً وبذلك تعيش الجماعات الإنسانية متفصلة أو في أماكن متناثرة فتزداد العزلة بينها ويتمذر السفر والاتصال بل قد يصير ضرباً من ضروب الخيال .

ولو كانت الأرض في حجم الشمس مع احتفاظها بكثافتها لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التي عليها ١٥٠ ضعفاً ولتغص ارتفاع الغلاف الجوي إلى أربعة أميال ولأصبح تبخر الماء مستحبالاً ولا ترتفع الضغط الجوي إلى ما يزيد على ١٥٠ كيلوجراماً على السنتيمر المربع ولوصل وزن الحيوان الذي يزن حالياً رطلاً واحداً إلى ١٥٠ رطلاً ولتضاءل حجم الإنسان حتى صار في حجم ابن عرس أو السنجاب ولتعذرت الحياة الفكرية لمثل هذه المخلوقات .

ولو أزيلت الأرض إلى ضعف بعدها الحالي عن الشمس لنقصت كمية الحرارة التي تتلقاها من الشمس إلى ربع كميتها الحالية وقطعت الأرض دورتها حول الشمس في وقت أطول وتضاعف تبعاً لذلك طول فصل الشتاء . وتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض . ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس إلى نصف ما هي عليه الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض أربعة أمثال ولتضاعفت سرعتها المدارية حول الشمس ولالت الفصول إلى نصف طولها الحالي إذالم كان هناك فصول

بالمرّة ولصارت الحياة على سطح الأرض غير ممكنة .

وعلى ذلك فإن الأرض يحجمها وبعدها الحاليين عن الشمس وسرعتها في مدارها للإنسان أسباب الحياة والاستمتاع بها في صورتها المادية والفكرية والروحية على النحو الذي نشاهده اليوم . .

وقال الدكتور ماريت سنابلي كونجيدن عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية : « نستطيع بطريقة الاستدلال والقياس بقدرة الإنسان وذكائه في عالم يفرض بالأمور العقلية أن نصل إلى وجوب وجود قوة مهيمنة تدبر هذا الكون وتدبر أموره وتعلمنا على فهم ما يضمض علينا من أمر منحنيات التوزيع ودورة الماء في الطبيعة ودورة ثاني أكسيد الكربون فيها وعمليات التكاثر العجيبة وعمليات التمثيل الضوئي ذات الأهمية البالغة في اختزان الطاقة الشمسية وما لها من أهمية بالغة في حياة الكائنات الحية وما لا يحصى من عجائب هذا الكون إذ كيف يتسنى لنا أن نفسر هذه العمليات المعقدة المنظمة تفصيلاً يقوم على أساس المصادفة والتخبط العشوائي وكيف نستطيع أن نفسر هذا الانتظام في ظواهر الكون ، والعلاقات السببية ، والكمال ، والغرضية ، والتوافق والتوازن ، التي تنتظم سائر الظواهر وتنفذ آثارها في عصر إلى عصر ؟ كيف يعمل هذا الكون دون أن يكون له خالق مدير هو الذي وأبدعه ودبر سائر أموره ؟ » .

٤ - لقد دلت الأبحاث العلمية بصورة قاطعة على أن الكون ليس أزلياً وأن نشأته له بداية وأن عمره يقدر بنحو خمسة بلايين سنة وقد أثبتت الأبحاث العلمية في مختلف المجالات هذا الأمر . قال الدكتور إدوارد لوتر كيل : « وقد يعتقد بعضهم أن هذا الكون هو خالق نفسه على حين يرى البعض الآخر أن الاعتقاد في أزلية هذا الكون ليس أصعب من الاعتقاد في وجود إله أزلي .

ولكن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأي الأخير . فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً فهناك اللقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة إلى الأجسام

بدء أن يكون لهذا الكون بداية : (١) .

وهذا دليل في غاية المثانة والقوة . فالحرارة - كما هو معلوم - تنتقل من الأجسام الحارة إلى الباردة وليس العكس . ونحن نرى أن في الكون أجساماً حارة كالشمس والنجوم المتوهجة وأجساماً باردة كالأرض والقمر والفضاء المحيط بالأجرام فالحرارة تنتقل من الأجرام الحارة إلى الباردة ، وبمرور الزمن ستساوي درجة الحرارة في هذا الكون ، ولما كانت درجات الحرارة لا تزال مختلفة فهناك أجرام حارة وأجرام باردة فإن معنى ذلك أنه لم يمر عليها العمر الكافي لكي تتساوى ، ومعنى ذلك أن للكون بداية فلو لم يكن له بداية لتساوت درجات الحرارة منذ أمد بعيد لأن العمر الطويل الذي مرت به عند ذاك كفيل بتساوي الحرارة لأنه أطول من أي عمر يكفي لتساوي الحرارة . وتوضح ذلك أن الأرض مثلاً انفصلت عن الشمس وهي قطعة ملتصقة فاستمرت إلى كذا وكذا من السنين حتى فقدت حرارتها ، والشمس أكبر من الأرض فاحتاجت إلى كذا بليون من السنين حتى تفقد حرارتها والأجرام الأخرى التي هي أكبر من الشمس محتاج إلى كذا بليون من السنين حتى تفقد حرارتها ولنفترض أن الكون محتاج إلى ألف بليون من السنين لتساوي حرارته ، إذن فالعمر الكافي لتساوي الحرارة لم يمر بعد على هذه الأجرام . ومعنى ذلك قطعاً أن للكون بداية إذ لو مر عليه هذا العمر لتساوت حرارته . ولو لم يكن له بداية لتساوت حرارته لأن ما مر عليه من السنين يكون عند ذاك أكثر بكثير من هذا العمر . وهذا في غاية الوضوح .

ولما كان للكون بداية لزم أن يكون له موجد . فإن الكون كان صفراً أي لم يكن هناك شيء فلا يمكن أن يوجد نفسه مع أنه غير موجود . وإذن فلا بد من قوة موجدة لهذا الكون تختلف عنه وهو الله سبحانه .

وندل الأبحاث الكيماوية على مثل ذلك قال الدكتور دونالد روبرت كار ، أستاذ الكيمياء الجيولوجية واختصاصي في تقدير الأعمار الجيولوجية باستخدام الاشعاعات المشعة : « أما عن تحديد عمر التكوينات الجيولوجية مثل مواد الشهب وغيرها فقد تمكن باستخدام العلاقات الاشعاعية أن نحصل على صورة شبه كمية عن تاريخ

الحياة . ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة . ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيميوية أو طبيعية ولن يكون هنالك أثر للحياة نفسها في هذا الكون . ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ولا تزال العمليات الكيميائية والطبيعية تسير في طريقها فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط في الوجود . وهكذا توصلت العلوم - دون قصد - إلى أن لهذا الكون بداية . وهي بذلك تثبت وجود الله لأن ما له بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ نفسه ولا بد له من مبدئ أو من محرك أول أو من خالق هو الإله .

ولا يقتصر ما قدمته العلوم على إثبات أن لهذا الكون بداية فقد أثبتت فوق ذلك أنه بدأ دفعة واحدة منذ نحو خمسة بلايين سنة . »

وقال الدكتور فرانك ألن : « والرأي الذي يذهب إلى أن هذا الكون أزلي ليس لنشأته بداية إنما يشترك مع الرأي الذي ينادي بوجود خالق لهذا الكون وذلك في عنصر واحد هو الأزلية . وإذن فنحن إما أن ننسب صفة الأزلية إلى عالم ميت وإما أن ننسبها إلى إله حي . وليس هنالك صعوبة فكرية في الأخذ بأحد هذين الاحتمالين أكثر مما في الآخر ولكن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً وأنها سائرة حتماً إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق ، ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة . ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقة عندما تصل درجة حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق بمضي الوقت . أما الشمس المستمرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة فهو إذن حدث من الأحداث . ومعنى ذلك أنه لا بد لأصل الكون من خالق أزلي ليس له بداية عليم محيط بكل شيء قوي ليس لقدرته حدود ولا بد أن يكون هذا الكون من صنع يديه . »

« وقد أدرك سير اسحاق نيوتن أن نظام هذا الكون يتجه نحو الإنحلال وإنه بفتر من مرحلة تتساوى فيها درجة حرارة سائر مكوناته ووصل من ذلك إلى أنه لا

(١) الله ينحل في عصر الخلق من ٩٢ وانظر ص ٨ ، ٢٩ .

الأرض . ويستخدم في الوقت الحاضر عدد من الطرق المختلفة لتقدير عمر الأرض بدرجات متفاوتة من الدقة ولكن نتائج هذه الطرق متقاربة إلى حد كبير وهي تشير إلى أن الكون قد نشأ منذ نحو خمسة بلايين سنة . وعلى ذلك فإن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً . ولو كان كذلك لما بقيت فيه أي عناصر إشعاعية . ويتفق هذا الرأي مع القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية .

وقال الدكتور جون كليفلاند كوثران رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولك :
«وتدلنا الكيمياء على أن بعض المواد في سبيل الزوال أو التآكل ولكن بعضها يسير نحو التآكل بسرعة كبيرة والأخر بسرعة ضئيلة وعلى ذلك فإن المادة ليست أبدية ومعنى ذلك أيضاً أنها ليست أزلية إذ إن لها بداية . وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أن بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية بل وجدت بصورة فجائية وتستطيع العلوم أن تحدد لنا الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد . وعلى ذلك فإن هذا العالم المادي لا بد أن يكون مخلوقاً وهو منذ أن خلق تخضع لقوانين وسنن كونية محددة ليس لعنصر المصادفة بينها مكان .

فإذا كان هذا العالم المادي عاجزاً عن أن يخلق نفسه أو يحدد القوانين التي تخضع لها ، فلا بد أن يكون الخلق قد تم بقدرته كائن غير مادي . وتدل الشواهد جميعاً على أن هذا الخلق لا بد أن يكون متصفاً بالعقل والحكمة^(١) . وهذا متفق مع القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية الذي ذكرناه آنفاً فهناك عناصر مشعة كالراديوم واليورانيوم وغيرها فهذه العناصر يمرور الزمن تفقد من كميتها أي تتحول إلى إشعاعات ، وهناك آلات لقياس مقدار الإشعاع في العناصر يعرفها أي طالب في دور التخصص في الفيزياء أو الكيمياء . فالراديوم مثلاً في حالة إشعاع مستمر وبذلك يفقد من كميتها بصورة مستمرة واليورانيوم كذلك ، ومعنى ذلك أنه سيأتي زمن تنتهي فيه العناصر الإشعاعية وتنفد . ولما كانت العناصر المشعة لا تزال موجودة ، لزم أن لا يكون قد مر عليها العمر الكافي لتفادها ، ولو مر عليها العمر الكافي لتفادت ، ومعنى ذلك أن للكون بداية إذ لو لم يكن له بداية لتفادت هذه العناصر ولما بقيت فيه

(١) الله يخلق في عصر العلم ٢٧ ، ٨٧

أي عناصر إشعاعية ، فلو قدرنا مثلاً أن هذه العناصر تحتاج إلى ألف بليون سنة لتفاد إشعاعاتها ، كان معنى ذلك أنه لم يمر عليها هذا العمر ليكون ذلك . أي أنه لم يمض عاشرها منذ وجودها إلى الآن هذا العمر . ومعنى ذلك أن هذه العناصر بداية ، ولو لم تكن لها بداية لكان ما مر عليها من العمر كفيلاً بالقضاء على هذه العناصر وتفادها إذ لا شك أنه سيكون قد مر عليها أكثر من بلايين البلايين . ولما كان لهذا الكون بداية المفضى أن يكون له موجد لأن الكون كان عدماً محضاً وليس يمكن أن يكون أوجد نفسه .

وهو يتفق مع القانون الثاني من قوانين الحرارة .

٥ - وما يقطع بوجود الله ظاهرة الرؤى الصادقة . فكثير من الناس يرون رؤيا في المنام تتحقق بعد ذلك بنهاها ، وربما كانت الرؤيا صادقة كخلق الصباح تقع بلا تأمل ، وقد تحتاج إلى تأويل وهذا كثير وأنا شخصياً حصلت لي منات من هذه الرؤى التي تحققت بدقة ، وأعرف كثيراً ممن وقعت لهم مثل هذه الرؤى . فكيف تحدث مثل هذه الرؤى ؟ ومن الذي أخبر الإنسان بهذا الغيب المجهول ؟ الإنسان لا يعلم الغيب ولكن عن طريق الرؤى قد يحصل له شيء من ذلك ، فما تفسير هذا الأمر ؟

إن تفسيره واضح وهو أن هناك ذاتاً تعلم الغيب وسجلته وهي تطلع من تشاء من أمهاتها على بعض هذا الغيب عن طريق هذه الرؤى أو عن طريق آخر . ولا تفسير لها غير هذا التفسير . ولدلالاتها المهمة هذه ، حاول قسم من الماديين إنكار وقوع مثل هذه الرؤى وقال قسم آخر هي من قبيل المصادقات .

والحق أن قسماً كثيراً لا يمكن تفسيره بالمصادفة . ثم إن كثرتها لا تدع مجالاً لتفسيرها بالمصادفة .

ومن طريف ما مر بي في ذلك أن شخصاً سلمني رسالة ذات يوم في حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً ، فجلست بها إلى البيت فقرأتها وإذا كاتبها شخص آخر يستقيث بي لعل مشاكله التي أفتدته وأهمته بأسلوب باك . وقد أخفى اسمه تحت أحرف مبهمه هي ن. ن. ي. (او ق. ن. ك) ولم أستطع أن أنبئها وقد ضربت الذهن في كل مجال

للتعرف على هذا الشخص فلم استطع الإمتداء إليه وقررت أن أستدعي الذي سلمني الرسالة لإخباري به . وفي النوم جاءني شخص مجهول وسألني قائلاً : ما لي أراك حائراً ؟ فقلت له : جاءتني رسالة حوت في أمرها ولم أعرف صاحبها ولا رموزها أهـي (ن. ن. ك) أو (ق) أو (ي) فقال : بل هي (ن. ن. ي) فقلت : من صاحبها ؟ فقال : فلان ابن فلان . فقلت : هذا لا يكون وهو قد مر على ذهني فيمن مره فإن اسمه يبدأ بالنون ولكن اسم أبيه يبدأ بالعين . فقال : هو الحرف الأخير من اسم أبيه . فقلت : وهذه الياء ما أمرها ؟ فقال : هي حرف من أحرف النسب أي (الفلاني) وذكر النسب . فقلت له : هو لا يُعرف بهذه النسبة وإنما بالنسبة الأخرى وذكرتها له . فقال : استعمل الآن هذا النسب . قلت : ولم ذاك ؟ قال : لكلاً تعرفه .

واستيقظت من النوم وأنا مطمئن أن صاحبها هو الذي أخبرني به هذا الشخص الغريب . وفي الصباح أريت الرسالة لأحد زملائي الماديين المثقفين وقلت له : إقرأ هذه الرسالة ، فقرأها . وقلت له : هذا أمر الرسالة . فقال : تحقق من ذلك وأخبرني فإنه إن كان ذاك فإن الله موجود لا محالة .

وفي مساء اليوم التالي رأيت صاحب الرسالة وقلت له : وصلت رسالتك . فقال : أية رسالة هذه ؟ وحاول أن يتكر أن يكون صاحب رسالة ، حتى قلت له : لا تذهب بعيداً أو شياً ، فانا أقول لك : إن رسالتك وصلت وقرأتها . فرأيتته يخفي وجهه خجلاً ويقول : هل وصلت ؟ فقلت : نعم . ثم قلت له : ما أمر هذه الرموز فأنا لم أتبين أهـي (ن. ن. ي) أو (ق. ن. ك) فقال هي : ن. ن. ي . فقلت له : إن هذه الرموز لا تنطبق عليك . فإن أسمك يبدأ بالنون فما أمر النون الثانية ، فإن أسم أبيك يبدأ بالعين ؟ قال : هي الحرف الأخير من اسم والدي . فقلت : وما هذه الياء ؟ فقال : هي النسب الفلاني . فقلت : ولم فعلت كل ذلك ؟ قال : لكلاً تعرفني .

ومن طريف ما مر بي أنني رأيت كائني أدخل إلى مكان لم يسبق أن أدخل إليه في حياتي السابقة إلا مرة واحدة قبل هذه الحادثة بسنوات . وبعد دخولي توأ رأيت كأن معركة حدثت بين فئتين وجاءت الشرطة وتركت المكان ولم أقض شغلي . وفي

الصباح نفسه اضطررت إلى أن أذهب إلى المكان نفسه وبعد دخولي فيه حصل ما حصل تماماً .

ومن طريف ذلك أنني رأيت كأن في يدي كياناً صغيراً تمثلته ثم استيقظت . وقلت : ما تفسير هذه الرؤيا ؟ حتى إذا جئت الظهر إلى البيت رأيت الكيان الذي أنه في المنام بعلاماته الفارقة ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : أبدله اليوم أخوك الصغير بحاجة مع شخص آخر . علماً بأنه لم يكن في بيتنا في يوم من الأيام آلة موسيقية أو رت على خاطري .

فما تفسير هذا أيها الماديون ؟

ومن ذلك ما رأيت أنه بطاقة دعوة وجهت لي موقعة من شخص لا أعرفه وقد حصل في اليوم التالي ذلك وبالتوقيع نفسه وسألت عن صاحبه فقيل : هو شخص لا أعرفه .

ومن طريف ذلك أن والدي كان في الخليج فرأيت في المنام أنه قد جاء وجلسنا ثم هبنا فقلت له : أريد أن أجلس معك وأعطاني واحدة فقسمتها بيدي وسقطت قطرة منها على ثوبي . فأخبرت أهلي وأصدقائي طالباً تأويلها فقالوا : هي خير . وبعد فترة جاء والدي وبيتنا نحن جلوس نادى على برتقالات جلسنا معه أمطاني واحدة ثم قسمتها فرأيت تلك الفطرة وقعت على ثوبي وذكرت الرؤيا . ثم قلت لأهل بيتي : انظروا ألا تذكرون الرؤيا التي ذكرت لكم ؟ فحجبوا غاية العجب .

ومن طريف ذلك أنه كان أخي في مصر فرأيت أنا والدي وزوجي وزوجه رؤى أربعا حوله تحققت كلها . وغير ذلك وغيره مما لا يكاد يحصر . ولا أبالغ مطلقاً إن قلت : حصلت لي مئات من أمثال هذه الرؤى بل ربما تعددت المئات إلى ما يربو على الألف والله أعلم .

فأنت ترى أن هذا من الدقة بحيث لا يمكن حمله على المصادفة ولا يمكن تفسيره إلا بما ذكرنا وهو أن في الوجود من يعلم الغيب وسجله وهو يطلع من شاء من عباده على شيء من هذا الغيب إما بشكل واضح ليس فيه تأويل أو بما يحتاج معه إلى التأويل .

و يجعل نظرهم إلى الكون وإلى اختلاف الليل والنهار وكيف يأتي الله بهما؟ وقد جعل الله لنا الليل سكناً والنهار للضرب في الأرض وقد كان ربنا قادراً على أن يجعل النهار سرمداً أبدياً لا يزول والليل كذلك ولكن أي حياة هذه ستكون؟

«إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار»
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون» (يونس ٦٧).

وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار تشوراً» (الفرقان ٤٧).

«قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون؟ ومن رحمه جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» (الفصص ٧١ - ٧٢).

ثم انظروا إلى قدرة ربنا سبحانه كيف مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين وسخر البحر لتأكل منه لحماً طرياً ونستخرج منه الحلي ونمخر فيه الفلك لأي نعمة هذه أيها الناس؟

«وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» وألقى في الأرض رواسي أن تعمد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون. وعلامات بالنجم هم يهتدون. أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون؟ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» (النحل ١٤ - ١٨).

وهو الذي خلق الماء المالح والماء العذب الفرات بنهرته فلم يطغ ماء على ماء لحكمة معلومة دبرها خالفها وهو الذي مرج البحرين هذا عذب غرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً» (الفرقان ٥٣).

وربنا أنزل من السماء ماء فأسكننا به الأرض فنبت الحبوب فتأكل منه الناس

والله أنزل من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض وإننا على ذهاب به لنفادرون. فاتشأننا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيه فواكه كثيرة ومنها تأكلون» (المؤمنون ١٨ - ١٩).

«الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً لها ألوان ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاباً» (الزمر ٢١).

ثم يجعل نظرهم إلى السماء كيف رفعها وربنا بغير عمد وزينها بالكواكب الساطعة في أفلاكها وجعل النجوم فيها لتهدي بها في ظلمات البر والبحر وجعل فيها الشمس ضياء والقمر نوراً بحساب دقيق وما كانت لتفقد في الفلك لولا الحساب الدقيق للمسافات والأبعاد والشمس والقمر بحسبان» (الرحمن ٥).

«وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسيباناً ذلك تقدير العزيز العليم» (الأنعام ٩٦).

«هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون» (يونس ٥).

«الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر من الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون» (الرعد ٢).

إلى غير ذلك من الآيات العظيمة الرائعة التي نبصرهم يعظمه الله وجلاله وقدرته بالغ نعماته على البشر ويطلب منهم النظر والتفكير في هذه المخلوقات العجيبة «قل انظروا ماذا في السماوات والأرض» «إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار» الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ولم يذكروا في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففشا عذاب النار».

أما هؤلاء الذين يعبدون من دون الله فلا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون ولا قوة ولا علم لهم ولا إرادة «يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له وإن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا

لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب» (الحج ٧٢).

ثم يدعوهم إلى الإيمان باليوم الآخر، اليوم الذي يجمع الله فيه الخلق فيحاسبهم على أعمالهم. وقد أقام الحجة تلو الحجة عليهم ويربهم أن الإعادة أهون من الابتداء في حكم العنفل وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه.

«يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة... وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنتبت من كل زوج بهيج. ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير» (الحج ٥-٦).

وبلغت نظرهم إلى أنفسهم فيقول إنكم في كل يوم تشرون وتبعثون وهو الذي جعل لكم الليل لباساً ونسوتهم سبائنا وجعل النهار نشوراً» (الفرقان ٤٧).

والله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يفتكرون» (الزمر ٤٢).

ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون» فأى إيمان هذا أيها الناس رأي درجة من النظر العميق الدقيق الواسع؟ أنك ترى معي أن إيمان مثل هذا الشخص لا يكون إيماناً تقليدياً وإنما هو قائم على التدقيق والنظر يقوده إليه الوعي، إنه إيمان عميق يقوم على الحجة الساطعة والبرهان القاطع. وما جاء به من الحجج - كما ذكرت - كقيل ياقناع أي عقل في زمانه في الأقل. فهل يا ترى أن هذا الرجل يمكن أن يكون كاذباً على الله مقترباً عليه؟ وأين يفر من عذابه وعقابه ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء؟» (الأنعام ٩٣).

بهذا العمق والحجوة أخذ يدعو قومه إلى الله وكان الوعي يوجهه ويسدده ويمثل لكل ما يجيء به امتثالاً دقيقاً. فقد كان أول أمره وجلاً من هذه الظاهرة خائفاً على نفسه حتى إذا نزلت «يا أيها المدثر قم فأأنذره» قال برح الخفاء وأخذ يدعو قومه سرّاً دعوة هادئة حتى إذا نزل قوله تعالى «وانذر عشيرتک الأقرین» صعد على الصفا

«يا أيها المدثر» وأوحى وجعل ينادي بطون قريش ويقول لهم: (إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. كما ثبت في الصحيحين).

حتى إذا نزلت «فاصدع بما تؤمر» وأعرض عن المشركين جاهر بالدعوة كما أمره الله وصدع بها في كل مكان وكل ناد وتحمل من الأذى ما لا يقادر قدره وأرسل سائلاً إلى ملوك وعظماء زمانه يدعوهم إلى الإسلام فمنهم من آمن به ومنهم من أهمله ومنهم من احترم دعوته وأكرم كتابه ورسله والجدير بالذكر من أمر هذه الرسائل أنه إلى هرقل ملك الروم. إذ نرى أن هرقل يتقصى خبره ويختبر أمره بأسلوب عقلاني ويخلص إلى أن هذا الرجل لا يمكن أن يكون كاذباً وإنما هو نبي فقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن الله (ﷺ) أرسل إلى هرقل أن يرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله (ﷺ) مآذ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بلباء جاهلهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا يترجمانه فقال: أيكم أقرب بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان فقلت أنا أقربهم نسباً. فقال: ومن مني وفربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم إني سائل هذا هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يثروا على كذبا لكذبت

لم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذونسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يريد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا.

قال: فهل يقدرون؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعمل فيها. قال:

«وإن لم يكن فيك كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة».

قال: فهل قاتلتهم؟ قلت: نعم.

قال : فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وتنال منه .

قال : ماذا يأمركم؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول أبائكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه قبكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا . قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم .

وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا . وكذلك الإيمان حين تحالط بشاشته القلوب . وسألتك هل ينذر؟ فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت إنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أنني أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم .

سلام على من أتبع الهدى .

أما بعد : فإني أدعرك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن أوليت فإن عليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

قال أبو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر . فما زلت موقناً إنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام .

ثم ذكر البخاري أن هرقل أذن لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بابوابها فغلقت ثم أطلع فقال : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فهايمعروا هذا النبي؟ فحاصروا حيصة حر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت . فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردوهم علي، وقال : «إني قلت مقاتلي ألفاً اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت .

فسيجدوا له ورضوا عنه» .

وبذا يخلص الرجل إلى أنه نبي صادق وتغتنع الرغبة في السلطان والحكم من أتباعه .

ويظل الرسول ﷺ يجاهد الشرك والباطل حتى أظهره الله ونصره وأعلى كلمته .

ومن مظاهر تغير حياته ﷺ بعد نزول الوحي إنه أصبح يربط كل شيء بالله فلا يغير إلا فيما يرضي الله والشرف فيما يسخطه والأعمال كلها بحسب النيات فمن ابتغى وجهه الله فله أجره ومن لم يبتغ وجه الله فلا خير له في عمله ولا أجر له ولا ثواب ولو كان بقدر الدنيا .

وأخذ يوجه أصحابه إلى أن يبتغوا في كل عمل بعملونه أو قول بقولونه ما يشغلهم في الآخرة من غير إخلال بحياتهم في الدنيا التي هي مزرعة الآخرة .

وكان يعلمهم أن مفتاح الدخول في دين الله هو قول (لا إله إلا الله) ولا يضع شيء من دون هذه الكلمة وإن الله لا يرضى عن أحد كائناً من كان حتى ينفي عنه الشرك بهذه الكلمة .

وترى هذه المحادثة القصيرة بينه (ﷺ) وبين عمه أبي طالب الذي نصره وأعانته وتحمل معه من الحصى ما يحمل مقدار إيمانه بها . فقد كان عمه على قراش الموت وكان (ﷺ) حريصاً على إنقاذ عمه من النار فكان يلج عليه ليقولها . روى البخاري ومسلم بأكثر من طريق أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي (ﷺ) وعنده أبو جهل فقال : أي عم فل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزلوا يكلمونه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب .

فقال النبي (ﷺ) : لاستغفرونك ما لم انه عنه فزلت : «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» ونزلت : «إنك لا تهدي من أحببت» .

فهو إيمان حار صادق بأن هذه الكلمة مفتاح النجاة من النار والدخول في الجنة . وكان يقول من قال لا إله إلا الله مؤمناً بها دخل الجنة .

ونراه يجتهد ويعلم أصحابه الاجتهاد لرضاء الله بالطاعات وفعل الخير والأمر به والابتعاد عن المنكر والنهي عنه وذكر الله ذكراً كثيراً والاستغفار والتوبة والتسبيح والتحميد مما لم يكن معهوداً عنده قبل الرسالة ولا عند قومه ولا عند أصحاب الكتاب قبله . فنراه يعلمهم كيف يذكرون الله ويحمدونه إذا ناموا وإذا قاموا وإذا أكلوا وشربوا وإذا لبسوا وإذا تطهروا وإذا خرجوا من البيت أو دخلوا فيه وإذا دخلوا المسجد أو خرجوا منه وإذا سافروا أو رجعوا فأصبحت حياتهم كلها ذكراً وشكراً وحمداً وتسبيحاً واستغفاراً وتوبة .

وكان يعلمهم أن الله بيده كل شيء فمن استعان فليستعن بالله ومن سأل فليأل الله وإذا أراد الله شيئاً فلا زاد له ولا معقب لحكمه ، فمن كرهه أمر فليضرع إلى الله ، ومن أحمه شيء فليستحيء إليه وإذا أمره الله فليطعه سبحانه فهو الكفيل

بالاجابة «وقال ربكم ادعوني استجب لكم» وإذا سألك عبادي غيبي فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » .

وعلمهم إذا انقطع الغيث كيف يستسقون ربهم وقد استسقى ربه أمامهم مرات واستجاب ، وعلمهم أنه بالطاعات والتوبة والاستغفار تدوم النعم ويستجلب الخير «فلعلنا نستغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً» «وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله» .

وقد كان (ﷺ) - كما جاء في صحيح البخاري عن عائشة - يقوم من الليل حتى تخطط قدماء فقالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟ !

فما سر هذا التغيير العجيب؟

إنه الرحي .

ثم نرى أن هذا الرجل الأمي الذي عاش في بيئة جاهلة أمية ليس فيها مدرسة ولا كتاب مدون جاء بنظام كامل شامل للفرد والبيت والمجتمع ونظام الحكم وتنظيم علاقات الناس فيما بينهم وبين ربهم ، وبينهم وبين اخوتهم من المؤمنين ، وبينهم وبين بقية الناس تنظيماً أعجز الخلق عن مجاراته وأخرج به طرازاً فريداً من الناس وحيداً عالياً تستشرف له الإنسانية . واثبت عملياً أن هذا النظام لا يمكن أن يجاري كما اعترف بذلك اساطين العلماء وجهابذة فرباب الفكر في الغرب والشرق .

فليس هذا وحده كافياً في الدلالة على أن هذا الرجل الأمي الأمين الصادق رسول الله حقاً ؟ !

أظن أن هذا وحده يدل على نبوته عند قسم غير قليل من الناس ولكن آخرين من الناس يريدون دليلاً من طراز آخر وستقدم لهم الدليل بعون الله .

القرآن كتاب الله

هل القرآن كتاب الله حقاً ، أنزله على محمد بواسطة الملك ؟ أفلا يمكن أن يكون هذا الكتاب من صنع محمد ؟ ما الدليل على أنه من عند الله ؟

هذه أسئلة كثيراً ما مرت على خاطري وبقيت أعاني منها فترة طويلة .

إن محمداً ادعى أن القرآن كتاب الله أنزله تعالى عليه بلفظه ومعناه ، نزل به جبريل من عند الرب وتلاه محمد كما سمعه من جبريل ، وليس اللقظ للرسول والمعنى لله وإنما هو منزل بلفظه ومعناه . قال تعالى : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله » وقال : « وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . يلسان عربي مبين » . وهو كلام الله ولو لم يكن لفظه له ما سواه الله تعالى كلامه قال تعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » .

وتحقيق في هذا البحث نريد أن نتحقق من صحة هذا الإدعاء . وقد ذكر محمد أن الله جعل في القرآن الدليل على نبوته والبرهان على رسالته فقال : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً » (النساء ١٧٤) فسماه برهاناً ونوراً مبيناً .

ومعنى هذا القول أن الله جعل في القرآن من الأدلة العقلية على نبوة محمد ما يقيم به الحجة على خلقه وأنهم لو التمسوا البرهان على ذلك لوجدوه فيه .

وعلى هذا سنلتزم الدليل على نبوة محمد في القرآن فلعل فيه ما يزيد هذه الدعوى .

وأرد أن أتبع على مسألة يجدر التنبيه عليها في بحثنا هذا وهي أننا حين نستشهد بالقرآن ليس المقصد هو الاستدلال الديني بل الاستدلال التاريخي فإن القرآن بلا شك أصدق وثيقة تاريخية عن ذلك العهد .

الأدلة القرآنية

أخبار القرآن :

أمدى القرآن العرب ثم جميع الخلق بأن يأتوا بمثله ثم أخبر أنهم لن يأتوا بمثله ولو أن بعضهم لبعض ظهيرا ، ومن الثابت أنهم انقطعوا عن ذلك فقامت الحجة .

والفصل ذلك أن القرآن تحداهم أولاً بأن يأتوا بعشر سور مثله إن كانوا يبرون أنه من عند ربهم فقال : « أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مقتريات وادعوا من أعلم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لك فاعلموا إنما أنزل الحكيم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ؟ » (هود ١٣ - ١٤) فلما انقطعوا قامت الحجة عليهم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله وأخبر أنهم لن يفعلوا فأنقطعوا . وقامت الحجة عليهم قال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفلحوا فانقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (البقرة ٢٣ - ٢٤) وأكد التحدي بقوله : « قل لمن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (الإسراء ٨٨) فقد دعا القرآن العرب إلى أن يأتوا بسورة من مثله ويشمل هذا التحدي قصار السور كما يشمل فلو أنها فهو تحداهم يسورة الكوثر والإخلاص والمعوذتين والتصر ولا يلاف من هذا أو أية سورة يختارونها ، فقال ضم اختاروا سورة من القرآن وأتوا بمثلها .

ومن المعلوم أن العرب لم يحاولوا أن يفعلوا ذلك فقد كانوا يعلمون عجزهم عنه فلو أنهم لم يفعلوا نور الله عن غير هذا السبيل . ورأوا أن سبيل الحرب والدماء وتجميع الأعداء ليسر عليهم من مقابلة تحدي القرآن . وهذا أمر غريب فإنا نعلم أن الممارات الأدبية كانت موجودة عندهم وإنهم يقيمون المحكمين للتحديات الأدبية الذي صرقهم جميعاً عن هذا التحدي القاسي لولا أنهم يعلمون أنهم لا يمكنون ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله مجتهدين بكل طريق يمكن . تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب حتى يسألوه عنها كما سألوه عن قصة يوسف وأصحاب الكهف وذئ القرنين .

وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه . . . فتارة يقولون مجنون وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون شاعر . . . فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة وهي تبطل دعونه فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها » (١) .

وجاء في كتاب (تثبيت دلائل النبوة) للهمذاني في قوله تعالى « قل لمن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن . . . الآية » : « وفي هذا إخبار عن غيوب كثيرة لأنه قال لكل واحد من الجن والانس أنك لا تأتي بمثل هذا القرآن ولا أحد يأتي بمثله في كل حال منفردين ولا مجتمعين فما أتوا به مع حاجتهم إلى ذلك وشدة حرصهم عليه أفمن هذا نعجب ؟ أم من إقدامه على الإخبار بذلك وهو لا يعرف الحرب كلها ولا يحصى قبائلها ورجالها ونساءها ، والنصاحة والبلاغة مثبوتة في رجالها ونساءها وعبيدها وأماؤها وعفالاتها ومجانينها . . . فلولاً أنه قد تبين أنهم لا يأتون بذلك لما أقدم على الإخبار بذلك » (٢) .

ومن الثابت أن القرآن الكريم كان يأخذهم بروعة بيانه وأنهم لا يملكون أنفسهم عن سماعه ولذلك حاولوا أن يحولوا بين القرآن وإسماع الناس ، حاولوا أن لا يصل إلى الأذن لأنهم يعلمون أن مجرد وصوله إلى السمع يحدث في النفس دوياً هائلاً وهزة عنيفة . وحكى الله عنهم هذا الأسلوب فقال : « وقال الذين كفروا لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » (فصلت ٢٦) .

وهكذا كانت الحرب الأولى أن يحولوا بين القرآن وإسماع الناس ولكن أتى لهم هذا؟ فقد كان القرآن الكريم يستهوي الأسماع ويأخذ باللب على الرغم من التحذيرات بل ربما كانت التحذيرات داعياً قوياً إلى سماعه .

(١) الخواص الصحيح ٧٣/٤ - ٧٤

(٢) تثبيت دلائل النبوة ٨٥/١ - ٨٦

وكان صناديد قريش وأعتابهم محاربة للرسول وأشدهم كيداً له ونيلاً منه لا يأتون أنفسهم عن سماعه فقد كان كل من أبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن خزيمة يأخذ نفسه خلسة لسماعه في الليل والرسول في بيته لا يعلم بمكانهم ولا يعلم أحد منهم بمكان صاحبه حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رأيكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً . ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يسمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل المال أول مرة ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يسمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لا نرجع حتى نتعاهد لا تعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا » (٣) .

وقد أخبر الله نبيه بهذا الأمر فقال : « نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذا هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً » (الإسراء ٤٧) .

وبد شهد بحلاوة التعبير القرآني وعذوبته الوليد بن المغيرة وهو من صناديد قريش وعتاتهم حين اجتمع إليه نفر من قريش ليجمعوا على رأي واحد يصدر عن هذه بقولونه للناس في الموسم فقال بعضهم شاعر وقال بعضهم كاهن وقال بعضهم ساحر وقال بعضهم مجنون فكان يرد هذه الأقوال ويفندها ثم قال : والله إن قوله أملاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمعلو وما يعلى عليه ، وما أنتم بفائنين من هذا شيئاً إلا هرباً أنه باطل وأن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة « ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالا محبوداً .

وبذل شهوداً . ومهدت له تمهيداً . ثم بطمع أن أزيد . كلا إنه كان لأياتنا عنيداً . صارقه صغرداً . إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم أبصر . ثم استكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول

(١) تفسير ابن كثير ٤٤/٣ ، سيرة ابن هشام ٢٠٧/١ - ٢٠٨

البشر بأصليه سقر»^(١) .

وجاء عن ابن عباس أنه قال : دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قریش فقال : « يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة - يعني رسول الله ﷺ - فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي الجنون وإن قوله لمن كلام الله »^(٢) .

والتعبير القرآني أعذب كلام وأجمل ، وإليك أمثلة توضح طرقاً من جماله :

١ - قوله تعالى : « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً . فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً . وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صيراً » (الكهف ٧٩ - ٨٢) .

وهذه الآيات من قصة موسى والرجل الصالح وكان من خبرهما أنهما ركبا في سفينة فخرقها الخضر فاعترضه موسى ، ولقيا غلاماً فقتله فاعترضه موسى ، ودخلا قرية طلبا من أهلها طعاماً فلم يضيفهما أحد فيها فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه وبناء فاعترضه موسى . وقبل أن يفترقا بين الخضر لموسى الحكمة من هذه الأفعال بما مر من الآيات القرآنية .

فأنت ترى أنه حين حكى على السفينة قال : « فأردت أن أعيبها » فأسند العيب إلى نفسه وأنه حين حكى على الغلام قال : « فأردنا أن يبدلها ربهما » فأسند الإرادة إلى الضمير المشترك . وحين حكى على الجدار قال : « فأراد ربك » فأسند الإرادة إلى الله .

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٢ - ٤٤٣ ، سيرة ابن هشام ١/ ١٧٤ - ١٧٥

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٢ - ٤٤٣

ثم قال في عقب ذلك كله (وما فعلته عن أمري) علماً بأنه هو الذي بأمر الأفعال فبالسفينة هو الذي خرقها (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) ، والغلام هو الذي قتله (حتى إذا لقيا غلاماً فقتله) ، والجدار هو الذي أقامه (فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) .

لها سر هذا الاختلاف في التعبير ؟

السر في ذلك بديع وهو أنه حين قال : (فأردت أن أعيبها) أراد أن ينزه الله تعالى العيب فأسنده إلى نفسه^(١) ، وهذا في القرآن كثير فإن التعبير القرآني ينزه الله إلى من العيوب وإرادة الشر ومنه قوله تعالى : « وأنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً » ففي الشر قال (أريد بمن في الأرض) ، وفي الخير لم يقل قال (أراد بهم ربهم) . ونحوه قوله تعالى (زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين . . .) وقال في مكان آخر « ولكن الله يحب إليكم الإيمان وزينه في بكم » ففي حب الشهوات قال (زُين) وفي تحبيب الإيمان وتزيينه قال : « ولكن أحب إليكم » . . .

ومعناه قوله تعالى : « الذي خلقني فهو يهدين » والذي هو يطعمني ويسقيني . والمرضت فهو يشفين « فترى أنه في مقام تعداد النعم أسندها كلها إلى الله فقال : « يا حي ، يا قيوم ، يطعمني ، يسقيني ، ولكنه أسند المرض إلى نفسه فقال : « يا حي ، يا قيوم ، يمرضني » ثم أسند الشفاء إلى الله فقال (فهو يشفين) .

ومنه ما جاء في القرآن في أهل الكتاب فإنه حين يقول « آتيناكم الكتاب » بإسناده يكون ذلك في مقام المدح لهم فإذا أراد ذمهم قال (أوتوا الكتاب) ببناء الفعل على المفعول وذلك نحو قوله تعالى : « الذين آتيناكم الكتاب يتلونه حق تلاوته » وقال : « الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » وقوله : « أولئك الذين آتيناكم الكتاب والحكم والنبوة » وقوله « والذين آتيناكم الكتاب يعلمون أنه من ربك بالحق » وقوله « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » .

١٨٨٠ ، بائع القوائد ٢/ ١٨ - ١٩ ، التفسير القيم ١٢ - ١٣ ، ٥٥٥ - ٥٥٦

ولكنه قال : « نبتد فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم »
وقال : « وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب » وقال : « مثل
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » وقال : « ألم تر إلى
الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق
منهم وهم معرضون » .

وقال : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن
تضلوا السبيل » .

وقال : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » .

وقال : « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم »
وهذا باب واسع في القرآن .

وتعود إلى قصة الخضر وموسى فترى أنه في قصة قتل الغلام يأتي بالضمير المشترك
قال : « فأردنا أن يبدلها ربها خيراً منه زكاة وأقرب رُحماً » وذلك لأن الأمر فيه
اشترك الخير والشر وهما قتل الغلام وهو شر في ظاهر الأمر ، وإبدال خير منه وهو
حسن قاتل الضمير كما اشترك الفعل ثم انظر إلى قوله : « أن يبدلها ربها خيراً
منه » فاستدل الإبدال إلى الله وحده لأنه خير محض .

وأما إقامة الجدار فهو عمل كله خير فاستدله إلى الله وحده فقال : « فأراد ربك
وعقب عليها جميعها بقوله (وما فعلته عن أمري) » .

ونحو هذا التعبير قوله تعالى (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم)
ففي النعمة أظهر الباري نفسه لأن النعم إنما تكون من الله (وما بكم من نعمه)
الله (ولأن فيه تكريماً للمتمتع عليهم وفي الغضب قال (المغضوب عليهم) ولم يلق
صاحب الغضب فكان هؤلاء مغضوب عليهم في هذا الوجود من كل جانب لا من
جانب واحد ^(١) والله أعلم .

(١) انظر التفسير الفهم ١٢ وما بعدها .

٢ - قوله تعالى : « وما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقباً »
(الكهف ٩٧) .

وهذه الآية قالها ربنا في السد الذي صنعه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس
باب ، قال تعالى على لسان ذي القرنين : « أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين
يدين قال انفضخوا حتى إذا جعله نارا قال أتوني أفرغ عليه قطراً . فما استطاعوا أن
يظهروه وما استطاعوا له نقباً » .

فقال : « وما استطاعوا أن يظهره » أي يصعدوا عليه ، ثم قال : « وما
استطاعوا له نقباً » .

وذلك أنه لما كان صعود السد الذي هو من قطع الحديد والنحاس المذاب أيسر
له به وأخف عملاً خفف الفعل للعمل الخفيف فحذف التاء فقال (استطاعوا أن
يظهروه) وطول الفعل فجاء بأكثر بناء له للعمل الثقيل الطويل فقال (وما استطاعوا
أن يظهروه) فحذف التاء في الصعود وجاء بها في النقب ، وهو تعبير لطيف بديع .

٣ - قوله تعالى في هذه السورة في قصة موسى والخضر أنه حين التفتي به قال له
(أنك لن تستطيع معي صبراً) ولكنه قال له في الأخير « ذلك تأويل ما لم
يشرح عليه صبراً » فإن موسى لما كان متعجلاً في الاعتراض على كل فعل يقوم به
ولم يصبر عجل له الخضر الفعل فحذف التاء ولما صرّفه فقال (تستطيع)
فأول اللقاء فإنه لا يلحق ذاك .

٤ - قوله تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم »

وقوله : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم »

فجعل الرزق في الآية الأولى للأولاد أولاً ثم للآباء ، وفي الآية الثانية جعله
لوالد أولاً ثم للأولاد ، وفي ذلك سر بديع ففي الآية الأولى أنهم يقتلون أولادهم
لأنهم لا يفتقرون في الحال فقال : « لا تقتلوهم فإننا نرزقهم وإياكم » أي
الله جعل لهم رزقهم فهم لا يفتقرون في رزقكم فلا تخشوا الفقر . وأما في
الآية الثانية فهم يقتلون أولادهم من الفقر الواقع بهم لا أنهم يخشونه فهم في حاجة
إلى الرزق الآن السريع ليعولوا أولادهم فعبّل لهم ذاك فقال : نحن نرزقكم

واياهم»^(١)

وتنحوه ما جاء في سورة الاعراف : «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً» (٤٦)
ولم يقل (ما وعدكم) بمقابل (ما وعدنا) وذلك لأن الكفار كانوا يتكرون اليوم الآخر جملة وتفصيلاً ولا يتكرون ما وعدهم به فقط فكأنه قال : هل وجدتم وعد ربكم حقاً؟ بخلاف المؤمنين فانهم كانوا ينتظرون ما وعدهم به من الخير والكرامة فقال (وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً)^(٢).

٤ - قوله تعالى : «سواء عليكم أذعنتموهم أم أنتم صامتون».

ولم يقل أذعنتموهم أم صمتتم فجاء بقوله (صامتون) على صيغة اسم الفاعل وذلك لأن الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد ، تقول : هو يحفظ وهو حافظ ، فمعنى (يحفظ) انه يفعل ذلك ومعنى (حافظ) انه متصف بهذا الامر وثابت له . ومثله هو يطلع وهو مطلع وهو يخطب وهو خطيب .
فالفعل يدل على الحدوث والتجدد والاسم يدل على الثبوت .

فاننا نرى انه في الآية جعل الصمت بصيغته الاسمية والكلام بصيغته الفعلية وذلك لأن الاصل في الانسان ان يكون صامتاً ولا يتكلم الا لحاجة تعرض له . فالانسان صامت اذا مشى واذا جلس واذا نام فان عرض له شيء نكلم . فالصمت هو الحالة الثابتة للانسان فكأنه قال : أذعنتموهم أم يقيمن على صمتكم^(٣) .
وشبهه به قوله تعالى في المنافقين «واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون» .

فاذا رأى المنافقون أهل الايمان قالوا (آمننا) بصيغته الفعلية الدالة على التجدد والحدوث واذا لقوا أصحابهم اظهروا ما في انفسهم من الكفر وظهرت نفوسهم على

(١) انظر تذييل القرآن ٢٦١ ، تحرير التحرير ٥٦١
(٢) انظر الكشاف ٥٤٩/١
(٣) انظر الكشاف ٥٩٢/١

سجيتها فقالوا (انا معكم انما نحن مستهزئون) فجاء به جملة اسمية مؤكدة بان
فخالف بين التعبيرين لاختلاف الحالين^(١) .

٥ - قوله تعالى في سورة البقرة ٥٨ - ٦٠ : «واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون . واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل انسان مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين » .

وقوله في سورة الاعراف (١٦٠ - ١٦٢) في القصة نفسها : «وأوحينا الى موسى اذ استسفاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل انسان مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون . واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وقالوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون» .

فانظر الى الفرق بين التعبيرين مع أن الموضوع واحد :

الأعراف

واذ قيل لهم

اسكنوا

وكلوا

وقولوا حطة . وادخلوا الباب سجداً

نغفر لكم خطيئاتكم

البقرة

واذ قلنا

ادخلوا

سجداً

واذ قلنا

واذ قلنا ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة

واذ قلنا ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة

ولم يظهر الرب نفسه لأنهم هنا لا يستحقون هذا التشريف وهو نحو قوله تعالى (أتيناكم الكتاب) و(أوتوا الكتاب) .

وقال في سورة البقرة (ادخلوا هذه القرية فكلوا) أي إن الأكل يكون عقب الدخول لأن الفاء تفيد التعقيب أي بمجرد دخولكم تأكلون تَوّاً . وأما في سورة الأعراف فقال (اسكنوا هذه القرية وكلوا) فالأكل لا يكون إلا بعد السكن والاستقرار وليس بعد الدخول . ثم لاحظ الفرق أيضاً فقد قال في سورة البقرة (فكلوا) أي إن الأكل يكون بعد الدخول تَوّاً ولم يأت بالفاء في الأعراف وإنما جاء بالزوا ليفيد أنه ليس هناك من تعقيب وإن الأكل سيحصل مع السكن ليس موقوتاً زمن . وفرق كبير بين الأمرين فهما كما تقول لشخص : أنت بمجرد دخولك يحنك الأكل تَوّاً .

أو تقول له : اذهب واسكن وإن الأكل يأتيك (غير محدد بزمن) .

وقال في سورة البقرة (رغداً) لأنه مناسب لتعداد النعم ولم يقل (رغداً) في سورة الأعراف لأن المقام مقام تفرّيع وتأنيب وانهم لا يستحقون رغبة العيش .

وقدم السجود في سورة البقرة ، على القول فقال : «وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة» للسينين والله أعلم :

الاول لأن السجود اشرف من القول لأنه اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد للمناسب مقام التكريم .

الثاني لأن السياق يقتضي ذلك فقد جاءت هذه القصة في عقب الأمر بالصلاة ، قال تعالى : «واقموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين . . . واستعينوا بالصبر والصلاة وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ، وهم إليه راجعون . يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم . . . » .

فمناسب ههنا تقديم السجود لاتصاله بالصلاة والركوع ، وكلا الأمرين مرفوع في سورة الأعراف فأخر السجود .

وقال في سورة البقرة (نغفر لكم خطاياكم) بجمع الكثرة لأن الخطايا جمع كثرة

وسنزيد
فبدل الذين ظلموا قولاً
فأنزلنا
على الذين ظلموا
يُفْسِقُونَ
وإذا استسقى موسى لقومه
فقلنا اضرب
فانفجرت
سنزيد
فبدل الذين ظلموا منهم قولاً
فأنزلنا
عليهم
يظلمون
إذا استسقى قومه
وأوحينا إلى موسى . . . أن اضرب
فانفجرت

فما سر هذا التفسير؟

إن سر التفسير يتضح من الاطلاع على سياق الآيات في السورتين فسياق هذه الآيات في سورة البقرة هو تعداد النعم التي أنعمها الله على بني إسرائيل ويبدأ الكلام معهم بقوله : «يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين» . (البقرة ٤٧)

ثم يأخذ يسرد النعم عليهم ويذكرهم بها .

أما في سورة الأعراف فالمقام مقام تفرّيع لبني إسرائيل وتأنيب فإن بني إسرائيل قوم لا يتمظنون فإنهم بعد ما أنجاهم من البحر وأغرق آل فرعون طلبوا من موسى أن يجعل لهم أصناماً يعبدونها ، وعندما ذهب موسى لميقات ربه عبدوا العجل ، وأنهم كانوا ينتهكون محارم الله فقد طلب الله منهم أن يعظموا حرمة السبت فانتهكوها وأخذوا يصطادون الخيتان فيه إلى غير ذلك .

فالفرق واضح بين السياقين فناسب بين كل تعبير والمقام الذي ورد فيه ، وانظر إلى توضيح ذلك .

قال تعالى في سورة البقرة (وإذا قلنا) فأسند الرب القول إلى نفسه وهو تشريف وتكريم كما مر بنا سابقاً ، وفي سورة الأعراف (وإذا قيل اسم) فينبى القول للمجهول

وهو مناسب لمقام تعداد النعم والتكريم أي مهما كانت خطاياكم كثيرة فانا نغفرها لكم، وقال في سورة الاعراف (خطبتانكم) يجمع القلة لأن الجمع السالم يفيد القلة أي يغفر لهم خطيئات قليلة وهو مناسب لمقام التقرير والتأنيب.

وقال في سورة البقرة (وستزيد) فجاء بالنوا والذالة على الاهتمام والتنويع ولم يجيء بها في سورة الاعراف والسبب واضح.

وقال في سورة البقرة (فبدل الذين ظلموا قولاً) وقال في سورة الاعراف (فبدل الذين ظلموا منهم) وذلك لأنه سبق هذا القول في هذه السورة قوله تعالى (ومن قوم مرسى امة يبدون بالحق وبه يعدلون) (الاعراف ١٥٩)

أي ليسوا جميعاً على هذه الشاكلة من السوء فناسب هذا التبعض التبعض في الآية السابقة.

وقال في سورة البقرة (فانزلنا) وقال في سورة الاعراف (فأرسلنا) ذلك لأن الارسل اشد في العقوبة من الانزال قال تعالى في اصحاب الثيل (وارسل عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول). وكل منهما يناسب موطنه.

وقال في سورة البقرة (على الذين ظلموا) وقال في سورة الاعراف (عليهم) وهو اعم من الأول، أي أن العقوبة اعم وأشمل وهو المناسب لمقام التقرير.

وقال في سورة البقرة (بما كانوا يفسقون) وقال في سورة الاعراف (بما كانوا يظلمون) لأن الظلم اشد من الفسق وهو المناسب لـ «ارسل» العذاب فذكر في كل سياق ما يناسبه.

وقال في سورة البقرة: «واذا استسقى موسى لقومه» فموسى ههنا هو الذي استسقى ربه لقومه، وقال في سورة الاعراف (اذا استسقاء قومه) أي ان قوم موسى استسقوا موسى والحالة الاولى اكمل وأبلغ في النعمة.

وقال في سورة البقرة (فقلنا اضرب) وقال في سورة الاعراف (واوحينا الى مرسى... ان اضرب) فان القول المباشر من الله اكمل واشرف من الالهام.

وقال في سورة البقرة (فانفجرت) وقال في سورة الاعراف (فانبجست) وثمة فرق بين الانفجار والانبجاس فان الانفجار للماء الكثير، والانبجاس للماء القليل، وكل منهما يناسب موطنه. فان المقام في سورة البقرة مقام تعداد النعم كما ذكرنا. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية ان موسى هو الذي استسقى ربه فناسب اجابته بانفجار الماء. ومن ناحية ثالثة ان الله قال لموسى اضرب بعصاك الحجر ولم يوح اليه وحياً فناسب ذلك انفجار الماء الكثير الخيزر، بخلاف ما ورد في سورة الاعراف فجاء الانبجاس^(١)، والله اعلم.

وقيل ان الماء اول ما انفجر كان كثيراً ثم قل بعصيانهم فعبر في مقام المدح الانفجار وفي حالة الذم بالانبجاس.

وهذا تعبير - كما ترى - في غاية الدقة والجمال.

وليس جمال التعبير القرآني منحصراً في هذا المجال بل هذا باب ضيق من ابواب الجمال. ولنا الآن بصدد تبين محاسن التعبير القرآني فانه باب يطول ويتسع ولعل الله ييسر لنا اخراج شيء من ذلك في قابل الايام. ولكن هذه امثلة ذكرناها لتبين من جمال التعبير القرآني يقوم على ابدال لفظة مكان لفظة او تعبير مكان تعبير. اما التصوير الفني والتقديم والتأخير والاختيار العلمي والأدبي لللفظة على اختيار المذكر والمخفف وغير ذلك من ابواب البلاغة والادب فهو أمر يطول وبطول.

الاعجاز العلمي

القرآن ليس كتاباً في علم من العلوم وإن كانت فيه مسائل علمية في غاية الدقة. وليس من الصحيح محاولة تفسير القرآن بالامور العلمية غير الثابتة فان العلم يتطور يوماً بعد يوم، والنظريات العلمية عرضة للتغيير والنقص، فهاذا يكون نصيب التفسير القرآني عند ذلك؟

ولكن اذا ثبت شيء من الحقائق العلمية التي لا تقبل النقض وكان في القرآن ما

(١) انظر معترك الاقران في اعجاز القرآن ١/ ٨٧ - ٨٨

يؤيدها أو يقررها فلا بلس اننا نقول ان هذا يوافق ما في القرآن الكريم ، وهو اعجاز علمي . ولندكر على سبيل المثال بضعة امثلة من امثلة الاعجاز العلمي بصورة مختصرة :

١ - ما ذكره الله في تكوين الجنين في الرحم وذكر أطواره من نقطة الى علقه الى مضغة الى غير ذلك من الأطوار مما لا يمكن الاطلاع عليه ولا معرفته آنذاك ، ولم يعرف أمره إلا بعد ظهور علم التشريح والتصوير الشعاعي .

وثبت ان ما اكتشف في ذلك وانتهى اليه موافق لما في القرآن الكريم فدل ذلك على ان القرآن لا يمكن ان يكون من صنع رجل امي عاش في بيئة بدوية قبل اكثر من الف واربعمائة سنة وانما هو قطعاً من عند الله خالق البشر .

٢ - الضغط الجوي : قال تعالى : «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء» (الأنعام ١٣٥) وهذه الظاهرة التي ذكرها القرآن وهي ظاهرة ضيق التنفس في الطبقات العليا في الجو لم نكتشف الا بعد اختراع الطائرات والبالونات وهي ظاهرة تحصل نتيجة لاختلال الضغط الخارجي وزيادة الضغط الداخلي .

ولا يمكن الوصول الى معرفة هذا الشيء لولا الطيران ، فذكر القرآن لهذه الظاهرة قبل اختراع الطيران بقرون كثيرة بدلنا بصورة فاطمة على ان القرآن لا يمكن ان يكون كلام بشر وانما هو كلام الله خالق الكون ومبدع السماء والأرض .

٣ - تمدد الكون وتوسعه : قال تعالى : «والسمااء بآياتها مبثوثة وإنا لمدبرون» (الذاريات ٤٧)

يثبت القرآن توسع الكون وتعدده بصورة مستمرة وليس الكون ذا سعة ثابتة - كما يذكر القرآن - وهذا أمر عجيب اذ لم يكن يخطر على بال بشر ان الكون يتسع بصورة مستمرة حتى اثبت العلم الحديث هذا الأمر . فان الكواكب السديمية تبعد بصورة مستمرة عن بعضها ويحدث تبعاً لهذا توسع في المجال الفضائي بصورة مستمرة وهذا انجاز علمي عظيم ، جاء في (الظاهرة القرآنية) : «وهكذا يبدو الفضاء في نظر القرآن وكأنه لا ينتهي وكأنه يزداد على الدوام . هذه الفكرة التي اصبحت الآن علمية هي

التي هالت اثنتان نفسه عندما اكتشف عالم الطبيعة هابل Hubble ان الكواكب السديمية تبعد عن سديتنا واستتبط عالم الرياضات البلجيكي الفيس لو مثر Lemaitre من ذلك نظرية امتداد الكون . . .

وهل يستطيع احد ان يقول بان معالم كهذه قد انبثقت من عقل أمي ؟^(١)

٤ - انفصال الأرض عن السماء : قال تعالى «وأولم ير الذين كفروا ان السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون» (الانباء ٣٠)

فالقرآن يخبر ان السماوات والأرض كانتا رتقا اي كانت كتلة واحدة ففتقها رهما فخالقها . وهذا يتفق مع أحدث الآراء العلمية الحديثة ولا تزال الابحاث العلمية لا بد هذا المذهب بصورة مستمرة . وهو اعجاز علمي آخر .

٥ - كروية الأرض : قال تعالى : «يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل» وتكويرها بفتحي تكوير ما تحتها . ولا يظن ظاناً اننا ذهبنا الى هذا الرأي في التفسير الآية بعد اثبات كروية الأرض في العصر الحديث ، فقد استدل بذلك علماء المسلمين قبل زهاء الف عام . قال الامام ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ في كتابه (المفصل في الملل) في بحث كروية الأرض : «بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها ، قال الله عز وجل (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض مأخوذ من كور العمامة وهو ادائها . وهذا نص على تكوير الأرض»^(٢) . وهو تفسير علمي طريف حقاً .

٦ - حركة الأرض : قال تعالى : «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون» (النمل ٨٨)

لهذا فيما نرى نص على حركة الأرض ، وقد يقول قائل ان المقصود بهذا التفسير هو تسيرها يوم القيامة . ولكن قوله (صنع الله الذي اتقن كل شيء) يبنى هذا التفسير فيما نرى . فان قوله (صنع الله الذي اتقن كل شيء) يقصد بها خلقها

(١) الظاهرة القرآنية ٢٩٢ - ٢٩٣

(٢) المفصل في الملل ٢/ ٩٥

وحالتها الطبيعية وليس المقصود صنعها يوم القيامة ، فانه في يوم القيامة يتغير نظام الكون فتساقط الكواكب وتكوى الشمس وتزلزل الارض وتتفجر البحار فلا يناسب هذا القول والله اعلم .

القصص القرآني :

القصص القرآني على قسمين :

قسم لا يعرفه اهل الكتاب ولم يذكر في كتبهم كقصص هود وصالح وشعيب وما حصل لهم مع اقوامهم قوم عاد وثمود وغيرهم .

وهم في الغالب يقفون منه موقف المنكر له . وقد انكر وجود هذه الأقوام قسم عن تسمى بالعلم وانتسب إليه من المستشرقين وغيرهم ، ومن اقطاب هؤلاء المستشرقين «من انكر عاداً وثمود وأنكر الكوارث التي أصابتهم بغير حجة الا انه يحسب ان المنكر لا يطالب بحجة ولا يعاب على النفي الجازف . فما لبثوا طويلاً حين تبين لهم ان عاداً (Oadita) وثمود «Thamudida» مذكورتان في تاريخ بطليموس وان اسم عاد مقرون باسم إدم في كتب اليونان فهم يكتبونها «ادراميت» Adramitae ويؤيدون تسمية القرآن لها بعاد إدم ذات العهد . وعثر المنقب موزيل التشكي Musil^(١) صاحب كتاب الحجاز الشامي على آثار هيكل عند مدين منقوش عليه كلام بالنيطة واليونانية وفيه اشارة الى قبائل ثمود»^(٢) .

والقسم الآخر من القصص القرآني ما هو مذكور في كتبهم كقصص خلق آدم من تراب ووضعه في جنة عدن واخراجه منها ، وقصة نوح والطوفان وقصة ابراهيم ولوط واهلاك قومه ، وقصة يعقوب ويوسف وموسى وأيام بني اسرائيل بالتفصيل كاستعباد فرعون لهم وقتيل ذكورهم وولادة موسى وقتله المصري وهروبه الى مدين وزواجه بنت شعيب ثم اصطفاه موسى لارساله الى فرعون وتأنيده بالمعجزات وما

(١) Northern Hejaz by Musil

(٢) مطلع النور لعباس محمود العقاد ٧٤

حصل له مع السحرة وخروج موسى ببني اسرائيل وايباس طريق لهم وسط البحر ومناجاة الرب لموسى وفتنة بني اسرائيل في عبادتهم العجل وتيهيم أربعين سنة ، وضرب الحجر وانفجار الماء منه وسؤالهم الفتاء والبصل ونحوها .

وغير ذلك من الايام في زمن داود وسليمان وغيرهما من الانبياء والاحداث بتفصيل دقيق مما لم يكن يعلمه الرسول ﷺ ولا قومه قبل ان ينزل في القرآن . وقد ذكر القرآن هذا الأمر فقال في عقب قصة نوح «تلك من انبياء الغيب نوحينا اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين» (هود ٤٩) .

وقال في عقب قصة يوسف التي ذكرها بالتفصيل «ذلك من انبياء الغيب نوحينا اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يحكرون» ، وقال : «وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين . ولكننا انشأنا قروناً فتناول عليهم العمر وما كنت ثابوا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون» . (القصص ٤٤ - ٤٦) .

وقال بعد أن ذكر نذر امرأة عمران وولادة مريم ونشأتها ودعوة زكريا وتبشيرها بهيى : «ذلك من انبياء الغيب نوحينا اليك وما كنت لديهم اذ يلقيون اقلامهم ايهم بكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون» . (آل عمران ٤٤) .

فهذه القصص كما اخبر القرآن لم يكن يعلمها محمد ولا قومه ، فمن اخبره اذن بها ان لم يكن يعلمها هو ولا قومه كما يذكر القرآن ، والقرآن اصدق وثيقة تاريخية للمجتمع العربي آنذاك ؟ من اعلمه بهذه القصص والاخبار وهو لم يتعلمها من احداً ؟

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قوله تعالى «تلك من انبياء الغيب نوحينا اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا» : «فذكر سبحانه ان هذا الذي أوحاه اليه من انبياء الغيب ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا» .

فاذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من اهل الكتاب ولا من غيرهم وهو لم يعاشر الا قومه ، وقومه يعلمون ذلك منه ويعلمون انهم لم يكونوا يعلمون ذلك ويعلمون

أيضاً انه هو لم يكن تعلم ذلك وانه لم يكن بعاشر غيرهم وهم لا يعلمون ذلك صار هذا حجة على قومه وعلى من بلغه خبر قومه» (١)

وقال: «واخبرهم عن قصة الخليل وما جرى له مع قومه وإلقائه في النار... وغير ذلك من قصص الانبياء والصالحين والكفار مفصلة مبينة بأحسن بيان وأتم معرفة مع علم قومه الذين يعرفون أحواله من صغره الى ان ادعى النبوة انه لم يتعلم هذا من بشر بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك لا يهودي ولا نصراني ولا غيرهم. كان هذا من عظيم الآيات والبراهين لقومه بأن هذا انما اعلمه به وانباه به الله...»

ثم سائر أهل الارض يعلمون انه لم يتعلم ذلك من بشر من طرف: احدها ان قومه المعادين له الذين هم من أحرص الناس على القدح في نبوته مع كمال علمهم لو علموا انه تعلم ذلك من بشر لطعنوا عليه بذلك وأظهروه. فانهم - مع علمهم بحاله - يمتنع ان لا يعلموا ذلك لو كان ، ومع حرصهم على القدح فيه يمتنع ان لا يقدحوا فيه ويمتنع ان لا يظهر ذلك.

الثاني : انه قد تواتر عن قومه انهم كانوا يقولون : انه لم يكن يجتمع به من يعلمه ذلك .

الثالث : انه لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من أهل الكتاب مع عداوته لهم لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه . ولو أظهروا لنقل ذلك وعرف فان هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها» (٢) .

وقال الفخر الرازي : «ان هذه القصص دالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام لأنه عليه السلام كان أمياً وما طالع كتاباً ولا تلمذ اسنذاً فاذا ذكر هذه القصص على الوجه من غير تحريف ولا خطأ دل ذلك على انه إنما كان عرفها بالوحي من الله وذلك يدل على صحة نبوته» (٣) .

(١) الجواب الصحيح ٤ / ٣٤

(٢) الجواب الصحيح ٤ / ٢٤ - ٢٥ ، وانظر ٣ / ٢٦١

(٣) تفسير الرازي ١٤ / ١٤٦

ولقد ذكر القرآن الكريم أن بعض قومه ادعى ان بشراً يعلمه فقال : «ولقد نعلمهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي» (النحل ١٠٣)

ولقد ذكر القرآن هذا القول رداً كافياً وإفياً فقال: ان لسان هذا الشخص الذي ادعى انه اعجمي وهذا لسان عربي معجز ، ولم يعقبوا على هذا الرد فاتضح ان هذا كان كافياً . ومن ايسر ما يرد به هذا القول ان الرسول كان يُسأل في مجالس المدينة وامكن كثيرة وكان يسأل في الطرقات في مكة والمدينة ثم ينزل عليه الوحي في ذلك فأيّن كان هذا الذي يعلمه ؟

ولقد ذكر القرآن ان هذا الذي يسرده من القصص والأخبار لم يكن يعلمه هو ولا غيره فلماذا لم يقولوا نحن سمعناه من فلان أو فلان ؟

فليوضح ان هذا القول انما هو من قبيل المكابرات كفولهم هو ساحر أو كاهن أو ما شئت من جنس ذلك وهم يعلمون ان هذا غير صحيح .

ولقد كان احبار اليهود في المدينة يسألونه سؤالات مختلفة عما لم يكن يعلمها أحد منهم فكان يجيبهم عن سؤالاتهم جميعاً واسلمهم عن طريق هذه السؤالات كبيرهم عبد الله بن سلام وآخرون وقد أشار القرآن الى ذلك فقال : «اولم يكن لهم ان يعلمه علماء بني إسرائيل» (الشعراء ١٩٧) وقال : «قل أريتكم ان كان من عند الله كفرةتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين» . وقال : «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . واذا هم قالوا آتونا آتنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين» (القصص ٥٢) .

ولقد ذكر القرآن ان جماعة من الفريسيين والرهبان سمعوا القرآن فبكوا وآمنوا قال : «ولتجدن أقرهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري ذلك بأن منهم موعود وهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آتنا فاكثبنا مع الشاهدين» .

ويذكر القرآن الكريم ان قسماً من اهل الكتاب من ابقاء العناد والمكابرة مصرأ على كفره مع علمه بأن محمداً نبي يوحى اليه فقال: «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» (البقرة ١٤٦)

ومن غريب المكابرات انهم سألوه من وليك من الملائكة؟ فأجابهم ان وليي جبريل ، فقالوا له لو كان وليك سواء من الملائكة لتابعناك وصدقناك ولكن جبريل عدونا فانزل الله تعالى «قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدفاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمسلمين» (البقرة ٩٧)

قال الطبري: «اجمع اهل العلم بالتأويل جميعاً على ان هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني اسرائيل اذ زعموا أن جبريل عدو لهم وان ميكائيل ولي لهم»

وسبب ذلك ان جماعة من اليهود جاؤوا يسألون رسول الله ﷺ عن امور يعلمهن الا نبي ، فأخذ منهم عهد الله وميثاقه انه اذا أجابهم ليطاعنه على الاسئلة فأجابوا الى ذلك . فقال لهم : سلوني عما شئتم .

وسألوه عما أرادوا فأجابهم عنها كلها ، وكانوا يصدقونه فيما يقول ، وكان يقول : اللهم اشهد .

ثم قالوا له : انت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة ؟ فعندها تابعتك وتفارقك .

قال : فان وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط الا وهو وليه .

قالوا : فعندها تفارقك . لو كان وليك سواء من الملائكة تابعتناك وصدقناك

قال : فيما يمنعكم ان تصدقوه ؟ قالوا : انه عدونا فانزل الله عز وجل : «قل

كان عدواً لجبريل . . . »

فاتضح بذلك ان هذا القصص من أظهر الأدلة على صدق نبوته ﷺ

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم لم يكن يسرد القصة كما جاءت في اسفار اهل الكتاب تماماً وانما هو قد يزيد عليها أموراً يجهلها اهل الكتاب أو يصحح معلومات غلطه عندهم . فما لم يكن يعلمه اهل الكتاب ولا ذكر في كتبهم مثلاً مسألة ابن نوح وغرقه ، واضرام النار لاهراق ابراهيم ، وإيمان امرأة فرعون ، والنجاء فرعون ببدنه من الغرق فالتوراة لم تذكر ان فرعون نجي ببدنه من الغرق ولكن رواية القرآن تكمل هذا العرض بتفصيل غير متوقع وهو أيضاً غير عادي اعني «الشجرة البدنية» لفرعون الذي افلت بأعجوبة من الغرق . لكن علماء الدراسات المصرية وخاصة يهاجون الرواية الكتابية مدعين ان تاريخ ملوك مصر لم يسجل استثناء فرعون المعاصر لموسى في البحر الأحمر ولنتأمل الآن ما ذكرته الرواية القرآنية . . . «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية»

وجسد فرعون هذا لا يزال في متحف الآثار القديمة بمصر ليكون لمن خلفه آية فأي اعجاز هذا ، يا أرباب العقول ؟

وما لم يكن يعلمه اهل الكتاب نطق الجبل فوق بني اسرائيل كأنه ظلة ، وكلام المسيح في المهد وانزال المائدة من السماء والاقتراع لكفالة مريم وتربيتها وغير ذلك .

ومن تصحيحات القرآن لمعلومات اهل الكتاب ما ذكره «ان الذي صنع العجل الذهبي الوثني ودعا بني اسرائيل لعبادته هو السامري «الشعروني» وهو من سبط سادق بن يعقوب ، والتوراة تقول في الفصل الثاني والثلاثين من سفر الخروج : ان هرون هو الذي صنع ذلك ودعاهم لعبادته . مع ان هرون نبي كلمه الرب مع

(١) تفسير الطبري ٤٣١ / ١ وما بعدها ، تفسير ابن كثير ١ / ٢٢٩ وما بعدها .

(٢) الظاهر القرآنية ٢٥٨

(٣) الجواب الصحيح ٥٤ / ٤ ، قصص الانبياء لعبد الوهاب النجار ٤٠ - ٤١ ، ٢٣٥ ، الرحلة للدرسية للشيخ البلاغي ٢٢ ، الوحي للمحمدي ٩٣

موسى كما تقول التوراة في (اللاويين) الاصحاح الحادي عشر والاصحاح الرابع عشر (والمعد) الاصحاح الثاني والرابع (١١). فكيف بأمرهم هرون بعبادة العجل وهو نبي؟

والقرآن يقول ان هرون منعهم ونصحهم ولكنهم أصروا على فعلتهم - قال تعالى : « ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنتهم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى » . وهو اللائق بمقام النبوة .

ومن ذلك قولهم ان موسى وهرون والسبعين شخصا من شيوخ بني اسرائيل رأوا الله سبحانه وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق (١٢) . جاء في (سفر الخروج) - الاصحاح الرابع والعشرين :

٩١ ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل . ٩٢ ورأوا إله اسرائيل وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة . ٩٣ ولكنه لم يمد يده إلى اشراف بني اسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا .

بينما يذكر القرآن ان هذا ما كان ولا ينبغي ان يكون قال تعالى : « واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذناكم بالصاعقة وانتم تنظرون » .

وبذكر القرآن ان موسى سأل ربه ليريه نفسه فأخبره الرب ان هذا لا يكون قال تعالى : « ولما جاء موسى لبعثنا وكلمه ربه قال رب اني انتظر البك . قال لن فراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين » (الاعراف ١٤٣)

وفي القرآن اعلاء لمقام الانبياء وتزويدهم عن السقطات التي لا تليق بأحاديثهم والتي تلصقها تحريفات التوراة بهم والعهد القديم . من ذلك ما جاء في (سفر التكوين) الاصحاح التاسع عشر : ٣١ ان بنتي لوط اسكرنا أباهما واضطجعنا معهما

فأزلهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب والصغيرة ولدت ابنا أيضا اسمته بن .

ومن ذلك ما جاء في (سفر التكوين) الاصحاح السابع والعشرين وفيه ان نبي الله يعقوب خدع ابيه اسحاق وكذب عليه وادعى انه ابنه (يعسو) واتخذ بركته بكر .

ومن ذلك ما جاء في (صموئيل الثاني) الاصحاح الحادي عشر ان نبي الله داود زنى امرأة اوريا وأنه ارسل زوجها في وجه الحرب الشديدة ليموت وبعد موت زوجها ضمه داود الى بيته وصارت له امرأة .

وان داود احتقر كلام الرب وعمل الشر في عينه (صموئيل الثاني) - الاصحاح الثاني عشر .

علما بأن ذلك محرم في التوراة بل هو من كبائر المحرمات وان فاعله يستحق العذاب . جاء في (سفر التثية) الاصحاح الثاني والعشرين : « اذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة يعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتتزع الشرم من اسرائيل » .

لنبي الله داود على زعمهم مخالف للتوراة مرتكب لكبيرة يستحق عليها القتل .

وفيه ان ابشالوم بن داود زنى بسراري ابيه امام جميع امرائيل على السطح (صموئيل الثاني - الاصحاح السادس عشر ٢٠) .

ولما مات ابشالوم كان داود يبكي ويقول : يا ابني ابشالوم يا ابني ابشالوم يا ابني ابشالوم عنك يا ابشالوم ابني يا ابني . (صموئيل الثاني - الاصحاح الثامن عشر ٣٣) وانظر ايضا الاصحاح التاسع عشر ٤ من هذا السفر .

علما بأن ابشالوم يستحق القتل كما جاء في التوراة جاء في سفر (اللاويين) الاصحاح العشرين : ١٠ واذا زنى رجل مع امرأة فاذا زنى مع امرأة قريبه فانه يقتل الزاني والزانية . واذا اضطجع رجل مع امرأة ابيه فشد كشف عورة ابيه انها ملعنة كلاهما .

وداود كان ملكا بيده السلطان فكان الذي عليه ان يقتل هذا الزاني المستهتر

(١) انظر الرحلة المدرسية ٣١

(٢) انظر الرحلة المدرسية ٦٥

ويقيم عليه الحد . فداود يخالف لكتاب الله يخالف لحكمه كما يصوره الكتاب المقدس علماً بأنه من اكبر الانبياء عندهم . فهل هذا مقام الانبياء ؟

ومن ذلك ان نبي الله سليمان آخر عمره صار يركض وراء النساء فأملن قلبه وكفر وارثه وعيد آلهة اخرى من دون الله ، جاء في سفر (الملوك الاول) - الاصحاح الحادي عشر : ١ « وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات . ٢ من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان هؤلاء بالمحبة . ٣ وكانت له سبعائة من النساء السيدات وثلاثائة من السراري فأما لم يسلوه قلبه . ٤ وكان في زمان شيخوخة سليمان ان نساء املن قلبه وراء آلهة اخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب لأنه كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء عشتورت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعقل سليمان الشر في عيني الرب . . الخ

قآين هذا من الفصل القرآني المشرق المضي ؟!

ومن ذلك تنزيه القرآن الله عما لا يليق به تعالى عما تذكره التوراة من ذلك ما جاء في قصة آدم ان الله كذب على آدم والحية صدقته فالحية اصدق من الله . كما تقول التوراة - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . جاء في (سفر التكوين) - الاصحاح الثاني :

١٥ وأخذ الرب الاله آدم ووضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها . ١٦ وأوصى الرب الاله آدم فأثلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً . ١٧ وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت .

الاصحاح الثالث :

١ وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الاله . فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكل من كل شجر الجنة ٢ فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة تأكل . ٣ وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكل منه ولا تمسه لأنك تموت . ٤ فقالت الحية للمرأة لن تموت . ٥ بل الله عالم انه يوم تأكلان منه تتفتح

أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر . . ثم تذكر التوراة أكلهما من الشجرة التي ان تقول :

٢٢ وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر . والآن له يد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا الى الابد .

٢٢ فأخرج الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها .

وهكذا تظهر التوراة الرب كاذباً والحية صادقة ، قاله يقول لآدم وزوجه انكما اذا تأكلان من هذه الشجرة تموتان موتاً والحقيقة انها شجرة معرفة الخير والشر كما أتخبرت الله . هذا من ناحية .

ومن ناحية ثانية لست أدري ما معنى كلام الله عن الانسان انه (قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر) فمن هم هؤلاء الجماعة ؟ أهم آلهة مع الله أم من يكون

أهل يليق هذا بجلال الله وتوحيده وتنزيهه ؟!

ومن ذلك ما ذكرته ان يعقوب صارع ربه الى طلوع الفجر فلم يتمكن ربه عليه . الرب حاول ان ينقل من يعقوب فلم يتمكن حتى باركه ربه .

سأ في (سفر التكوين) الاصحاح الثاني والثلاثين :

٢١ فبقي يعقوب وحده . وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ٢٥ ولما رأى انه لا يستطيع عليه ضرب حتى فخذ . فاتخلى حتى فخذ يعقوب في مصارعة معه . ٢٦ فقال له اطلقني لأنه قد طلع الفجر . فقال : لا اطلقك ان لم تباركني . ٢٧ فقال : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب . ٢٨ فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . ٢٩ وسأل يعقوب وقال : اخبرني لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك .

ومن ذلك ان الرب قال لموسى : انا جعلتك الها لفرعون وهرون نبياً لك جاء في (الطروج) الاصحاح السابع عشر : ١ فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك الها

لفرعون . وهرون اخوك يكون نبيك .

أهذا هو مقام الألوهية ؟

والآن لنضرب مثلاً صغيراً لقصة وردت في التوراة وفي القرآن لنرى كيف يعالجها كل منهما وهي قصة ابراهيم وضيوفه :

جاء في (سفر التكوين) الاصحاح الثامن عشر :

« ١ وظهر له الرب [لابراهيم] عند بلوطات مبراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار . ٢ فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد الى الارض . ٣ وقال : يا سيد ان كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عيذك . ٤ ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة . ٥ فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تحتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم . فقالوا : هكذا تفعل كما تكلمت . ٦ فأسرع ابراهيم الى الخيمة الى سارة وقال اسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميداً . اعجني واصنعي خبز ملة . ٧ ثم ركض ابراهيم الى البئر وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله . ٨ ثم أخذ زبداً ولبناً والعسل الذي عمله ووضعها قدامهم واذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا .

٩ وقالوا له أين سارة امرأتك ؟ فقال : هاهي في الخيمة . ١٠ فقال : اني ارجع اليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة سائمة في باب الخيمة وهو وراءه . ١١ وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام وقد انقطع ان يكون لسارة عادة كالنساء . ١٢ فضحكت سارة في باطنها قائلة : أبعد فثائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ ؟ ١٣ فقال الرب لابراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفيالحقيقة ألد وأنا قد شخت ؟ ١٤ هل يستحيل على الرب شيء ؟ في الميعاد أرجع اليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن . ١٥ فأبكرت سارة قائلة : لم أضحك لأنها خافت . فقال : لا ، بل ضحكت .

١٦ ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم (موطن لوط) وكان ابراهيم ماثلاً معهم . ١٧ فقال الرب هل اخفي عن ابراهيم ما أنا فاعله ؟ . . .

ولننظر الى القصة نفسها في القرآن الكريم

جاء في سورة هود ٦٩ - ٧٤

« ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل خاشع . فلما رأى ابديهم لا تصل إليه نكروهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تحف انا رسلنا الى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراءه اسحاق وعدي . قالت يا ويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد . فلما جاءهم الرعوج وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط .

الآن لننظر الى الفرق بين ما جاء في التوراة وفي القرآن .

التوراة تقول :

١ - ان الله ظهر لابراهيم عند بلوطات . وحاشا لله أن يرى في الدنيا كما يرون .

٢ - نظر ابراهيم واذا ثلاثة رجال فسجد لهم ، ولستنا ندري من هؤلاء الرجال الذين سجد لهم رسول الله ابراهيم ؟

٣ - مخاطبته لهم بقوله : يا سيد إن كنت . . . الخ وهذا خلط فلا تعلم انه يخاطب ابراهيم أم مفرداً ، أم يخاطب لهاً واحداً أم آلهة ، انظر الى قوله : « قد مررتم على . . . » .

٤ - ان هؤلاء أكلوا من الطعام الذي اعده لهم ابراهيم .

٥ - يظهر أن في القصة ارتباكاً وخلطاً فمرة يجعل ضيف ابراهيم واحداً ومرة ثلثاً ، ثم لا ندري ان هؤلاء الرجال آلهة أم ملائكة ، ولكن مخاطبته لهم كمخاطبة الرب .

٦ - ان هذا بما جاء في القرآن الكريم وانظر اي الصورتين التي بمقام الله وملائكته ؟

٧ - هذا هو غلط القصص القرآني والقصص المذكور في الكتاب المقدس . فالقصص

الإخبار بالغيب

الإخبار بالغيب من أظهر الأدلة وأوضحها على نبوة الرسول وإن كان ليس هو الطريق الوحيد لإثبات نبوته .

وقد أخبر القرآن عن غيوب كثيرة فتحققت كلها فقام ذلك دليلاً صادقاً على صحة نبوته ﷺ ومن ذلك :

١- الإخبار بغلبة الروم :

قال تعالى : « ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في وضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله بنصر من يشاء هو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » . (سورة الروم ٦٤) .

« نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم حتى جاء إلى القسطنطينية وحاصره فيها مدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحاق عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض) . . . قال كان المشركون يعبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان وكان المسلمون يعبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب فذكر ذلك لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « أما انهم سيفلون » . . . وروي بطرق آخر صحيحة » (١) .

وصح عن أبي بكر أنه راى قریشاً على ذلك وربح الرهان وذكر أن الرهان كان

١١٠ ميسر ابن كثير ٣ / ٤٢٢ ، وانظر تفسير الطبري ج ٢١ ص ١٦ ، فتح القدير ٤ / ٢٠٧ - ٢٠٩ تفسير القرطبي ج ١٤ ص ١ وما بعدها ، تفسير الرازي ج ٢٥ ص ٩٥ ، أسباب النزول للمواحيدي ٣٦١ - ٣٦١ ، تنبئت دلائل النبوة ١ / ٥٩ وما بعدها .

القرآني يبدو مصححاً مكملاً لما جاء في الكتاب المقدس كما قال تعالى : « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦)

فهل بعد هذا نستطيع ان نقول ان عمداً أخذ القصص القرآني من علماء اهل الكتاب؟

أليس عجيباً ان هذا الرجل الامي يذكر قصة ذي القرنين مثلاً وشخصيته ورحلاته الحربية وبنائه السد الحديدي كما ورد في كتب التاريخ الفارقة في القدم والمعاصرة له والتي سجلها المؤرخون المعاصرون له من امثال هيرودتس وتي سيار وزينوفن والذين عاشوا قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة .

وقد اثبتت الدراسات الحديثة لما كتبه هؤلاء المؤرخون ، والتفتيشات الاثرية في اصطخر وغيرها ما ذكره القرآن بالتفصيل (١) وبما يدعو الى العجب .

فهل بعد هذا يمكن احداً ان يقول ان احداً غير الله يعلمه؟

(١) انظر الرسالة الطيبة التي كتبها ابو الكلام آزاد في هذا الموضوع وهي (شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن) .

على مائة قلووس مع أبي بن خلف^(١) .

من هذه الآيات نرى أن القرآن الكريم أخبر بأن الروم غلبوا ثم أخبر أنهم سيغلبون في بضع^(٢) سنين ، وأن المؤمنين سيفرحون بهذا النصر ، ثم قال : وهذا وعد فاعلم لا يتخلف .

وقد تم كل ذلك . فبعد بضع سنين من نزول هذه الآيات انتصر الروم على الفرس كما أخبر القرآن وقطع به .

فدل ذلك دلالة قاطعة على نبوته ﷺ . قال الفخر الرازي : « وهذه ذكر في أولها ما هو معجزة وهو الأخبار عن الغيب »^(٣) .

قد يقول قائل : إن هذا الأخبار هو من قبيل الخلدس والظن . ولكن سياق الآيات يرد هذا القول ، فهي تدل على القطع والتوكيد وأن النصر سيتم في خلال مدة معينة لا يتعداها . ثم هب أنهم لم يتصروا أفلا تتكس دعوة محمد ويكذب ؟ وقد جاء في الأخبار أن قريشاً لما سمعت بهذه الآية ضجوا وكذبوه وطلبوا الرهان على هذا فراهنتهم أبو بكر على مائة قلووس وقد علم الرسول ﷺ بهذا الرهن وأقره .

وقد يقول قائل : ومن أين نعلم أن هذا الحدث قد تم وحصل ؟ فنقول : إن حكم هذا النص من الناحية التاريخية ثابت قطعاً ، فإن القرآن أوثق خبر تاريخي عن المجتمع آنذاك فليس من الممكن أن يذكر شيئاً لا وجود له ، وإن مجرد ذكره يدل على أنه قد حصل وتم والا أصبح مسخرة وعبثاً .

إضافة إلى أن هذا الخبر متواتر في كتب التاريخ القديمة عند أهل الملل الأخرى فقد سجلته كتب النصرانية وغيرها فهذا مما لا شك فيه^(٤) .

(١) تفسير الطبري ج ٢١ ص ١٦ ، فتح القدير ٢٠٧/٤-٢١٩ .

(٢) البضع في لغة العرب من الثلاثة إلى التسعة .

(٣) تفسير الرازي ٢٥ / ٩٥ ، وانظر تثبيت دلائل النبوة ١ / ٥٩ وما بعدها .

(٤) انظر وصف الحالة بين الفرس والروم إلى انتصار الروم في (كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) تأليف البطريرك اغنيشوس المكنى بسعيد بن بطريق المطبوع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩ ج ٢ ص ٤٠١ .

وأذكر أنه كان لي زميل مادي فقلت له ذات يوم : ألا تفسر لي هذه الظاهرة ؟ وأكررتها له . فاعترض علي قائلاً : ومن أين لنا أن هذا حصل ؟

فقلت له : يهنا الآن من القرآن الدلالة التاريخية ، أفلا يُعَدُّ القرآن كتاب تاريخ من ذلك العهد ؟ فقال : بلى .

قلت : إذن فإن هذا قد حصل . ثم قلت له : ألا يدل ذلك على نبوة محمد ؟ فأجاب وهو في حالة ذهول : صحيح ، ثم غرق في تفكير عميق .

فانضح بيذاً أن محمداً نبي يوحى إليه وأن الذي أخبره علام الغيوب ، وما أصدق قول حسان :

لهي يري ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب فتصدقها في اليوم أو في ضحي الغد

٢ - وعده باستخلاف المؤمنين في الأرض :

قال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا (منكم) وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » (النور ٥٥) :

قال الطبري : « يقول تعالى ذكره (وعد الله الذين آمنوا . . .) ليستخلفنهم في الأرض » يقول : ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وسامتها^(١) .

وقال الحافظ ابن كثير : « هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد ويصير لهم العباد . وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم . وقد فعله بآلوك وتعالى وله الحمد والمنة »^(٢) .

(١) التفسير الطبري ٨ / ١٥٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٠٠ .

وقال الفخر الرازي : « دلت الآية على صحة نبوة محمد ﷺ » لأنه أخبر عن الغيب في قوله (ليستخلفنهم... أمناً) وقد وجد هذا المخبر موافقاً للخبر . ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل الصدق فدل على صدق محمد ﷺ » (١) .

فنحن نرى أن القرآن بعد المؤمنين الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين لهم بقوله (وعند الله الذين آمنوا «منكم»...) ثم يأتي بهذا الوعد مؤكداً بالنون وبإلام القسم (ليستخلفنهم، وليمكنن) وقد تم ذلك على يد أصحاب الرسول بعده كما وعد الله سبحانه فدل ذلك دلالة قاطعة على صدق نبوته ﷺ .

٣ - وعده بإظهار دين الإسلام على سائر الأديان :

قال تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (التوبة ٣٣) .

وقال : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً » (الفتح ٢٨) .

وقال : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (الصف ٨ ، ٩) .

فترى أن الله سبحانه يؤكد هذا الأمر في ثلاثة مواطن من القرآن الكريم قال الحافظ ابن كثير : « أي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها » (٢) .

(١) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ٢٤ وانظر تفسير القرطبي ١٢ / ٢٩٧ - ٢٩٨ ، أسباب النزول للواحدي ٣٤١ - ٣٤٢ ، فتح القدير ٤ / ٤٥ - ٤٦ ، تثبيت دلائل النبوة للهمداني ٢ / ٤٤٦

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٤٩ وانظر تفسير القرطبي ١٠ / ١١٦ ، تفسير القرطبي ٨ / ١٢١ ، التفسير الكبير للرازي ١٦ / ٤٠ ، فتح القدير للشوكاني ٢ / ٣٣٨

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) أن رسول الله ﷺ قال حين دعا إلى الله وفي قوله وحده وضعفه : « إن الله أرسلني ووعدني أن يظهر ديني على الأديان كلها » وكان سلطانني أقهر من سلطان كسرى وقيصر فأغلب الملوك ، ويعلمو ملكي وملك صاري وأتباعي كل ملك في الأرض ثم ما رضي بهذا القول حتى جعله كتاباً يقرأه إذا خلدأ يعرفه العدو والولي فقال : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق يظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً... » وقال أيضاً : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم... الكافرون » فكان كما قال وكما أخبر (٣) .

فدل ذلك على صدق نبوته ﷺ .

ومن الوعد بإظهار دين الإسلام قوله تعالى : « سريهم آياتنا في الآفاق وفيهم حتى ينبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ » (سجدة ٥٢) .

وهذا وعد بأن الله سينصر محمدًا وسريهم هذا النصر فيهم أنفسهم وفي الآفاق وهي الأمصار والبلاد حتى يعلموا أن ما وعده الله حق .

قال الفخر الرازي : « فهذا إخبار عن الغيب وقد وقع مخبره مطابقاً لخبره (الأنوار) فيكون هذا إخباراً صدقاً عن الغيب والإخبار عن الغيب معجزة » (٤) .

وجاء في الكشف : « يعني ما بصر الله عز وجل لرسوله ﷺ وللخلفاء من بعده صائر دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموماً وفي باحة العرب خصوصاً المنوخ التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على مبارزة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم... ونشر دعوة الإسلام في أقطار الكرة وبسط دولتها في أقاصيها . والاستقراء بطلعك في النوار يخ والكتب المدونة في أيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعها إلا علماً من أعلام الله بها من آياته بقوى معها اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين

الحق الذي لا يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه (١١).

وقال الحافظ ابن كثير: «أي سظهر لهم دلائلنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجة في الآفاق من التفرجات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان. قال مجاهد والحسن والسدي ودلائل في أنفسهم قالوا: وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم، نصر الله فيها عمداً ﷻ وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه».

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاختلاط والهيئات المعجبة كما هو مبسوط في علم التشريع الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى (١٢).

أما الاحتمال الثاني الذي ذكره ابن كثير فغير مراد والله أعلم لأن الكلام على القرآن وآياته فإن هذه الآية تأتي بعد قوله تعالى (قل أرايتم إن كان من عند الله ثم كثرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد)، فالسياق ياباه.

ثم إن قوله تعالى (حتى يتبين لهم أنه الحق) يعني حتى يتبين لهم أن القرآن أودب الله حق وهذا لا يثبت من علم التشريع، إذ ما علاقة التشريع بكون أن القرآن حق؟

إن علم التشريع يدل على حكمة الله تعالى ولا علاقة له بدين الإسلام فيظهر لهم أنه الحق.

ثم إن قوله (لهم) يعني أنهم هم المقصودون بذلك أي سيرهم الوعود التي وعدها الله نبيه من النصر حتى يظهر لهم أن ما قاله محمد وما وعده به ربه حق وأن الله شهيد على ذلك «أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد»؟

ومنه قوله تعالى في القرآن (إن هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين)

(١) الكشف ٣ / ٧٥ وانظر تفسير الطبري ج ٢٥ ص ٤، الفريابي ١٥ / ٣٧٤، فتح القدير ٢ / ٢٨٧
٥٠٨ / ٤
(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ١٠٥

(سورة ص ٨٧، ٨٨) والذكر الشرف فذكر أن القرآن شرف للعالمين وأنكم سترون ذلك بعد حين من الدهر وهو إلحاح إلى النصر الواسع العام.

ولنحوه قوله تعالى «لقد أنزلنا كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون» (الأنبياء ١٠) قال ابن عباس شرفكم وقال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم (١٣).

وجاء في (الكشاف): «ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال: «وإنه لذكر لك ولقومك» (١٤) وقال القرطبي: «فيه ذكركم» والمراد بالذكر هنا الشرف أي فيه شرفكم (وإنه لذكر لك ولقومك) (١٥).

وقال تعالى «وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون» (الزخرف ٤٤) أي شرف لكم ذلك ولقومك تذكرون بذلك، فكان كما قال إذ كان قومه مغمورين بمجهولين بآياتهم القرآن وشرفهم وصيرهم قادة الدنيا وسادتها، قال الهمداني في (تثبيت دلائل النبوة): «أي شرف ونبل وجلالة... ولهذا قال عز وجل لقريش في ابتداء المبحث: «ل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون» يريد القرآن وإنه عز ونبل وشرف وستشرف به من آمن بتمسك به ودعا إليه...

وفي مثل هذا المعنى قوله عز وجل: «ألم نشرح لك صدرك... ورفعنا لك ذكرك» فإن ذكره ارتفع بالصدق والوفاء وقيام الحجة (١٦).

ولنحوه قوله تعالى: «بل أتيناكم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون» (المؤمنون ٧١) قال الزمخشري: «بذكرهم أي بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو صيتهم بذكرهم» (١٧).

ولهذه الآيات كلها تشير إلى أن القرآن إنما هو رفعة لمحمد ولن آمن به فكان كما وهي من الأدلة الواضحة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

١٧٤ / ٣
الكشاف ٢ / ٣٢٢ وانظر الطبري ج ١٧ ص ٧، فتح القدير ٢ / ٢٨٧
الفريابي ١١ / ٢٧٣
دلائل النبوة ١ / ٨٤
الكشاف ٢ / ٣٦٦ وانظر تفسير الرازي ٢٢ / ١٤٥

٤ - وعده بنصر الرسول في الدنيا والآخرة :

قال تعالى : «من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فليظن هل يذهبن كيده ما يغيظ؟» (الحج ١٥)

والمعنى أن الله ناصر رسوله لا محالة في الدنيا وفي الآخرة ومن كان يظن غير ذلك فليخنق نفسه بحبل أو ليفعل ما يشاء فإن نصره كائن لا يتخلف. قال ابن كثير: «قال ابن عباس من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب أي بحبل إلى السماء أي سماء بينه ثم ليقطع يقول ثم ليخنق به . وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وأبو الجوزاء وفتادة وغيرهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (فليمدد بسبب إلى السماء) أي ليتوصل إلى بلوغ السماء فإن النصر إما يأتي محمداً من السماء ثم ليقطع ذلك عنه إن قدر على ذلك . وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم فإن المعنى : من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه فإن الله ناصره لا محالة» (١).

وجاء في (الكشاف) : «والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعدائه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه أنه بظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ جهوده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلاً إلى سماء بينه فاختنق» (٢).

وهو دليل قاطع على نبوته كما ترى .

ومن الوعود بنصر رسوله والمؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة قوله تعالى : «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد» (غافر ٥١).

فهو وعد بنصر الرسول والمؤمنين معه في الدنيا وفي الآخرة لأن محمداً من الرسل وأتباعه من الذين آمنوا فمحمداً وأتباعه داخلون في جملة الوعد وقد تم ذلك كما أخبر ،

قال في الآية (٥٥) بعد هذه الآية : «فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك» . ومع محمد ريك بالعشي والأيكار أي سيصيبكم النصر قطعاً وإن هذا الوعد حق . وخلف فاصبر تر ذلك .

وقد تحقق هذا الوعد كما قال الله . قال الشوكاني : «أي نجعلهم الغالبين . اللهم الفاهرين لهم . . . ونصر الذين آمنوا معهم في الحياة الدنيا بما عودهم الله . . . الانتقام منهم بالقتل والسلب والأسر والفهر ويوم يقوم الأشهاد وهو يوم القيامة» (٣).

وقال ابن كثير : «وهكذا نصر الله نبيه محمداً ﷺ وأصحابه على من خالفه . . . وكذبه وعاداه فجعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الأديان وأمره هو المرجع من بين ظهراني قومه إلى المدينة النبوية وجعل له فيها أنصاراً وأعواناً ثم منحه للمؤمنين يوم بدر ف نصره عليهم وخذلهم وقتل صناديدهم وأسر سرائرهم فاستاقهم في الأصفاد . . . ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة ففرت عنه بيلده وهو البلد الحرام الشرف المعظم . . . وفتح له اليمن ودانت له جزيرة العرب بكاملها . . . الناس في دين الله أفواجا» (٤).

ومن الوعود بنصر رسوله والمؤمنين وخذلان أهل الكفر قوله تعالى : «ولقد سيفتحننا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون . فتول عنهم . . . وأبصرهم فسوف يبصرون أيعذابنا يستعجلون . فإذا نزل بساحتهم فساء الحج المذبرين . وتول عنهم حتى حين . وأبصر فسوف يبصرون» . الصفات ١٧١ (١٧٤).

هذا وعد ثابت بنصر الرسول ﷺ والمؤمنين لأنه ﷺ من الرسل وأتباعه من المؤمنين فهم داخلون في الوعد . وما يدل على أن الرسول ﷺ وأتباعه مقصودون بالوعد قوله تعالى مخاطباً رسوله : «فتول عنهم حتى حين . وأبصرهم فسوف يبصرون» . إلى آخر الآيات . فأكّد أن النصر والغلبة حاصلتان للرسول وجنده بعد من الزمن وإن العذاب نازل بأهل الكفر وإنهم سوف يبصرون هذا العذاب

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٩١

(٢) الكشاف ٢/ ٣٤٣ وانظر تفسير الطبري ١٧/ ١٢٥ ، تفسير القرطبي ١٢/ ٢١ ، تفسير الرازي ج ٢٣ ص ١٦ . فتح القدير ٣/ ٤٢٧ ، تنبيه دلائل النبوة ٢/ ٣٤٩

فتح القدير ١/ ٤٨٢

سفر ابن كثير ٤/ ٨٤ وانظر الطبري ٢٤/ ٧٤

النازل بهم وغلبة الرسول عليهم فكان كما أخبر . جاء في (الكشاف) : «والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة» (١).

وقال ابن كثير : «يقول تبارك وتعالى : «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين» أي تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) وقال عز وجل (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ولهذا قال جل جلاله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون أي في الدنيا والآخرة) . . .

وقوله جل وعلا (فتوون عنهم حتى حين) أي اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل فإنا سنجعل لك العاقبة والنصر والظفر . ولهذا قال بعضهم حقاً ذلك إلى يوم بدر . . . وقوله جلّت عظمتهم (وأبصرهم فسوف يبيصرون) أي انظروهم وارقب ماذا يحل بهم من العذاب والتكاليف مخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد (فسوف يبيصرون) ثم قال عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون) (٢).

٥ - وعده بهزيمة أهل الكفر:

قال تعالى : «قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد» (ال عمران ١٢).

وعد الله محمداً هزيمة أهل الكفر ونحلاً لهم في الدنيا وفي الآخرة وقال له أخبر بذلك . وقد تم ما أخبر الله به رسوله وتحقق وعده فدل ذلك على صدق نبوته . قال الإمام الطبري : «إن أبا كريب حدثنا قال : ثنا يوسف بن بكير عن محمد بن إسحاق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد عن سعيد بن جبيرة عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود في سوق قينقاع فقال : يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً . فقالوا

محمداً لا تغربك نفسك إنك قتلت نفرأ من قريش كانوا أغياراً لا يعرفون القتال . قال والله لو قاتلنا لعرفت إنا نحن الناس وأنك لم تأت مثلاً . فأنزل الله عز وجل (الذين كفروا ستغلبون) (١) .

وقال ابن كثير : «(ستغلبون) أي في الدنيا (وتحشرون) أي يوم القيامة . . .» (٢) . وقال الشوكاني : «وقد صدق الله وعده بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وضع خيبر وضرب الجزية على سائر اليهود ولله الحمد» (٣).

وقال الفخر الرازي : «قوله (ستغلبون) إخبار عن أمر يحصل في المستقبل وقد وقع بغيره على موافقته فكان هذا إخباراً عن الغيب وهو معجز . ونظيره قوله تعالى (لست الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون)» (٤).

ويجوز هذا قوله تعالى في اليهود «منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضرركم الذين وإن يقاتلوكم يولوكم الأديار ثم لا ينصرون» . . .

١ - في ثبوت دلائل النبوة : «وباب آخر من آياته وعجيب إعلامه وهو إخباره عن نفسه فقال : «منهم المؤمنون» . . . إلى قوله : ثم لا ينصرون . . . فكان كما قال ، . . . كيف أخبرهم بها قبل وقوعها وأنذرهم بما يكون قبل أن يكون وجعلهم على

من ذلك قوله تعالى : «الم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن توتلتهم سراكم والله يشهد إنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا نصرهم ولئن نصرهم ليبولن الأديار ثم لا ينصرون» (الحشر ١١، ١٢).

أخبر الله محمداً بأن مواعيد المنافقين لليهود ينصرهم كاذبة كلها . وقد تبين صدق

(١) تفسير الطبري ١٩٢/٣ ، وانظر القرطبي ٢٤/٤

(٢) ابن كثير ٣٥٠/١

(٣) المنذير ٢٩١/١

(٤) الرازي ٢٠١/٧ وانظر تبيين دلائل النبوة ٤٣٥/٢

(٥) دلائل النبوة ٤٣٤/٢ - ٤٣٥

(١) الكشاف ٦١٥/٢

(٢) تفسير ابن كثير ٢٤/٤

(٣) فتح القدير ٤٠٣/٤

إخبار الله بذلك فإن المنافقين لم يخرجوا مع بني النضير الذين أخرجوا من المدينة، ولم يقاتلوا مع بني قريظة ولا خير.

قال ابن كثير: «يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير بعدوهم النصر من أنفسهم فقال تعالى: «الم تر إلى الذين نافقوا...» قال الله تعالى (والله يشهد إنهم لكاذبون) أي لكاذبون فيما وعدوهم به... (ولئن قاتلوا لا ينصروهم) أي لا يقاتلون معهم ولئن نصروهم أي قاتلوا معهم ليولين الأديار ثم لا ينصرون. وهذه بشارة مستقلة بنفسها»^(١).

وجاء في (فتح القدير): «وقد كان الأمر كذلك فإن المنافقين لم يخرجوا مع من أخرج من اليهود وهم بنو النضير ومن معهم، ولم ينصروا من قاتل من اليهود وهم بنو قريظة وأهل خيبر»^(٢).

وجاء في (الكشاف): «وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب...»^(٣). وجاء في (تفسير القرطبي): «وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد ﷺ من جهة علم الغيب لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا وقاتلوا فلم ينصروهم كما قال تعالى (والله يشهد إنهم لكاذبون)»^(٤).

ونحو هذا قوله تعالى: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فيسيفقونها ثم تكون حصة لهم حرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون» (الأنفال ٣٦).

فقد أخبر الرب أن هؤلاء ينفقون أموالهم للصد عن دين الله فيسيفقونها ثم يغلبون ولا يحنون شيئا سوى الندامة.

قال الحافظ ابن كثير: «قال محمد بن إسحاق حدثني الزهري ومحمد بن يحيى...»^(٥) حبان وعاصم بن عمرو بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعيد بن معاذ

إلخ لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره منى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصغوان بن أمية في رجال من قريش أصيب أبائهم وأبناؤهم وإخوانهم بدر فكلّموا أباسفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة. فقالوا يا معشر قريش إن محمداً قد وترككم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثاراً بمن أصيب منا ففعلوا. قال فقيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله عز وجل (إن الذين كفروا... الخاسرون). وكذا روي عن عاهد وسعيد بن جبير والحكم بن عيسى وقتادة والسدي وابن أبي أنزلت في أبي أن ونفقت الأموال في أحد لقتال رسول الله ﷺ. وقال الضحاك نزلت في أهل بدر وعلى كل تقدير فهي عامة»^(٦).

وجاء في (فتح القدير) للشوكاني: «والمعنى أن غرض هؤلاء الكفار في اتفاق أموالهم هو الصد عن سبيل الحق بمحاربة رسول الله ﷺ وجمع الجيوش لذلك الاتفاق أموالهم عليها وذلك كما وقع من كفار قريش يوم بدر ويوم أحد ويوم الأحزاب إن الرؤساء كانوا ينفقون أموالهم على الجيش. ثم أخبر الله سبحانه عن هذا الغيب أن وجه الإعجاز فقال (فيسفقونها) أي سيفق منهم هذا الاتفاق ثم تكون عاقبة ذلك أن يكون إنفاقهم حسرة عليهم... ثم آخر الأمر يغلبون»^(٧).

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة): «فخير باتفاقهم قبل أن ينفقوا وبقناتهم قبل أن يقاتلوا وبهزيمتهم قبل أن يهزموا ثم كان ذلك كما قال وكما أخبر وكما حصل»^(٨).

وعلى كل حال فهو إخبار عام بهزيمة وخسران كل من يتصدى لمحاربة الرسول والصداء عن دين الله سواء كانوا هؤلاء المذكورين أم غيرهم وكان كما أخبر.

ونحو هذا قوله تعالى: «أم يقولون نحن جميع منتصر. سيهزم الجمع ويولون»^(٩) (القمر ٤٤ - ٤٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأنزل في مكة (أم يقولون نحن...) فكان كما

(١) تفسير ابن كثير ٣٧/٢ وانظر الكشاف ١٤/٢، أسباب النزول للواحدي ٢٣٤
(٢) فتح القدير ٢٩٢/٢ وانظر الطبري ٢٤٤/٩ - ٢٤٦
(٣) تثبيت دلائل النبوة ٤٣٧/٢
(٤) تفسير القرطبي ١٨/٣٤
(٥) قال الحافظ ابن كثير: «قال محمد بن إسحاق حدثني الزهري ومحمد بن يحيى...»
(٦) قال ابن عباس أنزل الله عز وجل (إن الذين كفروا... الخاسرون). وكذا روي عن عاهد وسعيد بن جبير والحكم بن عيسى وقتادة والسدي وابن أبي أنزلت في أبي أن ونفقت الأموال في أحد لقتال رسول الله ﷺ. وقال الضحاك نزلت في أهل بدر وعلى كل تقدير فهي عامة»
(٧) ثم آخر الأمر يغلبون»
(٨) حصل»
(٩) (القمر ٤٤ - ٤٥).

(١) تفسير ابن كثير ٤/٣٤١
(٢) فتح القدير ٥/١٩٨ - ١٩٩ وانظر تثبيت دلائل النبوة ٢/٤٩٠
(٣) الكشاف ٣/٢١٧
(٤) تفسير القرطبي ١٨/٣٤

أخبر هزم الجميع وولوا الدبر»^(١).

قال القرطبي : «سيهزم الجميع أي جمع كفار مكة وقد كان ذلك يوم بدر وغيره»^(٢).

وأخرج البخاري في صحيحه والنسائي في غير موضع وابن حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ يوم بدر وهو في قبة : اللهم اني انشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم . فآخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر.

فانظر إلى قوله ﷺ انشدك عهدك ووعدك ، فقد وعده ربه أن يهزم جمعهم فكان كما أخبر .

ونحو هذا من الوعود قوله تعالى وجند ما هنالك مهزوم من الأحزاب» (سورة ص ١١).

قال ابن كثير : «أي هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويكتبون كما كتبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين كقوله جلست عظمتهم (أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) كان ذلك يوم بدر»^(٣).

وجاء في (تفسير القرطبي) : «وهذا تأنيس للنبي ﷺ وقد فعل بهم هذا في يوم بدر . قال قتادة : وعد الله أنه سيهزمهم وهم يمكة فجاء تأويلها يوم بدر»^(٤).

وجاء في (فتح القدير) : «هذا وعد من الله سبحانه لنبيه ﷺ بالنصر عليهم

(١) الجواب الصحيح ١٣٠/٤
(٢) تفسير القرطبي ١٤٥/١٧ وانظر الطبري ١٠٨/٢٧ ، ابن كثير ٢٦٦/٤ ، فتح القدير ١٢٥/٥ ، تليد
دلائل النبوة ١/٨٤ ، ٢/٣١٣ ، اعلام النبوة للمأوردي ٤٤ - ٤٥
(٣) ابن كثير ٢٨/٤
(٤) تفسير القرطبي ١٥٣/١٥

والظفر بهم . . . وقد وقع ذلك والله الحمد في يوم بدر وفيما بعده من مواطن الله . . .
وجاء في (الكشاف) : «يريد ما هم الا جيش من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكثرت لما به يهلون»^(١) .
وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) : «فأما الأمر في ذلك تجهه عظيمًا لأنه ترعدهم بالحرب قبل الحرب وقبل الجماعة وفي حالة الضعف وهو معهم وفي أسرهم وفي قبضتهم عليهم على قتله واستنصاه»^(٢) .

ومن الوعود أيضا قوله تعالى «ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدوكم أول مرة ؟ اتخضعتهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين . قاتلوهم يذهب الله بأبديةكم ويخرهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين» . (التوبة ١٤ - ١٦).

وهو وعد بأن الله سيخزيهم وينصر المؤمنين عليهم فكان كما وعد الله ربنا

وما ذكرناه من الوعود إنما هي غيوب متعددة وكل واحد منها دليل صادق على صحة نبوة الرسول . فالت ترى أن بعض هذه الآيات موجه إلى اليهود وتهديدهم بالله والفهر فكان كما قال .

وبعض هذه الآيات موجه إلى الذين جمعوا الأموال للاستعانة على حرب الرسول بأسرارهم بأنهم سينفقون أموالهم ولا يدركون شيئاً ثم يغلبون فكان كما قال .

بعضها موجه إلى جيش الكفر جميعه بأنه سيهزم هذا الجمع ويولون الدبر فكان كما قال .

فالت ترى أن هذه غيوب متعددة وكل منها ينهض دليلاً برأسه على صدق نبوته

قد يقول قائل إن هذا من باب رفع المعنويات وبث الحماس في نفوس أصحابه

فتح القدير ٤١٠/٤ وانظر الطبري ١٣٠/٢٣ ، التفسير الكبير ١٨٩/٢٦
الكشاف ج ٣ ص ٥
الجهت دلائل النبوة ٨٣/١

كما يفعل السياسيون والقادة في بحث الحماس في نفوس جماعاتهم . والحقيقة أن هناك فرقاً كبيراً بين الأمرين فإنه إذا اختلف وعد واحد من مواعيد الرسول الكثيرة ولم يتحقق أدى ذلك إلى الشك في نبوته ودعا ذلك إلى تكذيبه بخلاف السياسي فإنه يقصد إلى رفع معنويات جماعته فإن تحقق فذاك وإلا فلا ضرر فيه .
ثم ما حجة النبي الذي يعد فلا يتحقق وعده؟ هل هي نفس حجة السياسي الذي يعد فلا يتحقق وعده؟

إن السياسي يقول بكل سهولة : كان هذا تقديري للأمر وقد أنخطأت والانسان يخطئ ، وأنا لا أعلم الغيب .

فهل يستطيع النبي أن يقول ذلك؟ وكيف يستطيع أن يقول ذلك وهو يدعي أن الله خالق الخلق وعالم الغيب هو الذي أرسله للناس؟ ومن سيتابع هذا النبي الذي يعد ولا يتحقق وعده؟ من سيتابع هذا النبي الذي يحمل معه الدليل على كذبه؟

إن محمداً ﷺ وعد جماعته وعوداً كثيرة ومنها - مثلاً - وعده بالنصر على قريش في معركة بدر كما أخبر القرآن بذلك بقوله «وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم» - كما سيمر بنا - فإنه إن لم يتحقق هذا الوعد ارتد عنه جماعته وكذبه وافتضح أمره .
وهكذا شأن بقية الوعود .

وأنت قد رأيت أن الرسول وعد وعوداً كثيرة وتحققت كلها ولم يتخلف واحد منها فقام ذلك دليلاً واضحاً على نبوته .

٦ - الوعد بارجاع الرسول إلى مكة :

قال تعالى : «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاده» (القصص ٨٥) .
نزلت هذه الآية بالجحفة والرسول مهاجر يبعده الله فيها بارجاعه إلى مكة .

«قال البخاري في التفسير من صحيحه حدثنا محمد بن مقاتل أنبأنا يعلى حدثنا سفيان العصفري عن عكرمة عن ابن عباس (لرادك إلى معاد) قال : إلى مكة .

وهكذا رواه النسائي في تفسير سننه وابن جرير من حديث يعلى وهو ابن عبيد الله الأسدي به وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس (لرادك إلى معاد) أي لرادك إلى مكة الخرجك منها .

وقال محمد بن اسحاق عن مجاهد في قوله (لرادك إلى معاد) إلى مولدك بمكة .
حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر قال : قال سفيان فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة من الضحاك قال لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي إلى مكة^(١) .

وجاء في (فتح القدير) : «قال جمهور المفسرين أي إلى مكة»^(٢) .

قال الفخر الرازي : «قال أهل التحقيق : وهذا أحد ما يدل على نبوته لأنه أخير الغيب ووقع كما أخير فيكون معجزاً»^(٣) .

٧ - الرعد بدخول المسجد الحرام :

قال تعالى : «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مخلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولله شهادة» . (الفتح ٢٧ ، ٢٨) .

هاتان الآيتان من سورة الفتح ، وسورة الفتح نزلت كلها عند الانصراف من المدينة .

قال ابن كثير : «كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بها فأنخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة من أن هذه الرؤيا تفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عنهم على أن يعودوا من قابل وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال : أفلم تكن

^(١) تفسير ابن كثير ٤٠٢/٣ - ٤٠٣ ، وانظر تفسير الطبري ١٢٥/٢ ، الكشف ٤٨٧/٢ ، تثبيت دلائل النبوة ٣٧١/٢ ، اعلام النبوة للهاوردي ٤٤ - ٤٥ ، فتح القدير ١٨٢/٤ ، القرطبي ٣٢١/١٣ ، التفسير الكبير ج ٢٥ ص ٢١ .

لنخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى أفاخيرتك إنك تأتيه عامك هذا؟ قال:

لا قال النبي ﷺ: «فأنك أتبه ومطوف به». كما جاء في صحيح البخاري. وإن شاء الله: هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء في شيء» (١).

وفي هذا إخباران: إخبار تصديق الرؤيا، وأن عمر من يطوف بالبيت فلا يموت ولا يعرض له عارض يمنعه من الطواف.

وجاء في (تفسير الكشاف): «صدفه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل فيج علو كبيراً».

(إن شاء الله) في إخبار الله عز وجل، قلت فيه وجوه: أن يعلق عدته بالمسببة تعليلها لعباده أن يقولوا في عدائهم مثل ذلك منأدين بأدب الله ومعتدين بسنته... أو هي حكاية ما قال رسول الله ﷺ لأصحابه وقص عليهم.

(فجعل من دون ذلك) أي من دون فتح مكة.

(فتحاً قريباً) وهو فتح خيبر لتسروح إليه فلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود.

(ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين كله، يريد الأديان المختلفة... وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين نفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقبض لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة» (٢).

«وقال أبو عبيدة: إن بمعنى إذ يعني إذ شاء الله حيث أرى رسوله ذلك».

«وكفى بالله شهيداً: أي كفى الله شهيداً على هذا الإظهار الذي وعد المسلمين

به وعلى صحة نبوة نبيه ﷺ» (٣).

(١) تفسير ابن كثير ٢/١٤١، تفسير القرطبي ١٦/٢٩٠، للتفسير الكبير

١٠٥/٢٨

(٢) فتح التقدير ٥/٥٣ - ٥٤

وهاتان الايتان فيهما اعلام صادقة واضحة على نبوته ﷺ هي:

١ - الوعد بدخول المسجد الحرام وقد أكد الله هذا الأمر بلام القسم ونون التوكيد قال: «لقد صدق الله. لتدخلن المسجد الحرام» وهذا تأكيد بالغ.

وأما قوله (إن شاء الله) فليس تعليقاً، ولو كان تعليقاً لم يكن تصديقاً للرؤيا. إنه إن لم يتجز الله وعده ويدخلوا المسجد الحرام فهل يعد هذا تصديقاً للرؤيا؟

للأول: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق دل على أن قوله (إن شاء الله) ليس عتلاً، والألم يكن تصديقاً وهذا واضح.

وقد تحقق هذا الوعد في العام القابل فكان إخباراً صادقاً ودل على صحة نبوته.

٢ - إن الله وعدهم فتحاً قريباً قبل تحقق الرؤيا فقال: (فجعل من دون ذلك ما قريباً) أي فجعل من دون دخول المسجد الحرام فتحاً قريباً.

وقد تحقق هذا الوعد فقد فتحت خيبر بعد انصرافهم من الحديبية.

٣ - ثم إن الله وعدهم بإظهار دين الإسلام على سائر الأديان بقوله (هو الذي مل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وقد تم ذاك فأتضح أن هذا اعلام نبوته ﷺ.

٨ - الوعد بالفتوحات والمغانم:

وهي وعود كثيرة وردت في القرآن الكريم وكل منها عكلم براسه ودلالة صادقة على

لله ﷻ كان ﷻ يعد المسلمين بالنصر والنسكين في الأرض وكان المنافقون ولمن: هذا من الغرور وحكى الله عنهم هذا القول فقال في سورة الأحزاب ١٢: «الذين يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً».

وهذه الآية مما نزل في وفاة الأحزاب حيث انتشر الرعب في المدينة ونجم النفاق أن رسول الله ﷺ بعدهم كنوز كسرى وقبصر حتى قال معتب بن قشير أخو بني

عن عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الخائط^(١).

والآية هذه تدل دلالة واضحة على أن الرسول كان يعدهم بالنصر والظفر وإلا فلا معنى لهذا القول، وقد حقق الله الوعد فكان علماً على نبوته.

ومن ذلك قوله تعالى: «وَإِذَا يَعْزِمُ اللَّهُ أَحَدَ الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَا لَكُمْ وَتُودُونَ أَن تَكُونَ الشُّوْكَةُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ» (الأنفال ٧).

وهذه الآية نزلت في وقعة بدر وكان رسول الله يقول: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا الْعِيرَ (أَيِ الْقَاْفَلَةِ) وَإِمَّا النَّفِيرَ (أَيِ النَّصْرِ فِي الْحَرْبِ) وَكَانَ أَصْحَابُهُ يُوَدُّونَ أَن تَكُونَ لَهُمُ الْقَاْفَلَةُ». قال ابن كثير: «وَالْغَرَضُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغَهُ خُرُوجُ النَّفِيرِ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ يَعْزِمُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا الْعِيرَ وَإِمَّا النَّفِيرَ وَرَغِبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْعِيرِ لِأَنَّهُ كَسِبَ بِهَا قِتَالاً كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَتُودُونَ أَن تَكُونَ الشُّوْكَةُ لَكُمْ)».

ثم قال الرسول ﷺ: «سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَأَبْشَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَاللَّهُ لَكَاثِي الْأَنْظُرِ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ»^(٢).

وفي هذه الآية علان من أعلام النبوة:

١ - إن الرسول كان وعدهم إحدى الطائفتين قبل المعركة. وكانوا يودون أن تكون لهم القافلة (غير ذات الشوكة) كما ثبت ذلك من الآية.

٢ - في هذه الآية إخبار بأن الله يريد أن يحق الحق ويقطع دابر الكافرين وقد تم هذان الأمران فأعطاه إحدى الطائفتين بأن نصره على القوم وأحق الله الحق بأن أهل الإسلام وقطع دابر الكافرين كما وعد الله.

(١) تفسير ابن كثير ١٧٢/٣ وانظر القرطبي ١٧٤/١٤، الطبري ١٣٣/٢١، الكشاف ٥٣٣/٢، م. القدير ٢٥٨/٤، ثبت دلالة النبوة ٤٥١/٢.

(٢) ابن كثير ٢٨٧/٢ - ٢٨٩ وانظر الكشاف ٥٤/٢، الطبري ١٨٨-١٨٤/٩، القرطبي ٣٦٩/٧، م. القدير ٢٧٤/٢.

فالتنزه ذلك دليلاً على نبوة محمد ﷺ.

ومن هذه الوعود قوله تعالى: «سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا وَإِنَّا نَتَّبِعُكُمْ يَرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ. سَيَقُولُونَ بَلْ نَحْمَدُكُم بِمَا كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً. قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَهْلُكٌ إِلَى قَوْمِ أُولَى بِأَسْ شَدِيدٍ تَقَاتُلُونَهُمْ أَوْ يَسْلُمُونَ فَإِن تَغْلِبُوا يُوْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً. وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً.» (الفتح ١٥، ١٦).

هاتان الآيتان من سورة الفتح وسورة الفتح نزلت كليهما عند الإنصراف من المدينة النبوية^(١).

والذكر في هاتين الآيتين علمين من أعلام النبوة:

١ - إن الله وعدهم بأخذ مغانم في المستقبل وهي مغانم خيبر. ولا يهمن أن تكون من مغانم خيبر أو غيرها فالمهم أن الله وعدهم بأخذ مغانم وقد تم ذلك. وهذه الآية نزلت قبل أخذ المغانم والنص يدل على ذلك بصورة قاطعة. انظر إلى قوله تعالى: «سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا» فسين الاستقبال وإذا الشرطية المعان بذلك إضافة إلى ما ورد من الآثار الصحيحة، قال الحافظ ابن كثير: «فإن الله قد وعد أهل المدينة بمغانم خيبر وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الأعراب والمخلفين فلا يقع غير ذلك شرعاً ولا قدرأ^(٢)».

٢ - إخبار من الله للمخلفين من الأعراب بأنهم سيدعون إلى القتال في المستقبل فاستجاب لهم في هؤلاء القوم الذين يدعى إليهم المخلفون على أقوال:

أحدها: إنهم هوازن، الثاني: ثقف، الثالث: بنو حنيفة، الرابع: هم أهل اليمن والروم وغير ذلك^(٣).

ولا يهمن تسمية هؤلاء الأقوام أو أن يكونوا هؤلاء أو غيرهم، فهو على أي حال

الطبري ٦٨/٢٦، تفسير ابن كثير ١٨٢/٤، أسباب النزول ٤٠٣، تفسير ابن كثير ١٨٩/٤ وانظر الطبري ٧٩/٢٦، القرطبي ٢٧٠/١٦ - ٢٧٢، الكشاف ١٣٨/٣، الرازي ٩٠/٢٨، فتح القدير ٤٧/٥، السائر تفسير ابن كثير ١٩٠/٤، تفسير الطبري ٨٢/٢٦، الكشاف ١٣٨/٣، فتح القدير ٤٩/٥.

وعد بأنهم سيدعون إلى القتال وقد دُعوا فعلاً إلى هؤلاء جميعاً فتحقق الوعد فكان هذا علماً من أعلام نبوته .

ومن ذلك قوله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً . وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً . وأخسرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً » (الفتح ١٨ - ٢١)

وفي هذه الآيات إخبار عن غيوب كثيرة :

١ - تركية المؤمنين المجايعين تحت الشجرة والاطلاع على قلوبهم وإعلان الرضا عنهم وهم عدد كثير . ولا شك أن الأمر كما قال إذ لو كان في إيمان أحدهم دخل لشك وأرتاب وأعلن ارتداده وكفره وتكذيبه لمحمد .

ولو كان القرآن من صنع محمد لم يقدم على هذا الإعلان الخطير إذ ما يدر به لعل منهم من هو مبطن للكفر أو من سترتد علماً بأن محمداً كان يقول : « وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » . وكان يقول : « القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » . وكان كثيراً ما يدعو « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » .

فدل ذلك على صحة هذا الإخبار وهو غيب لا يعلمه إلا الله فإنه لا يعلم دخال القلوب غير الله .

٢ - ذكر أنه أثابهم فتحاً قريباً أي أعطاهم فتحاً قريباً . وهذه الآيات كما ذكرها نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية . واختلف المفسرون في هذا القسم القريب أهو فتح مكة أم خيبر أم غيرها^(١) . جاء في (فتح القدير) : « هو فتح خيبر »

(١) تفسير ابن كثير ٤/١٩١ ، الكشاف ٣/١٣٩

١ - انصرافهم من الحديبية^(٢) .

ولا يهمننا تسمية هذا الفتح فقد حصل الفتح القريب وهو خيبر وتوالت بعده المعارك فكان كما أخبر .

والأظهر أنه فتح خيبر لأنه سماه فتحاً قريباً وقد حصل عند انصرافهم من الحديبية .

وفي هذا غيب آخر وهو أن هذا الفتح القريب هو للمبايعين تحت الشجرة لا لغيرهم فيه غيرهم لأنه قال (وأثابهم فتحاً قريباً) والكلام على المبايعين تحت الشجرة . وقد تم ذلك فعلاً فلم يشاركهم فيه أحد .

٣ - إن الله وعدهم مغانم كثيرة يأخذونها فعجل لهم هذا المغانم القريب وهو مغنم . وهذا وعد قاطع بفتح خيبر وأخذ مغانمها ، ووعد بمغانم كثيرة ستأتي في المستقبل . وقد تم هذا فقد توالت المغانم والفتوحات كما أخبر الله .

جاء في تفسير ابن كثير في قوله (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) : « هي جميع المغانم إلى اليوم »^(٣) .

٤ - أخبر الله بهذه الوعود (لتكون آية للمؤمنين) أي لتكون علامة دالة على صدق الرسول والدلالة على نبوته . وقد تمت هذه الوعود فحصلت الدلالة على هذا البعد وكانت آية للمؤمنين على صدق الرسول وعلى صدق ما أخبر الله به .

ومن ذلك قوله تعالى : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من أموالهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً » . (الأحزاب ٢٧) فإن الله وعد المؤمنين بعد أن أورثهم أرض بني قريظة بأن يورثهم أرضاً وقالوا « وهي كل أرض تفتح إلى يوم القيامة »^(٤) وقد تم ذلك بحمد الله .

(٢) فتح القدير ٥/٤٩ وانظر الرازي ٢٨/٩٦ ، الطبري ٢٦/٨٨ ، القرطبي ١٦/٢٧٤ - ٢٧٨
(٣) ابن كثير ٤/١٩١ وانظر الكشاف ٣/١٣٩ ، الطبري ٢٦/٨٨ ، تفسير الرازي ٢٨/٩٦ ، القرطبي ١٦/٢٧٤ - ٢٧٨ ، فتح القدير ٥/٤٩ .
(٤) الكشاف ٢/٥٣٥ - ٥٣٦ ، القرطبي ١٤/١٦١ ، فتح القدير ٤/٢٦٥ - ٢٦٦

ونحو ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خضتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » (التوبة ٢٨) .

فقد وعد الله قريشاً بالغنى عن المشركين وقد حصل ذاك . قال ابن كثير وقال محمد بن اسحاق وذلك أن الناس قالوا لنقطع عنا الأسواق ولنهلك التجار وليذهب عنا ما كنا نصيب فيها من المرافق فأنزل الله (وإن خضتم عيلة)^(١) .

وجاء في تفسير القرطبي : « وكان المسلمون لما منعوا المشركين من الموسم وكانوا يجلبون الأطعمة والتجارات قذف الشيطان في قلوبهم الخوف من الفقر وقالوا من أين نعيش ؟ فوعد الله أن يغنيهم من فضله . . . وأغنى الله من فضله »^(٢) .

وقال الفخر الرازي : « قوله (فسوف يغنيكم الله من فضله) إخبار عن غيب في المستقبل على سبيل الجزم في حادثة عظيمة وقد وقع الأمر مطابقاً لذلك الخبر فكان معجزة »^(٣) .

ومن ذلك إخباره بالفتح قبل حصوله قال تعالى (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) (الفتح ١) .

واختلف المفسرون في هذا الفتح ف قيل فتح مكة وقيل خيبر وقيل فتح الروم^(٤) والظاهر أن هذا لا يختص بفتح مكة وإنما هو إخبار بالفتح عموماً فكان كما أخبر الله وهو غيب .

ومن ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين »^(٥) .

الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن

(١) تفسير ابن كثير ٢/٣١٦

(٢) تفسير القرطبي ٨/١٠٦

(٣) تفسير الرازي ١٦/٢٧

(٤) تفسير ابن كثير ٤/١٨٢ ، تفسير الطبري ٢٦/٧٠ ، الرازي ٢٨/٧٧ ، تفسير القرطبي ١٦/١٥١

(٥) الكشاف ٣/١٣٥ ، فتح القدير ٥/٤٢

يأتي الفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » (المائدة ٥٤) .

لقد ذكر الله أن المنافقين يتولون اليهود والنصارى ويسارعون فيهم قائلين نخشى أن تصيبنا دائرة ولكن الله ألمح إلى الفتح فقال : « فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » . وهو إلماع إلى الوعد بالآتيان بالفتح (وعسى) في كلام الله واجب لا يتخلف .

جاء في (الكشاف) : « فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله ﷺ على أعدائه » (الهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شاقة اليهود ويجلبهم عن بلادهم فيصبح النادمون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون من أمر رسول الله ﷺ ويقولون : « ما نظن أن يتم له أمر »^(١) .

وجاء في (فتح القدير) : « وعسى في كلام الله وعد صادق لا يتخلف . والفتح هو دور النبي ﷺ على الكافرين . ومنه ما وقع من قتل مقاتلة بني قريظة وسيارهم وإجلاء بني النضير وقيل هو فتح بلاد المشركين على أيدي المسلمين . وقيل فتح مكة »^(٢) .

ومثل هذا الإلماع قوله تعالى : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم » (البقرة ١٩٠) والله قدير والله غفور رحيم (الممتحنة ٧) .

وهو الإلماع إلى فتح مكة وتأليف القلوب بعدما حصل ما حصل ، فإن هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسل رسالة إلى قريش يخبرهم بتوجه رسول الله ﷺ يريد أن يتخذ عندهم يداً فكان مما قاله الله هذا القول .

ولقد تم ذاك كما أخبر فأزال الضغائن والإحن وأحل المودة محلها . والله كما ترى غيوب كثيرة قد تحققت كلها ، وكل منها علم برأسه وحجة قاطعة في قوة محمد ﷺ فكيف باجتماعها ؟!

(١) الكشاف ١/٤٦٥ ، ابن كثير ٢/٦٨ ، القرطبي ٦/٢١٨

(٢) فتح القدير ٢/٤٧ - ٤٨ وأنظر تفسير الطبري ٦/٢٨١ ، تفسير الرازي ١٢/١٦

٩ - الإختيار بحوادث خاصة :

والمقداد إلى المرأة وهي في الطريق فجاءوا بالكتاب وجاء في صحيح البخاري
في متعددة عن سفيان عن عمرو بن دينار عن حسن بن محمد عن عبيد الله بن
الحق عن علي بن مطر في متعددة عن حصين عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن
ابن عمار عن علي بن

وهي غيوب كثيرة منها قوله تعالى : « وإذا أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك بهذا ؟ قال نبأني العليم الخبير . (التحريم ٣) .

عن عبد الله بن أبي رافع قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا حينئذ حتى انتهينا إلى الروضة فإذا باللعينة فقلنا : اخرجي الكتاب . فقالت : ما معي من كتاب . فقلنا : لتخرجين أم لا ؟ فقلنا : لا . فخرجت من عقاصها فاتينا به رسول الله ﷺ . فإذا فيه ما طيب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : يا حاطب ما هذا ؟ قال : يا رسول الله ﷺ لا تجعل علي إني كنت امرأة أملتصقاً في فريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهلهم وأموالهم فأحييت إذ فاتني ذلك من محبتهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت كقراً ولا إرتداداً ولا رضا بعد الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : لقد صدقكم . قال عمر : يا رسول الله ﷺ أضرب عنق هذا المنافق . قال : « أنه قد شهد بدرأ وما يدريك لعل الله أن يفتح عليكم هذا البلد فاعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

والخاتمة أن رسول الله أمر إلى حفصة بنت عمر زوجها حديثا واستكنهما إليها لكنها افترته إلى عائشة فأطعمه الله على هذا الإفشاء فخير حفصة بذلك فسألت عمر أخبره، فقال : إنما أخبرني به الله تعالى ﴿ ٥٨ ﴾ .

ولا يهيننا الآن ما هو السرو ولا من هي الزوج التي أباحت سر رسول الله ، فأباحت السر وأباحت الزوج فالمسألة واحدة وهي أن الله اطلع رسوله على هذا الإفشاء .
لعلك تقول : لعل زوجه الأخرى هي التي أخبرت .

فَيَقُولُ : هَذَا مُرَدُّهُ لِأَنَّهُ مُعْتَدٍ أَنْ يَأْتِيَ بِشَيْءٍ يُبْطِلُ بِهِ مَا فِيهِ مِنْ بَشَرَةٍ وَلَيْسَ بَشَرًا نَظَرًا إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى : (وَإِذَا هُوَ عَلَى اللَّهِ غَافٍ) وَإِلَى قَوْلِهِ (قَالَتْ مَنْ أَنْبَأُكَ هَذَا؟) قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ
فَلَوْ كَانَ الْمَخْبِرُ غَيْرَ اللَّهِ لَعَدَّ مُحَمَّدٌ كَاذِبًا وَلَا رَتَابَ غَيْرِهِ وَارْتَدَّ وَفُضِّحَ هَذَا الْأَلْفَاظُ
وَقَالَ : أَنَا الَّذِي أَخْبَرْتَهُ فَادْعُنِي أَنِ اللَّهُ أَخْبَرَهُ .

وعمد في سعة عن هذا الأمر وفي غنى عن هذا الإدعاء والدخول في هذا المذهب
وجعله قرآنا يتلى على رؤوس الأشهاد . فذل ذلك على ان الله هو الذي أخبره
وهذا غيب وهو ينهض دليلا برأسه على نبوة محمد ﷺ .

ومن ذلك قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء نادى إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم» (الممتحنة ١) -

هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسل كتابا مع امرأة مشركة فريش يخبرهم بتوجه رسول الله إليهم فأظلمه الله عليه فأرسل رسول الله

٥٨/٢٨، الفوطي ٥٠/٥٢، الكشف ٣/٢١٩، ابن كثير ٤/٣٤٥ فتح القدير ١/٢٠١ - أسباب الترويل ٤٤٧

(١) الكشاف ٣/ ٢٤٥ - ٢٤٦: تفسير الطبري ٢٨/ ١٥٩ - ١٦٠، تفسير القرطبي ١٨/ ١٨٦، فتح الباري ٤٦٨/ ٢٣٤، امشب الزول للواحدي ٤٦٨ - ٤٦٩.

إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء . فقال : من يضيف هذا الليلة رحمة الله ؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله . فانتقل به إلى رحله فقال لامرأته : هل عندك شيء ؟ قالت : لا إلا ثوب صبياني . قال : فعللهم شيء فإذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج وأريه إنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى نطفئه قال : ففعلوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال : قد عجب الله من صنعكمما بضيفكم الليلة^(١) .

ومن ذلك قوله تعالى : إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله أن الله كان غفورا رحيما . ولا تجادل الذين يجتانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة من يكون عليهم وكيلًا ؟

ولولا فضل الله عليك ورحمته لمحت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأتزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تعلم وأتزل الله عليك عظيماء . . . (النساء ١٠٥ - ١٠٩) .

أخرج الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال : كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق وبشر ومسلم وكان بشر رجلا منافقا يقول الشعر بهجوا به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينسبهم لبعض العرب ثم يقول : قال فلان كذا وكذا ، وقال فلان كذا وكذا فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الرجل الجاهل أو كما قال الرجل وقالوا ابن الأبيرق قالها . قالوا وكانوا أهل بيت وحاجة وفاقاة الجاهلية والإسلام وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرمك ابتاع الرجل منها فخص نفسه ، وأما العيال فأعما طعامهم التمر والشعير . فقدمت ضافطة من الشام فأعما

(١) انظر أسباب النزول للواحدي ٤٤٥ - ٤٤٦ ، فتح القدير ١٩٧/٥

رفاعة بن زيد حملا من الدرمك فجعله في مشربة له . وفي المشربة سلاح ودرع فلما فبعدي عليه من تحت البيت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح فلما أصبح النبي ﷺ رفاعة فقال : يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وبطعامنا وسلاحنا . قال فتحسبنا في الدار وسألنا فقبل لنا قد رأينا بني أبيرق الدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم . قال : وكان بنو أبيرق الدوا ونحن نسأل في الدار - والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل ، رجلا له صلاح وإسلام . فلما سمع لبيد اختلط سيفه وقال : أنا اسرق ! والله والله لكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة . قالوا إليك عنا أيها الرجل فما أنت بأعجبها . فسألنا في الدار حتى لم نملك إنهم أصحابها . فقال لي عمي يا ابن أخي لو رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له . قال فتأذت رسول الله ﷺ : إن أهل بيت أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له وأوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه . فقال ﷺ : سأمر في ذلك .

فلما سمع بذلك بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال له أسيد بن عروة فكلموه في ذلك مع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا : يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه إلى أهل بيت منا أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبوت . قال ﷺ فأتيت النبي ﷺ فكلمته فقال : عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبوت ولا بينة .

قال فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلهم رسول الله ﷺ في ليلتي . فلما سمع رفاعة فقال : يا ابن أخي ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ . فقال : الله المستعان . فلم تلبث أن نزل القرآن ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ يعني بني أبيرق فامر الله ﷻ بما قلت لقتادة . . . (فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالصلاح إلى رفاعة . . . الحديث^(٢) .

تفسير الطبري ٢٦٤/٥ ، القرطبي ٣٧٥/٥ ، تفسير ابن كثير ٥٥١/١ - ٥٥٣ ، فتح القدير ٤٧٤/١

١٠ - الوعد بأمر قريية :

من ذلك قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا ليلبسونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم وأيديهم وهم محرمون ليعلم الله من يطيعه في عدم قتله لأنهم في حال إحرام ، قد حصل ذلك فكانت الوحش والطير والصيد تخشاهم في رحالهم لم يروا مثله قط أي حاله» .

هذا إخبار من الله بحادث قريب وهو أن الله سيختبرهم بصيد قريب منهم تناله أيديهم وأيديهم وهم محرمون ليعلم الله من يطيعه في عدم قتله لأنهم في حال إحرام ، قد حصل ذلك فكانت الوحش والطير والصيد تخشاهم في رحالهم لم يروا مثله قط أي حاله» .

فهو كما ترى إخبار عن شيء قبل حدوثه فهو غيب من الغيوب فدل ذلك على

وأنه .
ولهو ذلك قوله تعالى : «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال

الأنفس والشمرات وبشر الصابرين» .
جاء في الكشف : «وإنما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم» ، وجاء في

الانصاف من الكشف : «لأن هذا الابتلاء موعود به في المستقبل مذكور قبل

١١ - تحدي اليهود في غني الموت :

لهدي القرآن اليهود في غني الموت مرتين فقال : «قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أن أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولا يتمنونه أبدا بما

أيدى الله عليهم والله عليم بالظالمين» . (الجمعة ٦ ، ٧)

(١) ابن كثير ٩٧ / ٢ ، وانظر تفسير الرازي ٨٥ / ١٢

(٢) الكشف ٢٤٧ / ١

(٣) الانصاف من الكشف ٢٤٧ / ١

ومن ذلك ما جاء في تبرة عائشة من الإفك وهو قوله تعالى (إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم) (النور ١١) .

بقيت الألسنة نلوك حادثة الإفك شهرا والرسول لا يوحى إليه - كما جاء في صحيح البخاري ومسلم - وهو حائر متردد في أمر عائشة يسأل ويستشير المنافقون يشيعون الفاحشة ويتولون كبر الإثم حتى وقع فيها من وقع من المسلمين . ثم جاءها الرسول في بيت أهلها ثم قال لها : يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت أمت فاستغفري الله وتوبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه .

وعائشة لم تحجب رسول الله .
فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات . فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي : يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله .

فقلت لي أمي قومي إلى رسول الله ﷺ فقلت : لا والله لا أقوم إليه ولا أحمده إلا الله . فأنزل الله تعالى : (إن الذين جاؤوا بالإفك) .

إنه من الواضح إنه لا يعلم ببراءة عائشة أحد من البشر إلا اثنان هما عائشة وصفوان بن المعطل وهما وحدهما اللذان يملكان المعرفة الصحيحة ، فإقدام محمد على تبرئها بقرآن يتلى أمر عجيب لا يمكن أن يقدم عليه محمد من نفسه ، إذ ما يدر به له الأمر على غير ذلك فيفتضح إدعاؤه ويشين كذبه فترتاب عائشة ويرتد صفوان ؟

كان يكفيه السكوت أو أي موقف آخر حتى تهدأ الفتنة وتسكن القفالة ، ولكن إقدامه على هذا الأمر وإعلانه براءة عائشة بقرآن يتلى بدل قطعاً على أن الذي يراما هو الله الذي يعلم الغيب .

ثم لنلاحظ موقف الرسول من عائشة فبعد أن كان موقف التردد والحيرة تحول به إلى موقف الثقة والإطمئنان وهذا التحول لا يمكنه أن يكون لو لم يكن واقعاً ببراءتها بإخبار من الله تعالى .

الموت إن كنتم صادقين . ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليهم بالنظامين (البقرة : ٩٤ ، ٩٥) .

ووجه الدليل في ذلك أن القرآن طلب من اليهود أن يتمنوا الموت أي أن يتقدم أي واحد منهم فيقول بلسانه : أنا أتمنى الموت ثم أخبر أنهم لن يتمنوه أبداً ، فلما تمناه أحد منهم مع حرصهم على تكذيب الرسول وكيدهم له فقام ذلك دليلاً صادقا على نبوته .

وهذا علم عظيم من أعلام نبوته إذ كيف يعلن الرسول تحدياً عاماً لليهود فيدعوهم لتمني الموت ويقول : إنه لا يتمناه أحد منهم إلا مات ثم يخبر أنه لن يتمنى أحد منهم الموت ، وما يدرى فعل أحد أعمى يعتقد كذب الرسول يتقدم فيتمنى الموت وهم جموع كثيرة فيفتضح ادعائه الكاذب ؟ ثم ما الموجب لمثل هذا التحدي ؟

فدل هذا صدق دليل على أن هذا التحدي لبس من محمد وإنما هو بمن يعلم الغيب .

قال ابن نجيبة : « فأخبر عن اليهود إنهم لن يتمنوا الموت أبداً وكان كما أخير فلا يتمنى اليهود الموت أبداً . وهذا دليل من وجهين :

من جهة إخباره بأنه لا يكون أبداً ، ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني الموت مع أن ذلك مقدور لهم وهذا من أعجب الأمور الخارقة للعادة وهم مع حرصهم على تكذيبه لم تنبث دواعيهم لإظهار تكذيبه بإظهار تمني الموت^(١) » .

وجاء في (الفصل في الملل) : « ومن أبهر ذلك وأعظمه قوله لليهود الذين كانوا معه في وقته وهم زيادة على ألف بلا شك ولعلمهم كانوا الوفاً وهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو أهدل وبنو قينقاع أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في تكذيبهم نبوته . وأعلمهم أنهم لا يستطيعون ذلك أصلاً فمجزوا عن ذلك أي عن تمني الموت^(٢) » .

وجاء في (فتح القدير) : « والمراد بالتمني هنا هو التلفظ بما يدل عليه لا بجره خطوره بالقلب وميل النفس إليه فإن ذلك لا يرد في مقام المحاجة ومواطن الخصومة

(١) الجواب الصحيح ١٣١ / ٤

(٢) الفصل في الملل ٨٣ / ١

ومواقف التحدي . وفي تركهم للتمني أو صرفهم عنه معجزة لرسول الله ﷺ^(١) » .

وجاء في (تفسير ابن كثير) : « ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي مات . . . قال ابن عباس : لو تمنى يهود الموت لما تواروا . . . »^(٢) .

وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي أبو زيد حدثنا قرة عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل . فيحه الله : إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأتيته حتى أطا على رقبته فقال : لو فعل الملائكة عياناً ولو أن اليهود غنوا الموت لما تواروا ولرأوا مقاعدهم من النار ولو رج الذين يباهلون رسول الله ﷺ رجعوا لا يجدون مألاً ولا أهلاً . . .

وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم به . وقال الترمذي حسن صحيح^(٣) .

وجاء في (التفسير الكبير) : « إنه لو حصل ذلك - أي لو تمنى اليهود الموت - لتفل متواتراً لأنه امر عظيم فإن بتقدير عدمه يثبت القول بصحة نبوة محمد ﷺ بتقدير حصول هذا التمني يطل القول بنبوته . . . »

وهذا اخبار عن الغيب لأن مع فخر الدواعي على تكذيب محمد ﷺ وسهولة الإيمان بهذه الكلمة أخبر بأنهم لا يأتون بذلك فهذا اخبار جازم عن امر قامت الأمارات على ضده فلا يمكن الوصول إليه إلا بالوحي^(٤) .

وجاء في (الجواب الفسيح لما ألفه عبد المسيح) : « والمراد بالتمني القول ولا شك أنه عليه الصلاة والسلام مع تقدمه في الرأي والحزم وحسن النظر في العاقبة . . . لا وهو غير واثق من ربه سبحانه بالوحي أن يتحدى أعدى الأعداء بأمر لا يأمن باله الحال فيه ولا يأمن من خصمه أن يتهر به بالدليل والحجة لأن العاقل الذي لم يرب الأمور لا يكاد يرضى بذلك فكيف الحال في أعقل المعتلاء فتبت أنه ما قدم على هذا التحدي إلا بعد الوحي واعتاده الكامل ، وكذا لا شك أنهم كانوا من أشد

(١) فتح القدير ٩٧ / ١

(٢) تفسير ابن كثير ١٢٧ / ١

(٣) تفسير ابن كثير ٣٦٩ / ١ وانظر تفسير الظهري ٤٢٥ / ١

(٤) التفسير الكبير ١٩١ / ٣ - ١٩٢

أعدائه وكانوا أحرص الناس على تكذيبه وإنهم لا يزالون متفكرين فيما يتمحى به الإسلام أو يحصل منه المذلة لاهله . . . وكان المطلوب منهم أمراً سهلاً لا صعوبة فيه فلو لم يكن رسول الله ﷺ صادقا في دعواه لبادروا إلى القول به ليكذبوه ولصرخوا به ليوهنوه^(١) .

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) : «فما تنوه مع هذا الانقضاء والمطالبة التي تغبط وتغضب ومع شدة عداوتهم لرسول الله ﷺ وحرصهم على تكذيبه وفضيحه وزلة تكون منه وقد بذلوا في ذلك دماءهم وأموالهم وأولادهم وحاربوه وأعانوا عدوه عليه وتكلموا كل شدة وكل مشقة في ذلك وما أقدسوا على ثمن الموت مع سهولته وفريته^(٢) » .

١٢ - الوعد بحفظ القرآن :

قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (الحجر ٩)

لقد وعد الله بحفظ القرآن وتكفل به فكان كما وعد فتم جمع المصحف في زمن أبي بكر الصديق (رض) فقد أمر أبو بكر زيد بن ثابت كاتب الوحي بجمعه فتبّع القرآن يجمعه من العشب (جريد النخل) والخفاف (حجارة عريضة رقائق) وصدور الرجال حتى جمعه . فكانت المصحف عند أبي بكر حتى مات ثم عند عمر حتى قبض ثم عند حفصة بنت عمر .

وفي خلافة عثمان أرسل إلى حفصة أن أرسل إلينا المصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت جامعها الأول وعبد الله ابن الزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف .

حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان المصحف إلى حفصة وأرسل في

كل الحق مصحفا عما نسخوا . فحفظ القرآن بذلك وتم وعد الله بذلك فكان كما أخبر لقام دليلا على صدق نبوته .

وهذا الاخبار إنما هو من الغيب إذ ما يدري عمداً بهذا الحفظ والأمان من الضياع أو التحريف ؟ فلعل شأن القرآن شأن بقية الكتب السماوية التي ضابعت أو حُرقت وما المانع من ذلك ؟

المانع هو تكفل الله بحفظه فهي الأسباب لذلك لكنه أوكل حفظ الكتب السماوية إلى أهلها فلم يتمكنوا ، قال تعالى : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله » فوكل حفظ التوراة إليهم فلم يتمكنوا منه فلهذا دخلها التحريف والتبديل وكذلك شأن الكتب الأخرى .

١٣ - الوعد بعصمة الرسول من الناس :

قال تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فيما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » (المائدة ٦٧) .

وعد الله محمداً بأن يعصمه من الناس جميعاً ويحفظه منهم فكان ذاك فلم يقدر أحد على قتله على كثرة المحاولات .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله كان يُحرس حتى نزلت هذه الآية فأخرج رسول الله ﷺ رأسه وقال : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنا الله عز وجل .

ومن المحاولات لقتل رسول الله ﷺ ما جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها قال وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال فقال رسول الله ﷺ : ان رجلاً^(١) الثاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا بالسيف صلتنا في يده فقال لي : من يمنعك مني ؟ قال : قلت : الله . ثم قال في الثانية من يمنعك مني ؟ قال قلت : الله . قال : فقام السيف فما هوذا جالس ثم لم يعرض

(١) الجواب الفصح للآلوسي ٢٧٥

(٢) تثبيت دلائل النبوة ٤١١/٢ - ٤١٢

له رسول الله ﷺ (١).

وروى ابن أبي حاتم محاولة أخرى لقتله ﷺ.

ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري ومسلم والاستيعاب ومستند الإمام أحمد والبيهقي وغيرها أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فنجي بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت : أردت لأقتلك . قال : ما كان الله ليسلطك على ذلك . قال أو قال علي . قال قالوا ألا نقتلها ؟ قال : لا إنما زلت أعرفها في هوات رسول الله ﷺ .

فاتضح أن الله كان قد عصمه كما أخبر وكما وعد فقام ذلك دليلاً على صدق نبوته .

جاء في (الكشاف) : « والله يعصمك : عدة من الله بالحفظ والكلاءة . والمعنى والله يضمن لك العصمة من أعدائك فما عذرك في مراقبتهم ؟ » (٢).

قال القرطبي : « قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) دليل على نبوته لأن الله عز وجل أخبر أنه معصوم » (٣).

وكان الله قد تحذاهم قبل هذا امرين في أن يكيدوا محمداً إن استطاعوا قال تعالى : « قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنتظرون . إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » (الأعراف ١٩٥ ، ١٩٦) .

وقال : « فإن كان لكم كيد فكيدون » (المرسلات ٣٩) وهو تحذ سافر بأن يكيدوه ولا يجهلوه إذا كان ذلك بوسعهم .

ومن ذلك قوله تعالى « فسيفكهم الله وهو السميع العليم » (البقرة ١٣٧) وهذا وعد من الله بأنه سيكفيه من عانده وخالفه .

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣١/٢ ، ٧٨-٧٩ ، القرطبي ٦/٢٤٤ ، تفسير الطبري ٦/٣٠٧-٣٠٨ ، تفسير الرازي ١٢/٥٠ ، فتح القدير ٢/٥٧ ، أسباب النزول للواحدي ١٩٦ ، طبقات ابن سعد ١١٣/١/١ .

(٢) الكشاف ١/٤٧٣-٤٧٤ .

(٣) القرطبي ٦/٢٤٣ وانظر الجواب النسخ ١٠٤-١٠٥ .

جاء في (الكشاف) : « ضيان من الله لاظهار رسول الله ﷺ وقد انجز الله بقتل قريظة وسيبهم واجلاء بني النضير ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة ، إن تأخر إلى حين » (١) .

وجاء في (فتح القدير) : « وعد من الله تعالى لنبيه أنه سيكفيه من عانده وخالفه المتولين وقد انجز له وعده بما أنزله من بأسه بقريظة والنضير وبني قينقاع » (٢) .

وجاء في (التفسير الكبير) : « هذا إخبار عن الغيب فيكون معجزاً دالاً على صدقه وإنما قلنا أنه إخبار عن الغيب وذلك لأننا وجدنا خبر هذا القول على ما أخبر به الله تعالى كفاه شر اليهود والنصارى ونصره عليهم حتى غلبهم المسلمون واخذوا أموالهم وأموالهم فصاروا أذلاء في أيديهم يؤدون إليهم الخراج والجزية . . . وإنما قلنا معجز لأن المتخرص لا يصيب في مثل ذلك على التفصيل » (٣) .

ومن ذلك قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين » (الحجر ٩٤ ، ٩٥) .

والمستهزئون هم رجال بأعبائهم تمادوا في غيهم يستهزئون برسول الله ﷺ . يستهزئون فأخبر الله محمداً بأنه كفاه هؤلاء . قال الحافظ ابن كثير : « قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا اسحاق بن ادريس حدثنا عون بن كهمس عن يزيد بن درهم عن أنس قال سمعت انساً يقول في هذه الآية (إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر) قال مر رسول الله ﷺ فغمزه بهم فجناء جبريل أحسبه قال فغمزه فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنة فماتوا .

وقال محمد بن اسحاق كان عطاء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عمرو بن الزبير خمسة وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم من بني اسد بن عبد شمس بن قصي الأسود بن المطلب أبو زمعة . . . ومن بني زهرة الأسود بن عبد شمس بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن بني غزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله

(١) الكشاف ١/١٤١ وانظر الطبري ١/٥٧٠ ، ابن كثير ١/١٨٧ .

(٢) فتح القدير ١/١٢٧ .

(٣) التفسير الرازي ٤/٩٥ وانظر تثبيت دلائل النبوة ٢/٤٠١ .

ابن عمرو بن خزيمة ، ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي العاص
ابن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد ، ومن خزاعة الحارث بن الغلاللة بن عمرو
ابن الحارث بن عبد بن عمرو بن ملكان . فلما نادوا في الشر وأكثروا برسول الله
ﷺ الاستهزاء أنزل الله تعالى « فاصدع بما تضرر وأعرض عن المشركين أنا كفيناك
المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون » .

قال ابن اسحاق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء
أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهو بطرف بالبيت فقام وقام رسول الله ﷺ إلى
جنبه فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه ، ومر به
الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنين
وهو يجير إزاره وذلك أنه مر برجل من خزاعة يرش نبلاً له فتعلق سهم من نبله
بإزاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتفض به فقتله ، ومر به العاص بن
وائل فأشار إلى أخمص قدمه فخرج على حمار يريد الطائف فربض على شرفة
فدخلت في أخمص قدمه فقتلته ومر به الحارث بن الغلاللة فأشار إلى رأسه فامتخط
قيحاً فقتله . . .

وهكذا روي عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو ميثاق محمد بن اسحاق « (١) » . ولا
يهمنا ذكر الأسماء وعددهم وإنما المهم أن نعلم أن هناك مستهزئين كانوا يستهزئون
برسول الله فاعلم الله أنه كفاهم رسوله فكان كلما أخبر وهو علم من أعلام النبوة .

ونحو ذلك ما جاء في الوليد بن المغيرة : « ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له
مالاً ممدوداً . وبنين شهوداً . ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان
لأبائنا عنيداً . سأرهقه صعوداً . . . سأصليه سقر » . (المذثر ١١ - ٢٦) .

وفي هذا علمان من أعلام النبوة .

١ - إخباره بأن الوليد سيموت على الكفر ويصلية سقر فكان ذاك .

٢ - إخباره بأن الله لن يزيده مالاً ولا ولداً بعد نزول الآية وذلك قوله تعالى « ثم
يطمع أن أزيد كلا إنه كان لأبائنا عنيداً » فلم يزد مالا ولا ولداً حتى مات .

جاء في تفسير القرطبي : « كلا : أي ثم إن الوليد يطمع بعد هذا كله أن أزيده في
المال والولد (كلا) أي ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم . . . فلم يزل يرى النقصان
لـ ماله وولده حتى هلك » (١) .

وفي القرآن أخبار عن غيوب كثيرة أخرى لا تريد استقصاءها وحسبنا منها ما يفهم
الدليل وينير السبيل ويثبت الحجة ونرى أن ما أوردناه كاف لهذا الأمر .

المباهلة :

قال تعالى : « الحق من ربك فلا تكن من الممتريين . فمن حاجك فيه بعد ما
جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم
علل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » . . . (آل عمران ٦٠ ، ٦١) .

سبب نزول الآية هو أن العاقب والسيد صاحبي نجران جاءا إلى رسول الله
ﷺ وجادلاه في أمر عيسى عليه السلام فأنزل الله تعالى آية المباهلة هذه ، والمباهلة
جاء الله والابتهال إليه أن ينزل لعنته على الكاذب فواعدها على أن بلاعنه الغداة
فإذا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا
أن يجيبا وأقرا له بالخراج (١) .

قال البخاري : حدثنا عباس بن الحسين حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي
اسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه قال : جاء العاقب والسيد صاحبا
إلى رسول الله ﷺ يريدان أن بلاعناه قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا
علل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبتنا من بعدنا . قال : أنا
عليك ما سألتنا وأبعث معنا رجلاً أميناً . . . إلى آخر الحديث .

(١) القرطبي ٧٢/١٩ ، وانظر الطبري ١٥٤/٢٩ ، تثبيت دلائل النبوة ٥٤/١

(٢) تفسير ابن كثير ٣٧٠/١ ، الطبري ٢٩٥/٣ - ٢٩٨ ، فتح القدير ٣١٦/١ ، أسباب النزول للواحدي ٤٩

(١) تفسير ابن كثير ٥٥٩/٢ - ٥٦٠ ، وانظر الطبري ٦٩/١٤ - ٧٢ ، تفسير الرازي ٢١٥/٢٠ ، القرطبي ٦٢/١٠ ، فتح القدير ١٤٠/٣ ، تثبيت دلائل النبوة ٣٤٤/٢ - ٣٤٥

وقد روى البخاري والترمذي والنسائي لو أن اليهود قتلوا الموت لما اتوا ولما رأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يحدون مالا ولا أهلاً .

وهذا كما ترى فعل الوائق بربه في أنه سينزل لعنته عليهم ويهلكهم إن فعلوا ذلك وهو عما يدل على نبوته لأنهم لو باهلو ولم ينزل عليهم العذاب لكان ساعياً في تكذيب نفسه . قال الفخر الرازي : « إنها دلت على صحة نبوته عليه السلام من وجهين :

أحدهما : وهو أنه عليه السلام خوفهم ينزل العذاب عليهم ولو لم يكن واقعاً بذلك لكان ذلك منه سعيّاً في إظهار كذب نفسه لأن بتقدير أن يرغبوا في مباہلته ثم لا ينزل العذاب فحيث كان يظهر كذبه فيما أخبر . ومعلوم أن محمداً ﷺ كان من أعقل الناس فلا يليق به أن يعمل عملاً يفضي إلى ظهور كذبه فلما أصر على ذلك علمنا أنه إنما أصر عليه لكونه واقعاً ينزل العذاب عليهم .

وثانيهما : أن القوم لما تركوا مباہلته فقلوا أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما يدل على نبوته وإلا لما أحجموا عن مباہلته^(١) .

الإسراء :

قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » (الإسراء : ١)

ادعى محمد أن الله أسرى به من مكة إلى بيت المقدس ثم أرجعه في ليلة واحدة علماً بأن مدة السفر في ذلك مقدار شهرين ذهاباً وإياباً .

ولما عاد رسول الله ﷺ تحدث بذلك في أهله فقالت له أم هانئ بنت أبي طالب : لا تتحدث بهذا فوالله لا صدقك الناس وليكفرون بك من آمن بالله وليكذبوك من صدقك . فقال ﷺ : إن ربي أمرني أن أخبر الناس بذلك^(٢) .

(١) التفسير الكبير ٨/٨ - ٨٨ وانظر القرطبي ٤/٤٠٤ ، ثبت دلائل النبوة ٢/٢٦٦

(٢) ثبت دلائل النبوة ١/٤٦

وهو توقع قريب إلى الصحة من أم هانئ ، إذ كيف يدرك الناس هذا الأمر ؟ وربما أوردوا دريعة إلى تكذيبه ﷺ ، ومع ذلك أصر على الإخبار بهذا الأمر الذي ليس في مصلحة دعوته لأن الله - على حد قوله - أمره بذلك .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إن أقرب شيء يرد إلى الذهن هو أنهم سألوه عن بيت المقدس وصفته سؤالات دقيقة إن كان قد رآه كما ادعى ، علماً بأن رسول لم يكن قد رآه في حياته ، وهذه عقدة كبيرة ، وفعل حدث هذا الأمر فقد أورد عن صفة بيت المقدس فجاءه الله له فوصفه بدقة وأبو بكر يصدق حتى أنهم . جاء في صحيح البخاري : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل بن ابن شهاب حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجاء الله بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه .

وأخرجه مسلم عن جابر والإمام أحمد عن ابن عباس وأخرجه النسائي والبيهقي برهم^(٣) .

فدأ ذلك دليلاً على صحة نبوته إذ كيف يمكن أن يصف بيت المقدس بدقة وهو لم يكن قد رآه ؟ وقد ذكر أنه وصف مدخله والمسجد وسقوفه وما فيه شيئاً شيئاً^(٤) .

الرمي بالشهب :

قال تعالى على لسان الجن : « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وسهلاً وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » (الجن : ٨ ، ٩) .

وهذه ظاهرة طبيعية يذكرها القرآن وهي ظاهرة الرمي بالشهب التي صاحبت نبي محمد ﷺ .

ولا شك أن هذا الخبر صحيح إذ لو لم يكن صحيحاً لكذبته قومه فقد كثر

أخبار ابن كثير ٣/١٥

ثبت دلائل النبوة ١/٤٧ - ٤٨

وأنشأت حادثة انشقاق القمر على عهد رسول الله بالأسانيد الصحيحة وروى هذه الحادثة جمع كثير من الصحابة . فقد رويت هذه الحادثة بطرق متعددة صحيحة عن أنس بن مالك وجابر بن مطعم وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر عما يفيد العلم اليقيني إضافة إلى النص القرآني الذي له الدلالة التاريخية الملمعة .

جاء في (صحيح البخاري) باب سؤال المشركين أن يرهم النبي آية :

حدثني عبدالله بن محمد حدثنا يونس حدثنا شيان عن قتادة عن أنس بن مالك .
وقال في خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يرهم آية فأراهم انشقاق القمر .

وله هذا عن صدقة بن الفضل عن ابن عبيدة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : وفيه : فقال النبي ﷺ :
شهدوا .

وله عن خلف بن خالد القرشي عن بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عراك ابن مالك عن عبيد الله بن عبدالله بن مسعود عن ابن عباس .

وله عن عبدالله بن عبد الوهاب عن بشر بن المفضل عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك : وفيه : « حتى رأوا حراء بينهما » أي بين شفتي القمر .

وله عن عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبدالله .

وله : وقال أبو الضمحي عن مسروق عن عبدالله .

وله محمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله .

انقراض الشهب عند مبعث محمد كثره هائلة وامتلأت به السماء حتى خاف الناس وظنوا أنه فناء العالم وأراد الناس أن يخرجوا من أموالهم . جاء في (الجواب الصحيح) لشيخ الإسلام ابن تيمية : « وقد نواترت الأخبار بأنه حين المبعث كثر الرمي بالشهب وهذا أمر خارق للعادة حتى خاف بعض الناس أن يكون ذلك لخروج العالم حتى نظروا هل الرمي بالكواكب التي في الفلك أم الرمي بالشهب ؟ فلما رأوا أنه بالشهب علموا أنه لأمر حدث . . . »

حتى لما بعث الله محمداً ﷺ رجوا ليلة من الليالي ففرغ لذلك أهل الطائفت فقالوا : هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يحتمون أرفاءهم ويسبيون مواشيهم فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمرو : ومحمد يا معشر الطائفت امسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقر في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة (يعني محمداً ﷺ) وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء فنظروا فأروها فكفوا عن أموالهم . . . »

وقبل زمان المبعث وبعد كان الرمي خفيفاً لم تغلغ به السماء كما ملكت بعد نزول القرآن (١) .

وهذا من دلائل النبوة فإن الرجم كان قبل المبعث خفيفاً لا بلغت النظر ثم كثر بعد المبعث كثرة هائلة ملكت به السماء حتى خاف الناس وظنوا أنه انقراض الدنيا والموت العالم .

والقرآن يقول إن هذا رجم للجن الذين كانوا يستمعون الأخبار من السماء فنزل القرآن فمنعوا بنزول القرآن من السماع ورجعوا .

انشقاق القمر :

قال تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر

(١) الجواب الصحيح ٣٨ / ٤ - ٤٠ ، ثبت دلائل النبوة ٦٥ / ٢٩ -

● وفيه عن عثمان بن صالح عن بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عبدالله .

● وفيه عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبدالله .

● وفيه عن مسدد عن يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود .

● وفيه عن علي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله .

● وفيه عن يحيى بن بكير عن بكر بن جعفر عن عراك بن مالك عن عبدالله بن عبدالله ابن عتبة بن مسعود عن ابن عباس .

● ووردت هذه الحادثة في صحيح مسلم عن قتيبة بن سعيد عن جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله .

● وفيه عن أبي سعيد الأشج عن وكيع عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله .

● وفيه عن عمرو الناقد وزهير بن حرب فلا حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله .

● وفيه حدثنا أبو بكر بن أبي بكر شيبه وأبو كريب وإسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أبي معاوية ، وحدثنا عمر بن حفص بن غياث عن أبيه كلاهما عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبدالله بن مسعود .

● وفيه حدثنا ابن الحارث التميمي عن ابن مسهر عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبدالله بن مسعود .

● وفيه عن عبيد الله بن معاذ العنبري عن أبيه عن شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبدالله بن مسعود .

● وفيه عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر

● عن بشر بن خالد عن محمد بن جعفر وحدثنا محمد بن بشار عن ابن أبي عدي كلاهما عن شعبة بإسناد ابن معاذ عن شعبة .

● عن زهير بن حرب وعبد بن حميد فلا حدثنا يونس بن محمد عن شيبان عن قتادة عن أنس .

● عن محمد بن العثنى عن محمد بن جعفر وأبي داود ، وحدثنا ابن بشار عن يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر وأبي داود كلهم عن شعبة عن قتادة عن أنس .

● عن موسى بن قريش التميمي عن إسحاق بن بكر بن مضر عن أبيه عن جعفر بن ربيعة عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس .

● وأخرجها الإمام أحمد وابن جرير والطبراني والترمذي والبيهقي بروايات متعددة .

● وأوردنا هذه الأسانيد لتعلم مقدار ثبوت الحادثة وصحتها وأغفلنا أسانيد كثيرة روى صحيحة ولذا قال العلماء بتواتر الحادثة (١) .

● هذا إضافة إلى النص القرآني الذي يفيد العلم اليقيني « ومعلوم بالضرورة في مطرد الحالة أنه لو لم يكن انشق القمر لأسرع المؤمنون به إلى تكذيب ذلك فضلاً عن أعدائه الكفار والمنافقين » (٢) .

● جاء في (الكشاف) : « انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته النبوة ، وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله : (وإن يروا آية يعرضوا عنها سجداً) مستمر » يردّه وكفى به راداً . وفي قراءة حذيفة : « وقد انشق القمر أي انشعبت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول : أقبل الأمير . وقد جاء المبشر بقدمه » (٣) .

(١) انظر تفسير ابن كثير ٦١/٤ - فتح القدير ١١٧/٥ - اظهار الحق ١٨٧/٢

(٢) الجواب الصحيح ١٦٢/٤ - ١٦٤

(٣) الكشاف ١٨١/٣ - ١٨٢

« وجاء في (فتح القدير) : « وانشق القمر أي وقد انشق القمر وكذا قرأ حذيفة بزيادة (قد) والمراد الانشقاق الواقع في أيام النبوة معجزة لرسول الله ﷺ وإلى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف . قال الواحدي : وجماعة المفسرين على هذا إلا ما روى عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال : المعنى سينشق القمر والعلماء كلهم على خلافه .

قال الزجاج : زعم قوم عندنا عن قصد وما عليه أهل العلم أن تأويله أن القمر سينشق يوم القيامة والأمر بين في اللفظ وإجماع أهل العلم لأن قوله « وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » يدل على أن هذا كان في الدنيا لا في القيامة » انتهى .

ولم يأت من خالف الجمهور وقال إن الانشقاق سيكون يوم القيامة إلا بمجرد استبعاد فقال : لأنه لو انشق في زمن النبوة لم يبق أحد إلا رآه لأنه آية والناس في الآيات سواء . ويحجب عنه بأنه لا يلزم أن يراه كل أحد لا عقلاً ولا شرعاً ولا عادة ومع هذا فقد نقل إلينا بطريق التواتر ، وهذا بمجرد دفع الاستبعاد ويضرب به في وجه قائله .

والحاصل أنا إذا نظرنا إلى كتاب الله فقد أخبرنا بأنه انشق ولم يخبرنا بأنه سينشق وإن نظرنا إلى سنة رسول الله ﷺ فقد ثبت في الصحيح وغيره من طرق متواترة أنه قد كان ذلك في أيام النبوة، وإن نظرنا إلى أقوال أهل العلم فقد اتفقوا على هذا ولا يلتفت إلى شذوذ من شذذ واستبعد من استبعده^(١) .

وقال الفخر الرازي : «المفسرون بأسرهم على أن القمر انشق وحصل فيه الانشقاق . . . وقال بعض المفسرين : المراد سينشق وهو بعيد ولا معنى له »^(٢) .

ومعلوم أن الذين قالوا أن معنى (انشق القمر) سينشق لا يستدلون إلى شيء سوى الاستبعاد الذي ذكره بعضهم وهو أنه لو حدث لرآه الناس جميعاً . وهو مردود من

الناحية التاريخية ومن الناحية اللغوية ومن الناحية العقلية .

أما من الناحية التاريخية فقد ثبت وقوعها بالأسانيد الصحيحة المتواترة التي تفيد العلم اليقيني ، والحوادث التاريخية تثبت بأقل من هذا بكثير .

ومردود من الناحية اللغوية لأن الفعل (انشق) فعل ماضٍ وصرفه إلى الاستقبال لا يصح إلا بقرينة صارفة ولا توجد هذه القرينة، ثم يرد هذا التقدير أمران :

الأول : قوله تعالى بعد هذه الآية : « وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » فدل هذا على أنهم رأوا هذه الآية فأعرضوا وقالوا هذا سحر . ولا معنى لهذه الآية لو لم يكن الأمر كذلك أو لو كان الانشقاق يوم القيامة . فإنه في يوم القيامة يحدث ما هو أكثر من ذلك إذ قد تنشق السماء وتنتثر الكواكب وتكور الشمس وتنفجر البحار وتذوب الجبال ففن الساحر ثم ومن المسحور !!

وهذا القول حكاه كفار قريش فإنهم حين رأوا انشقاق القمر قالوا هذا سحر . بن جبير بن مطعم قال : انشق القمر ونحن بمكة حتى صار فرقتين على هذا الجبل فقال : وعلى هذا الجبل .

فقال الناس : سحرنا محمد ﷺ .

فقال رجل : إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم . رواه الترمذي .

الثاني : قراءة حذيفة (وقد انشق القمر) لأن (قد) إذا دخلت على فعل ماضٍ لم يكن كونه للزمن الماضي ولا يصح صرفه للاستقبال .

وأما الشبهة التي ذكرها بعضهم وهي أنه لو كان حصل ذلك لرآه الناس جميعاً فهذا مردود أيضاً . وقد ردها الشيخ رحمه الله الهندي رداً وافياً نلخصه بما يأتي :

١ - إن انشقاق القمر كان في الليل وهو وقت الغفلة والنوم والسكون . . فلا يد يعرف من أمور السماء شيئاً إلا من انتظره واعتنى به . ألا ترى إلى خسوف القمر فإنه يكون كثيراً وأكثر الناس لا يحصل لهم العلم حتى يخبرهم أحد به .

٢ - إن هذه الحادثة ما كانت عتلة إلى زمن كثير . . .

(١) فتح القدير ١١٧/٥ - وانظر أسباب النزول للواحدي ٤٢٤
(٢) تفسير الرازي ج ٢٩ من ٢٨ ، الفلبي ٢٧/٨٤ - ٨٨ ، القرطبي ١٧/١٢٥ وما بعدها، ثبت دلالات النبوة ٥٦/١ .

٣ - إنها لم تكن متوقع الحصول لأهل العلم لينظروها في وقتها ويروها . . . وفي المقالة الحادية عشرة من تاريخ (فرشته) إن أهل مليار من إقليم الهند رأوه أيضاً وأسلم وإلى تلك الديار التي كانت من مجوس الهند بعدما تحقق له هذا الأمر . وقد ينقل الحافظ المري عن ابن تيمية أن بعض المسافرين ذكر أنه وجد في بلاد الهند بناء قديماً مكتوباً عليه (بُني ليلة انشق القمر) .

٤ - أنه قد يحول في بعض الأمكنة وفي بعض الأوقات بين الرائي والقمر سحب غليظ أو جبل ويوجد التفاوت الفاحش في بعض الأوقات في الديار التي ينزل فيها المطر كثيراً . . . وأهل البلاد الشمالية كالروم والفرنجة في موسم نزول الثلج والمطر لا يرون الشمس إلى أيام فضلاً عن القمر .

٥ - إن القمر لا يختلف مطالعه ليس في حد واحد لجميع أهل الأرض . . . ولذلك نجد الخسوف في بعض البلاد دون بعض .

٦ - إنه قلما يقع أن يبلغ عدد ناظري أمثال هذه الحوادث النادرة الوقوع إلى حد يفيد اليقين وأخبار بعض العوام لا يكون معتبراً عند المؤرخين في الوقائع العظيمة ^(١) .

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) : « فأما قول النظام : فلم لا يشاهد هذه الآية كل الناس فليس هذا بلازم لأن الناس لم يكونوا من هذا على ميعاد وإنما هوشى حدث ليلاً وما كان عندهم خبر بأنه سيحدث وسيكون في وقت كذا فينظرونه وإذا كان كذلك فقد بطل ما ظنه . يزيدك بياناً أن القمر قد ينكسف كله فلا يرى ذلك من الناس إلا الواحد بعد الواحد والنفر يسير لئولهم فكيف بانشقاق القمر الذي انشق ثم التأم من ساعته بعد أن رآه أولئك القوم الذين طلبوه » ^(٢) .

وجاء في (الجواب الفسيح) للؤلوسي : « فقد ورد في الروايات الصحيحة بل المتواترة إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ (أن ينشق القمر فكان ذلك) » .

ثم يقول : إنه وقع في الليل وزمان الغفلة وكان في زمان قليل ورؤية القمر في بلد لا تستلزم رؤيته في جميع البلاد لاختلاف المطالع فقد يكون القمر طالعاً على قوم مالياً عن آخرين ، ومكسوفاً عند قوم وغير مكسوف عند آخرين . . . وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد ^(٣) .

وفي هذا ما يزيل الشبهة ويتضح به الأمر .

والعجيب أن كثيراً من القساوسة والرهبان يذكرون هذه الشبهة وفي كتبهم ما هو أبعد من ذلك ولا يثيرون حوله مثل هذه الشبهة .

فعتقدهم أن يوشع أوقف الشمس والقمر عن الحركة يوماً كاملاً وإن أشعبا أرجع الشمس عشر درجات . جاء في الباب العاشر من كتاب يوشع على وفق الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا :

١٢٠ - حينئذ تكلم يشوع أمام الرب في اليوم الذي وقع الاموري في يدي بني اسرائيل فقال إمامهم : أينما الشمس مقابل جبعون لا تتحركي والقمر مقابل قاع ايلون ^(١) فوقف الشمس والقمر حتى انتقم الشعب من أعدائهم ، أليس هذا مكتوباً في سفر الإبرار فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تكن تعجل إلى الغروب يوماً تلاماً .

قال الشيخ رحمة الله الهندي : « وهذه الحادثة عظيمة وكانت على زعم المسيحيين قبل ميلاد المسيح بألف وأربعمائة وخمسين سنة فلو وقعت لظهرت على الكل . . . »

وهذه الحادثة العظيمة ليست مكتوبة في كتب تواريخ أهل الهند ولا أهل الصين ^(٢) .

وجاء فيه : « في الآية الثامنة من الباب الثامن والثلاثين في بيان رجوع الشمس مرة أشعباً هكذا : « فرجعت الشمس عشر درجات في المراقي التي كانت قد انحدرت » .

١ - الجواب الفسيح ٩٩ - ٢٠٠ - وانظر القرطبي ١٧ / ١٢٥
٢ - الظاهر الحق ٢ / ٩٠

(١) اظهر الحق ٢ / ١٩٤
(٢) تثبيت دلائل النبوة ١ / ٥٧

وهذه الحادثة عظيمة ولما كانت في النهار فلا بد أن يظهر لأكثر أهل العالم وكانت قبل ميلاد المسيح بسبعمائة وثلاثة عشرة سنة شمسية وهذه الحادثة ليست مكتوبة في نواحيخ أهل الهند والصين والفرس^(١) .

فالفرس أن تسجل النواحيخ القديمة هذه الحادثة العجيبة لأن الشمس مشاهدة وكل الناس يرونها بخلاف القمر الذي يطلع وقت الغفلة والنوم . . . فكان الأجداد بهم أن يثيروا هذه الشبهة حول حداثتهم التي لم تنقل بسند واحد صحيح أو ضعيف لا حول حادثة انشقاق القمر المنقولة نقلاً تاريخياً صحيحاً متواتراً ولكنهم كما قال السيد المسيح فيهم : « يرون القشة في عين صاحبهم ولا يرون الخشب في أعينهم » .

الأدلة الحديثة مقدمة

هذه مقدمة قصيرة ضرورية - فيما نرى - للتعريف بالحديث النبوي وتدوينه وجمعه لتعرف مقدار الجهود التي بذلها العلماء للوصول الى الاحاديث الصحيحة . فانه ظهرت في العصر الحديث حملة مسعورة تستهدف الحديث والمحدثين حمل لواءها المستشرقون باسم العلم وحذا تلاميذهم بمن ينتسبون الى الاسلام حذوهم .

وهذه الحملة للنيل من رجال الحديث وبالتالي من الحديث مقصودة ، وذلك لأنه إذا ضاع الحديث ضاعت كثير من احكام العبادات والمعاملات فاحكام الطهارة والوضوء لا تثبت إلا عن طريق الاحاديث ، والصلاة ومراقبتها وركعاتها وهيئاتها ، والصيام ومفطراته واحكامه ، والزكاة وأنصبتها والاموال التي تؤخذ منها ، والحج واحكامه وأركانه كل ذلك لا يعرف إلا عن طريق الحديث . وكثير من المعاملات لا تعلم احكامها إلا عن طريق الحديث . فإذا حصل الشك في الحديث فقد بطلت العبادات والمعاملات وانحل الالتزام .

فالحملة التي تنادي بالاكثفاء بالقرآن حملة مقصودة للمروق عن الاسلام والخروج عن احكامه وتعطيلها ، لأن القرآن فيه احكام عامة وليس فيه التفصيلات . والتفصيلات انما تكفلت ببيانها السنة النبوية . ولذا قال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال : (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال : (وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ان الحديث تثبت به كثير من المعجزات المحمدية المروية بالطرق الصحيحة التي لا يرقى اليها الشك كتكثير الماء والطعام والاخبار ببعض الغيب وغيرها والتي تثبت نبوة محمد بصورة قاطعة ، فإذا نالوا من رجال الحديث فقد حصل الشك بمروياتهم فيسهل المروق من الدين . ولذلك ضربوا على هذه المسألة ضرباً عنيفاً متوالياً وحاولوا الوصول الى ذلك بكل طريق غير علمي ولا

(١) اظهر الحق ١٩٢/٢

صحيح ولا شريف باسم العلم والبحث العلمي لتكتمل الخطه ولتوافق مع بقية المخططات الرهيبه لتحطيم الاسلام.

فمن ذلك انك ترى النفل المتور عن كتب الحديث ، أو ذكر مسألة ليس لها أصل مع إحالة القارئ الى كتب الحديث المعتمدة لايهامه بصحة ادعائه . أو تحريف في النص يؤدي إلى تغيير المعنى تماماً .

وقد قام الباحثون في العصر الحديث - جزاهم الله خيراً - بسعي مشكور فردوهم ردوداً افحمتهم واخجلتهم لو كان عندهم شيء من الحياء ! ولست الآن بصدد شرح هذا الامر ونبيته فان له مجالاً غير هذا المجال واكتفى بذكر مثل واحد ذكره المرحوم الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي) لرى التحريف المقصود من مستشرق كبير ورجل (علیم) !! هو المستشرق اليهودي (جولد تسيهر) الذي صار اسنذاً لكثير من رجالنا المسلمين .

قال الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله : «وفي جامعة (ليدن) بهولندا اجتمعت بالمستشرق اليهودي (شاخت) وهو الذي يحمل في عصرنا هذا رسالة (جولد تسيهر) في الدس على الاسلام والكيد له وتشويه حقائقه ورياحته طويلاً في أخطاء (جولد تسيهر) وتعمده تحريف النصوص التي ينقلها عن كتبنا فانكر ذلك أول الامر . فضربت له مثلاً واحداً مما كتبه جولد تسيهر في تاريخ (السنة) - وهو ما نقلناه عنه في هذا الكتاب - وكيف حرق قول الزهري : « ان هؤلاء الامراء اكرهونا على كتابة (الاحاديث) » الى لفظ «على كتابة احاديث» فاستغرب ذلك ، ثم راجع كتاب جولد تسيهر - وكنا نجلس في مكتبته الخاصة - فقال : معك الحق ان جولد تسيهر اخطأ هنا .»

قلت له : «هل هو مجرد خطأ؟ فاحدد وقال : لماذا تسيئون به الظن ؟ فانتقلت الى بحث تحليله لموقف الزهري من عبد الملك بن مروان وذكرت له من الحقائق التاريخية ما ينفي ما زعمه جولد تسيهر - وقد ذكرت ذلك في هذا الكتاب - وبعد مناقشة الموضوع قال : وهذا خطأ أيضاً من جولد تسيهر ألا يخطئ العلماء ؟ قلت له : ان جولد تسيهر هو مؤسس المدرسة الاستشراقية التي بنى حكمها في التشريع الاسلامي

على وقائع التاريخ نفسه فلماذا لم يستعمل مبداءه هنا حين تكلم عن الزهري ؟ وكيف جاز له أن يحكم على الزهري بأنه وضع حديث فضل المسجد الأقصى إرضاء لعبد الملك ضد ابن الزبير ، مع أن الزهري لم يلق عبد الملك إلا بعد سبع سنوات من مقتل ابن الزبير ؟

وهنا اصفر وجه (شاخت) وأخذ بفرك يداً بيد وبدأ عليه الغيظ والاضطراب فانهيت الحديث معه بان قلت له : لقد كانت مثل هذه «الاطفاء» كما نسميها انت لشنهر في القرن الماضي ، ويناقلها مستشرق منكم عن آخر على انها حقائق علمية لبل ان نقرأ - نحن المسلمين - تلك المؤلفات الا بعد موت مؤلفيها . أما الآن فأرجو أن تسمعوا منا ملاحظتنا على (اطفاءكم) لتصححوها في حياتكم قبل ان تنقر كحقائق علمية!!»

تدوين الحديث

من الثابت أن الرسول ﷺ نهي عن كتابة الحديث في يديه الأمر لئلا يختلط بالقرآن الكريم حتى إذا ذهب المحذور أباح الكتابة لمن أراد أن يكتب وقد عمت كتابة قسم من الأحاديث في زمن الرسول من ذلك :

- ١ - صحيفة سعد بن عباد الانصاري
- ٢ - صحيفة عبدالله بن أبي أوفى
- ٣ - نسخة سمرة بن جندب
- ٤ - كتاب أبي رافع مولى النبي
- ٥ - كتب أبي هريرة
- ٦ - صحيفة جابر بن عبدالله الانصاري
- ٧ - الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو
- ٨ - الصحيفة الصحيحة لهما بن منبه^(١)

فهذه صحف كتبها الصحابة لانفسهم أو استكتبوها بعد إباحة الرسول تدوين الحديث ومن ذلك كتب النبي إلى الملوك والرؤساء مثل :

- ١ - كتابه إلى هرقل
- ٢ - كتابه إلى المقوقس ملك مصر
- ٣ - كتابه إلى المنذر بن ساوى
- ٤ - كتابه إلى ملك عمان وقد كان بعثه مع عمرو بن العاص
- ٥ - كتابه إلى صاحب اليمامة هوزة بن علي مع سليط بن عمرو
- ٦ - كتابه إلى الحرث بن أبي شمر الغساني مع شجاع بن وهيب^(٢)

(١) انظر بحوث في تاريخ السنة المشرفة ١٤٧ - ١٤٨

(٢) زاد المعاد لابن القيم ٦١/٣ - ٦٣

ومن ذلك :

١ - كتابه إلى همدان

٢ - كتابه إلى نجران^(١)

ومن ذلك كتابة قسم من الأحكام بأمر منه ﷺ نجر :

١ - كتابة أحكام الزكاة ومقاديرها بأمر الرسول بالمدينة في صفحتين

٢ - صحيفة الامام علي في الأحكام

٣ - هدنة الجديبية

٤ - كتاب الرسول إلى اليمن مع عمرو بن حزم في الفرائض والصدقات

٥ - كتاب

٦ - كتاب عبدالله بن حكيم من رسول الله فيه احكام الحيوانات

٧ - كتاب رسول الله إلى وائل بن حجر حين أراد الرجوع إلى يلاذه حضرموت

٨ - احكام الصلاة والصوم والربا والخمر

٩ - كتاب الضحاك بن سفيان من رسول الله في بيان نصيب المرأة من دية

١٠ - كتاب

١١ - كتاب لابي شاه بأمر رسول الله بعد الفتح^(٢)

هذه بداية كتابة الحديث في العهد النبوي ثم اتسعت وتمت في عهد الصحابة

إن الحديث تم وجمع في عهد الصحابة ودون أكثره في عهدهم ايضاً وذلك أن

الصحابة اتسعوا بتدوينه والتابعون أخذوا علمهم عن الصحابة ، « فقد كان سعيد

بن جبير يكتب روايات عبدالله بن عباس (الدارمي ٦٩) . وبقيت صحيفة

عبد الله بن عمرو (الصادقة) موجودة عند حفيده عمرو بن شعيب (سنن الترمذي

١١٣) . . . وجمع وهيب التابعي روايات جابر بن عبدالله وكانت عند

أبي عبد الكريم . . . (تهذيب التهذيب لابن حجر ٣١٦:١) . . . وجمع

المعاد ٣٦/٣ - ٤٠

انظر الرسالة المحمدية لسليمان الندي ٥٤ - ٥٥ بحوث في تاريخ السنة ١٤٤

هيام بن منبه روايات أبي هريرة وهو أكثر الصحابة رواية وأوعاهم حفظاً لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فصارت تعرف صحيفته بين المحدثين بصحيفة هيام وقد أوردتها الإمام أحمد بن حنبل في الجزء الثاني من مسنده . . .

وروي عن سلمى قالت : رأيت عبد الله بن عباس يستملي أبا رافع خادماً رسول الله ﷺ ما كان ﷺ يفعل أو يقول (طبقات ابن سعد ٢/٢٠٢) والوافي وهو من متقدمي المصنفين في السيرة النبوية يقول : رأيت عند عبد الله بن عباس الكتاب الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى سيد عمان مع كتابه أخرى (زاد المعاد ٢/٥٧) . . .

ويقول سعيد بن جبير التابعي كنت اكتب على الاقتاب ما أسمع في الليل من عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، فإذا أصبحت كتبه واضحاً (الدارمي ص ٦٩) وكان أصحاب البراء بن عازب يكتبون عنده رواياته (الدارمي ص ٦٩) وكان نافع - وقد صحب ابن عمر ثلاثين سنة - يملئ على الناس (الدارمي ٦٩) . وهذا الرحمن بن عبد الله بن مسعود اخرج كتاباً وقال : وأيم الله هذا ما كتبه يد أبي مسعود (جامع بيان العلم لابن عبد البر ص ١٧) . . .

قال الشيخ سليمان الندوي « ولا أعدو الحقيقة إذا قلت : إن التابعين رضي الله عنهم جمعوا جميع الروايات في عهد الصحابة وكتبوا في حياتهم ما وصل إلى علمهم من الاخبار والشؤون . . .

ومن أعظم الخطأ في تاريخ تدوين الحديث دعوى بعض الناس أنه بدأ بعد المائة وذلك تبعاً لخطئهم في تحديد زمن التابعين وهم يعلمون أن بعض الصحابة هم العمر إلى أواخر المائة الأولى للهجرة ظنوا أن عهد التابعين يبدأ بعد انتهاء زمن الصحابة فذهبوا إلى أن التدوين بدأ بعد المائة . وهذا كله خطأ . والحق أن عنوان (التابعين) يطلق على الذين لم يدركوا النبي صلى الله عليه وسلم أو ولدوا في أواخر عهده فلم يروه وإنما رأوا أصحابه وأخذوا عنهم . وعلى أقل تقدير بعد ناهي من ولد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (ربيع الأول سنة ١١) وأعمال التابعين

التي تنسب إليهم يبدأ عهدها من سنة ١١ وليس من المحتم أن لا ينسب إلى التابعين إلا ما صدر عنهم بعد وفاة آخر الصحابة بقاء على قيد الحياة ، فأخر الصحابة بقاء على قيد الحياة امتد زمنه إلى أواخر المائة الأولى للهجرة ، وأعمال التابعين - ومنها هذه بتدوين الحديث - ينبغي أن تنسب إلى زمنهم الذي يبدأ من بعد سنة ١١ النبي ﷺ فيها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الفريق الأعلى (١١) .

وهذا يتضح أن تدوين الحديث وجمعه كان في عهد مبكر جداً وهو عصر الصحابة أو أواخرهم وما كتبت أيديهم .

إن التابعين الذين هم تلاميذ الصحابة يبدأ « تاريخ طبقتهم من السنة الأولى للهجرة ومنهم من ولد في عهد النبي ﷺ » لكنه لم ينشرف برؤيته أو كان في العهد النبوي صغير السن فلم يحظ بالصحبة ولم يقدّر له أن ينال قبساً من مشكاة النبوة سعيد الرحمن بن الحارث المولود سنة ٣ وقيس بن أبي حازم المولود سنة ٤ وسعيد بن المسيب المولود سنة ١٤ وهؤلاء التابعون الذين ينزلون المنزلة الثانية بعد الصحابة في الإسلام وتبليغ دعوته . .

ولقد ذكر ابن سعد في الطبقات ١٣٩ من التابعين أهل الطبقة الأولى الذين كانوا المدينة وأدركوا كبار الصحابة وسمعوا منهم أحاديث النبي ﷺ ورووها عنهم . وذكر ١٢٩ من الطبقة الثانية الذين لقوا عامة الصحابة ورووا عنهم . أما الطبقة الثالثة من التابعين فهم الذين حظى الواحد منهم برؤية صحابي واحد أو أكثر من الصحابة وعدد هؤلاء ٨٧ فمجموع عدد التابعين ٣٥٥ في مدينة واحدة وهي مكة الرسول ﷺ فقيسوا على ذلك عدد الذين أخذوا عن الصحابة في بقية بلاد الإسلام (١٢) .

إن جمع السنة النبوية بصورة واسعة بدأ في عهد عمر بن عبد العزيز إذ أرسل عمر بن بكر بن حزم عامله وقاضيه في المدينة أن يجمع الحديث وكذلك كتب إلى أهل الشام فبديء بالجمع .

أما تدوين السنة بصورته الواسعة فقد تم على يد محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٥٠ - ١٢٤) الذي عاصر جماعة من الصحابة وأخذ عنهم.

فقد أخذ عن أنس بن مالك المتوفى سنة ٩٣ وابن عمر المتوفى سنة ٧٣ وجابر بن عبد الله المتوفى سنة ٧٨ وسهل بن سعد وغيرهم ودون من أفواههم ، ثم شاع التدوين في الجيل الذي يلي جيل الزهري فكان أول من جمع الحديث بمكة ابن جريح المتوفى سنة ١٥٠ هجرية . وابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ . وبالمدينة سعيد بن أبي عروبة المتوفى سنة ١٥٦ هـ والربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٠ هـ والامام مالك (٩٣ - ١٧٩ هـ) وقد ترك كتاب (الموطأ) الذي لا يزال متداولاً حتى الآن وقد طبع أكثر من مرة وغير هؤلاء وغيرهم^(١).

فأنت ترى أن تدوين الحديث النبوي بدأ في عهد مبكر جداً فقد بدى به بالعموم النبوي ثم كثر في عهد الصحابة ثم اتسع في عهد التابعين حتى أوشك أن يتم تدوينه لا كما يتصور كثير من الناس أنه كتبه البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ومسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ . فهذان الامامان سبقا بجهود كثيرة لكن هذين الامامين هما أول من أفرد كتاباً في الاحاديث الصحيحة وكانت المؤلفات قبل الصحيحين تحوي أحاديث صحيحة وحسنة وضعيفة مبنياً سندها^(٢).

وقد بذل المحدثون جهوداً عظيمة للوصول الى الحديث الصحيح متمسكين بالطرق العلمية مما لم تقم بمثل ذلك أمة من الأمم قبلهم فلم يمحض البشر رجلاً في التاريخ كما محض المسلمون أحاديث هذا النبي الكريم وراقبوا أعماله ، يتناول التحقيق الانساني صدق رواية الاخبار أو كذبهم وأهليتهم لحمل هذه الامانة أو عدم أهليتهم لذلك كما حقق ذلك اعلام السنة المحمدية^(٣).

وكان المحدثون يرحلون في طلب الحديث فتراهم يقضون الليالي والأيام

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع ١٢١ - ١٢٥ ، بحوث في تاريخ السنة - ١٤٤

كانت كتب الحديث قبل هذين الامامين غلوطة بآثار وآراء كثيرة للصحابة . والتابعين فهي كتب حديث خالصة غير ان هذين الامامين جردوا الصحيحين من ذلك الا في القليل .

(٢) انظر مقدمة مختصر التحفة الاثني عشرية لمحب الدين الخطيب (رب)

علة شاقة طويلة لمقابلة شخص يروي حديثاً واحداً وهذه الرحلة لطلب العلم أدت في جيل الصحابة فقد رحل جابر بن عبد الله الى عبد الله بن أنس في الشام ، استغرق سفره شهراً ليستمع منه حديثاً واحداً لم يكن جابر قد سمعه عن النبي ﷺ ، ورحل جابر الى مضر للقاء مسلمة بن مخلد وسأله عن حديث يلقه عنه فلما انصرف به رجع .

ورحل أبو أيوب الانصاري الى عقبة بن عامر بمصر فلما لقيه قال : حدثنا ما حدثنا من رسول الله ﷺ في ستر المسلم لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك . فلما أنه ركب أبو أيوب راحلته وانصرف عائداً الى المدينة وما حل راحلته .

وقد استمرت الرحلة في جيل التابعين ، فقد تفرق الصحابة في الامصار يحملون العلم فيما كان للرجل أن يحيط علماً بحديث رسول الله ﷺ دون رحلة في الامصار وملاحقة الصحابة المفرقين فيها .

يقول سعيد بن المسيب (ت ٩٤ هـ) : أحد كبار التابعين : ان كنت لأسير في طلب الحديث الواحد بسيرة الليالي والأيام . . .

وعن أبي العالية الرياحي قال : كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ فلم نرض حتى ركبنا الى المدينة فسمعناها من أفواههم . . .

واستمرت الرحلة في طلب العلم في أجيال المحدثين بعدهم حتى أرسيت دعائم العلم وثبتت قواعده واحكمت اصوله وفصوله .

وما انفرد به المسلمون - وهم في سبيل الوصول الى معرفة الحديث الصحيح - بالعلم الجرح والتعديل الذي لم تسبقهم به أمة من الأمم وهو علم يقوم على نقد الرجال ومعرفة أحوالهم . قال الدكتور عبد الكريم زيدان : «وقد قام علماء الحديث على مبرور إذا أنشأوا علم الجرح والتعديل أو علم الرجال . وهذا العلم مما انفرد المسلمون ولا نظيره عند غيرهم ، والغرض منه الكشف عن احوال رواة السنة والصدق من الكاذب والضابط من الواهم والموثوق برأيته من المطعون في روايته» .

ويقوم هذا العلم على دراسة مستفيضة لأحوال الرواة والتحري عن ميوصلهم وصفتهم وأخلاقهم ولبائهم ومقالدهم ، وقد بذل علماء هذا الفن جهداً عظيماً وتحملوا في سبيل ذلك التعب والسفر الطويل والرحلات المتعددة للتحري والتنقيب عن أحوال الرواة ودراسة حياتهم والسؤال عنهم . وقد كان علماء الجرح والتعديل في دراستهم لأحوال الرواة في غاية التجرد عن الحوى والموضوعية في البحث ولم تؤثر فيهم روابط الصداقة أو القرابة أو الاشتراك بالموطن والمذهب لأن سنة رسول الله ﷺ أعلى وأعلى في نظرهم من كل اعتبار آخر . فكانوا لهذا كله يفحصون أحوال رواة السنة النبوية فحصاً مجرداً موضوعياً لا تهمهم النتيجة التي يصلون إليها ، وإنما يهتمهم شيء واحد هو الوصول إلى حقيقة وصفات من يدرسونهم ومدى الوثوق بروايتهم . فكانوا في دراستهم هذه كالكيمياوي في مصنعه وهو يفحص مادة من المواد ليعرف خصائصها ولا تهمه النتيجة التي يصل إليها ولا نوع الصفات التي ستظهر عليها المادة التي يفحصها . فإذا ما أنهى العالم دراسته حول رواة الحديث أعطى لكل منهم رمزاً يشير إلى خلاصة ما توصل إليه فيقول : هذا ثقة ، وهذا عدل ، أو هذا لين الحديث ، أو هذا لا بأس بحديثه ، أو هذا كذاب ، أو هذا سيء الحفظ ، أو هذا أصابه ضعف في ذاكرته في شيخوخته .

وبهذه الدراسة المضنية الخالصة المجردة من الحوى والمقرونة بتتبعي الله والاخلاص له والحرص الشديد على تحرييد السنة الصحيحة عما علق بها ، استطاع علماء الجرح والتعديل بعون الله أن يميزوا صحيح السنة من مكذوبها وأن يردوا كيد أعداء الاسلام الذين أرادوا هدمه بهدم السنة والتشكيك بها وصرف المسلمين عنها^(١) .

وقال الدكتور مصطفى السباعي : «ومن ثمار هذه الجهود المباركة علم الجرح والتعديل أو علم ميزان الرجال وهو علم يبحث فيه عن أحوال الرواة وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان . . . »

ثم يقول ان هذا العلم الذي نشأ عن تلك الحركة المباركة لا تعرف له مثيلاً أبداً

في تاريخ الامم الاخرى وقد ادى الى نشأة هذا العلم حرص العلماء على الوقوف على أحوال الرواة حتى يميزوا بين الصحيح وغيره فكانوا يختبرون بانفسهم من بأسروهم من الرواة ويسألون السابقين عن لم يعاصروهم . . . »^(٢) .

وقال الاستاذ المحقق احمد محمد شاكر : «اجتهد علماء الحديث في رواية كل ما رواه عنه الرواة وإن لم يكن صحيحاً عندهم ثم اجتهدوا في التوثيق من صحة كل حديث وكل (حرف) رواه الرواة ونقدوا أحوالهم ورواياتهم واحتاطوا أشد الاحتياط بالنقل فكانوا يحكمون بضعف الحديث ، لأقل شبهة في سيرة الناقل الشخصية مما ار في العدالة عند أهل العلم .

أما إذا اشتبهوا في صدقه وعلموا انه كذب في شيء من كلامه فقد رفضوا روايته كرواية حديثه موضوعاً أو مكذوباً وإن لم يعرف عنه الكذب في رواية الحديث مع أنهم بانه قد يصدق الكذب .

وكذلك توثقوا من حفظ كل راوٍ وقارنوا رواياته بعضها ببعض وروايات غيره فان رآه خطأ كثيراً وحفظاً غير جيد ضعفوا روايته وإن كان لا مطعن عليه في نفسه ولا في صدقه خشية أن تكون روايته مما خانه فيه الحفظ . . . »^(٣) .

وقد ألف علماء الجرح والتعديل كتباً في أسماء الرجال وتوثيقهم أو تضعيفهم منقري حديثاً من الاحاديث الصحيحة أو الضعيفة إلا ترى ترجمة روايته كلهم بالجرح والتعديل . وليس ثمة شخص جاء ذكره في حديث الا تعرض له نون بالجرح أو التعديل . فهناك كتب انفردت بتناول الثقات وكتب انفردت بالضعفاء وكتب تناولت الضعفاء والثقات . وكتب ألقت في معرفة الصحابة في الطبقات وكتب في معرفة الاسماء وتمييز المؤلف والمختلف ، والمفروق في وكتب في الاسماء والكنى والالقاب وكتب في الوفيات الى غير ذلك من اللات ومن الجهود التي لا تترك مجالاً لمستزيد .

ولنا عن ذلك أيضاً علم مصطلح الحديث والذي يضع القواعد العلمية

(١) مقدمة كتابه (بحوث في تاريخ السنة المشرفة) ص ٨٨ - ٩٠
(٢) مقدمة كتابه (بحوث في تاريخ السنة المشرفة) ص ٨٨ - ٩٠
(٣) مقدمة كتابه (بحوث في تاريخ السنة المشرفة) ص ٨٨ - ٩٠

(١) مقدمة كتابه (بحوث في تاريخ السنة المشرفة) ص ٨٨ - ٩٠

لتصحيح الاخبار ، وهي اصح ما عرف في التاريخ من قواعد علمية للرواية والاجار
بل كان علماءنا رحمهم الله هم أول من وضعوا هذه القواعد على اساس علمي لا
مجال بعده للحيطه والثبوت^(١) .

فكان المحدثون يضعون مصطلحاً واضحاً أمام كل حديث يبين درجته فيقولون
هو : متواتر ، صحيح ، حسن ، ضعيف ، موضوع إلى غير ذلك من المصطلحات
الدقيقة الواضحة .

فالحديث الصحيح هو ما رواه عدل تام الضبط عن مثله إلى رسول الله ﷺ .
معلل ولا شاذ^(٢) .

فلا يحكم الحديث بالصحة حتى يكون جميع رواته عدولاً ضابطين ثم لا يكون
الحديث شاذاً أي رواه ثقة خالف من هو أوثق منه ، ولا معللاً أي فيه غلة خفية في
السند أو في المتن يعرفها جهابذة أهل العلم .

وأما المتواتر فهو أعلى درجات الحديث الصحيح لأنه ينبغي أن تكون سلاسل
رواته عدداً كثيراً بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب ومن توفرت فيهم شروط
الصحيح . وتوضيح ذلك أن تروي سلسلة كل رجالها معروفون بالعدل والتمسك
حديثاً إلى رسول الله . ثم تروي سلسلة أخرى معروفون بالعدل والضبط الحديث
نفسه إلى رسول الله . ثم تروي سلسلة أخرى كالسلسلة السابقة ، الحديث نفسه ،
ثم تروي سلسلة أخرى كالسلاسل الأخرى الحديث نفسه ، ثم تروي سلسلة
أخرى كالسلاسل الأخرى الحديث نفسه .

قالوا وأقل هذه السلاسل خمسة وقسم ضبطه بأثنتي عشرة سلسلة وبعضهم
وباربعين وسبعين وبغير ذلك .

فهذا الحديث أي الحديث المتواتر يفيد العلم القطعي .

والاحاديث كلها مدونة مسجلة برواتها وألفاظها ودرجاتها فلا يمكن احكامها

(١) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ١٢٥

(٢) مصطلح الحديث للشيخ عبد الغني محمود ، ١٤ ، الباعث الحديث ٢١

يقول حديثاً واحداً من نفسه لأن الاحاديث كلها بلا استثناء مدونة في كتب الحديث
ومدون معها روايتها ومدون لفظ كل راوٍ بحيث لا يمكن التصرف به (حرف) واحد .
ومدون معها درجة الحديث . فأبى ضبط هذا؟! .

وأصح كتب الحديث باجماع المسلمين هو صحيح البخاري ثم صحيح مسلم .
وصحيح البخاري يشمل أربعة آلاف حديث وهو - كما ذكر البخاري - أخرجه من
أهله ستمائة ألف حديث وما وضع فيه حديثاً إلا اغتسل قبل ذلك وصلى ركعتين^(١) .

والبخاري أكبر امام في الحديث في عصره بلا منازع أذعن له شيوخ العلم وأقروا
بالفضل وفضلوه على انفسهم في سائر الامصار وكانوا لا يقدمون عليه أحداً . قال
البخاري : كتبت الحديث عن ألف شيخ وأكثر ، ما عندي حديث لا اذكر
اسناده^(٢) .

نظر في الحديث من صفه ورد على بعض الشيوخ منذ كان عمره إحدى عشرة
سنة^(٣) . وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو
أب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسونه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم
من يكتب عنه^(٤) .

ذكر أبو حامد أحمد بن حنبل القصص قال : سمعت مسلم بن الحجاج - صاحب
الصحيح المشهور - جاء إلى محمد بن اسماعيل البخاري فقبل بين عيني - وقال دعني
القول حتى رجلك يا استاذ الاستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله^(٥) .

مرض البخاري كتاب الصحيح على شيوخ عصره كالامام احمد بن حنبل ويحيى
بن معين وابن المديني فأقروا له بالصحة . وفحصه المسلمون فحسبوا دقيقاً في عصره
والناسور التي بعده ونظروا في رجاله فاجمع المسلمون على تقديمه وتوثيقه .

(١) التاريخ بغداد ٢ / ٨٠٨

(٢) التاريخ بغداد ٢ / ١٠

(٣) تاريخ بغداد ٢ / ٦

(٤) تاريخ بغداد ٢ / ١٥

(٥) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٢

قال الحافظ الذهبي : «وأما جامع البخاري الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى . فلو رحل الشخص لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته» .

وقال الامام النسائي : ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن اسماعيل البخاري^(١) .

قال البخاري : «صنفت كتاب الصحاح ثلث عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله»^(٢) .

ولم يذكر البخاري فيه كل ما صح عنده وإنما كتب فيه أربعة آلاف حديث صحيح قال البخاري : «ما أدخلت في كتابي الجامع الصحيح إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال الطوال»^(٣) .

وكذلك الامام مسلم بن الحجاج المتوفى سنة ٢٦١ فقد أخذ عن البخاري وعن شيوخ عصره وطاف البلاد وألف كتابه الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة وفيه زهاء أربعة آلاف حديث . وفحصه المسلمون فحصاً دقيقاً وأقروا له بالنقد والثقة فهذان الكتابان أصبح كتب الحديث باجماع المسلمين .

قال الحافظ ابن كثير : «أول من اعتنى بجمع الصحيح أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري وتلاه صاحبه وتلميذه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فهما أصبح كتب الحديث والبخاري أرجح . . .

ثم إن البخاري ومسلم لم يلتزما باخراج جميع ما يحكم بصحته من الاحاديث فانها قد صححوا احاديث ليست في كتابيهما»^(٤) .

(١) تاريخ بغداد ٩ / ٢

(٢) تاريخ بغداد ١٤ / ٢

(٣) تاريخ بغداد ٩ / ٢

(٤) الباعث الحديث ٢٥

والخلاصة ان كل ما في الصحيحين صحيح وليس فيها كل الصحيح .
ثم تأتي بعد هذين الكتابين في الصحة الصحاح الاربعة وهي : جامع الترمذي وسنن النسائي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه رحمهم الله اجمعين .
وبعد هذه المقدمة القصيرة نعود إلى بحثنا .

يسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ونهلككم كما أهلكتهم» .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارفها ومغاريها وإن أمتي سيلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيته الكنزين الأحمر والأبيض . . . الحديث » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) بطرق متعددة عن أبي هريرة وجابر بن سمرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده وقبصر ليهلكن ثم لا يكون : فيصر بعده ولتقسم كنوزهما في سبيل الله » .

وفي (صحيح البخاري) أن المغيرة قال لعامل كسرى : وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثله قط ومن بقي منا ملك رقابكم .

وفي (صحيح البخاري) بأكثر من طريق عن محمد بن خليفة عن عدي بن حاتم قال : « بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا فملح السبيل ، فقال يا عدي : هل رأيت الخيرة ؟ قلت : لم أرها وقد أثبتت عنها . قال : فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الخيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله . قلت فما بيني وبين نفسي فأين دُعَا طيء الذين قد سعروا البلاد ؟ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز . ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه . ولبلقيس الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولون : ألم أبعث إليك رسولاً قبلك ؟ فيقول : بلى . فيقول : ألم أعطك مالاً وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى . فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم قال عدي : سمعت النبي ﷺ يقول : انقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة . قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الخيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله . وكنت فيمن اقتنخ كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي

أدلة الحديث

أن الأدلة التي تثبت نبوة محمد من الحديث الصحيح كثيرة غاية الكثرة ونحن لا نريد أن نستقصى جميع الأحاديث الدالة على ذلك وإنما حسبنا منها ما يقيم الدليل .

وقد التزمنا أن لا نذكر إلا حديثاً صحيحاً فمن ذلك :

١ - إخباره بالنصر وكثرة الفئوح وهلاك كسرى وقبصر :

جاء في (صحيح البخاري) بطرق متعددة عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلّى على أهل أحد صلواته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال : « إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض . وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها » .

وجاء فيه أيضاً عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال : إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وربتها . . . الحديث .

وجاء فيه نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ومن ذلك ما جاء فيه عن خباب بن الارت قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو الله لنا ؟ قال . . . الحديث وفيه .

« والله ليؤمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

ومن ذلك ما جاء فيه عن عمرو بن عوف الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال حديثاً وفيه « فابشروا وأملوا ما يسركم فوالله لا أفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن

أبو القاسم يخرج ملء كفه .

أقول حدث هذا في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقد كان عماله يطوفون على من يقبل الصدقة فلا يقبلها أحد فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري ومحمد بن يحيى بن حبان وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفل رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة - شك إسحاق - قالت : فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقالت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس عرضوا علي غزاة في سبيل الله - كما قال في الأول - قالت فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم . قال : أنت من الأولين . فركبت في البحر زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلك . وأخرجه النسائي والبيهقي .

وجاء نحو هذا الحديث في (صحيح البخاري) عن عمير بن الأسود العنسي أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حصن وهو في بناء له ومعه أم حرام قال عمير فحدثنا أم حرام أنها سمعت النبي ﷺ يقول : « أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا . قالت أم حرام : قلت يا رسول الله أنا فيهم ؟ قال أنت فيهم . ثم قال النبي ﷺ : أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم . فقلت أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال لا . »

فأنت ترى أن هذا المعنى قد تواتر بطرق كثيرة صحيحة عن عتبة بن عامر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وخباب بن الارت وعمرو بن عوف الأنصاري ولؤبان وجابر بن سمرة والمغيرة بن شعبة وعدي بن حاتم وأم حرام فأفاد العلم القطعي ودل ذلك دلالة ظاهرة على صحة نبوته ﷺ .

٢ - الإخبار بما يفتح المسلمون من البلاد :

أخبر الرسول ﷺ بفتح خيبر واليمن والعراق والشام وبيت المقدس ومصر والروم وفارس وغيرها من البلاد قبل فتحها وأكثر هذه البلاد فتح بعد موته (ص) فإمام ذلك دليلاً على صحة نبوته ﷺ .

فمن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن حميد وعبد العزيز بن سفيان وثابت البناني ومحمد بن سيرين وقادة كلهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : وفيه : « فخرجنا إلى خيبر فأنتهينا إليهم ليلاً فلما أصبح ولم يسمع أذاناً نزلت وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم النبي ﷺ قال : فخرجوا ولما مكثناهم ومساحيهم فلما رأوا النبي ﷺ قالوا : محمد والله محمد والخميس » قال فلما رأهم رسول الله ﷺ قال : الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا ساحة قوم فساء صباح المنذرين » وأخرجه البيهقي .

ولنحوه ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن سهل بن سعد وسلمة بن الأكوع وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين قالوا - واللفظ هنا لسهل بن سعد - : قال النبي ﷺ يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . فبات الناس ليلتهم أهبم يعطى فغدوا كلهم يرجوه . قال : أين علي ؟ فقيل يشتكي عينيه . فبصر في عينيه ودعاه فبرأ كأن لم يكن به شيء فأعطاه . فقال : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . قال انفذ علي رسله حتى تنزل حاجتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم » وأخرجه البيهقي وابن الأثير في أسد الغابة .

ففتح الله على يديه فدل ذلك على صحة نبوته ﷺ .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : تفتح اليمن فيأتي قوم يسنون »

(الحميس : الجيش)

فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وتفتح الشام فيأتي قوم يُستون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وتفتح العراق فيأتي قوم يُستون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

ونحوه ما جاء في (صحيح البخاري) عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا . قال قالوا وفي نجدنا . قال قال : اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا . قال قالوا وفي نجدنا . قال قال هناك الزلازل والفش وبها يطلع قرن الشيطان » .

وفي هذا الخبر بفتح الشام قبل أن تفتح .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن عوف بن مالك قال : أتيت النبي ﷺ وهو في قبة من آدم فقال : أعددتاً بين يدي الساعة : « موتى ثم فتح بيت المقدس . . . الحديث »

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفتحون مصر وهي أرض بسمى فيها القباط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً أو قال : ذمة وصهرأ . فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة فاخرج منها .

قال فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة فخرجت منها » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « منعت العراقي درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مديها ودينارها ، ومنعت مصر أردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه » .

وهذا إخبار بفتح هذه البلاد وما تؤول إليه . وقد وقع ما ذكره ﷺ وعاد الناس من حيث بدأوا .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن نافع بن عتبة قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة . . . الحديث وفيه :

قال : تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فتحها الله . . . الخ » .

وهذه الأحاديث متواترة في المعنى - كما ترى - فقد رويت هذه الأحاديث في فتح البلاد عن طريق أنس بن مالك وسهل بن سعد وسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وهشام بن أبي زهير وابن عمر وعوف بن مالك وأبي ذر ونافع بن عتبة بطرق صحيحة متعددة فأفادت العلم اليقيني القطعي ودلت بصورة قاطعة على صدق نبوته ﷺ .

٣ - الإخبار بوقاة النجاشي وآخرين :

أخبر النبي (ص) بوقاة النجاشي ملك الحبشة في اليوم الذي مات فيه وإن ما بين مكة والمدينة مسيرة الأيام والليالي فجمع الصحابة فصنفهم صفوفاً وصلى عليه وهذا إخبار بالغيب .

روى البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عبد الرحمن عن أبي هريرة وأخرجاه عن سعيد بن ميناء وعطاء وعن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله وأخرجاه عن عمران بن حصين وأخرجاه بطرق متعددة عن الشعبي عن ابن عباس - هذا اللفظ لأبي هريرة - « أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات » خرج إلى المصلى فصنف بهم وكبر أربعاً » .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه كان في الصف الثاني أو الثالث .

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب والنسائي والبيهقي .

فأنت ترى أن هذا الحديث روي بسلاسل متعددة كلها صحيحة ، بل هو في الصحيح فدل على نبوته ﷺ .

ومن ذلك ما جاء في البخاري بطرق كثيرة عن حميد بن هلال عن أنس ابن مالك

رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر
فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب وإن عيني رسول الله ﷺ لتدركان
ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له » . وأخرجه البيهقي وابن الأثير
أسد الغابة . وأخرج البخاري نحوه أيضاً عن عبد الله بن عمر .

وهذا الحديث قيل في معركة مؤتة والرسول في المدينة . وهو من معجزاته ﷺ
ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن أبي هريرة (رض) قال :
« بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت
الأنصاري [ثم ذكر الحديث أن فيهم من قتل وفيهم من أسر وبيع ومعه خبيب]
وفيه : فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم وما أصيبوا » .

فأنت ترى أن هذا المعنى متواتر ورد عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله وعمر
ابن حصين وابن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر بأسانيد متعددة كما هو
صحيحة فدل على صحة نبوته ﷺ .

٤ - الإخبار بخاتمة طائفة من الناس :

أخبر الرسول بخاتمة بعض الأشخاص فقال : هو من أهل النار أو هو من أهل
الجنة فحتم له كما قال . ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن أبي
هريرة وسهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما - واللفظ لسهل - « أن رسول الله
ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال
الآخرين إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاة ولا
فأدة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقالوا : ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان . فقال
رسول الله ﷺ : أما إنه من أهل النار . فقال رجل من القوم : أنصاحبه ، قال
فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه قال فخرج الرجل جرحاً
شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين يديه ثم تحامل
سيفه فقتل نفسه . فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك رسول
الله . قال وما ذاك ؟

قال الرجل الذي ذكرت أنك إن من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به
شاهد في طلبه ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض
وذبابه بين يديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : إن
الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل
عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » (١) .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن سعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن
عبد الله بن كعب عن أبي هريرة ، وفيه عن عبيد الله بن كعب عن شهد خبير مع
رسول الله ﷺ - واللفظ لأبي هريرة - قال : « شهدنا خبير فقال رسول الله ﷺ
لنبي من معة يدعي الإسلام هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد
القتال حتى كثرت به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل ألم الجراحة
فألقى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهماً فحرق بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين
على رسول الله ﷺ فقال صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال قم يا فلان فلأن إن
هو من أهل الجنة إلا مؤمن إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . وأخرجه الإمام
مسلم في المسند والبيهقي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
« انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان [ثم ذكر
في ذلك ملاحاة سعد لأبي جهل] ثم جاء فيه :

قال : فجعل أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك وجعل يمسكه .

فذهب سعد فقال دعنا عنك فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك . قال
قال : نعم .

قال والله ما يكذب محمد إذا حدث . فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال
الأنبياء ؟ قالت : وما قال ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلي .
قال والله ما يكذب محمد . قال فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له

قال والله ما يكذب محمد إذا حدث . فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال
الأنبياء ؟ قالت : وما قال ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلي .
قال والله ما يكذب محمد . قال فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له

أمراته : لما ذكرت ما قال لك أخوك البزبي ؟ قال فلراد إلا يخرج . فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادي فسر يوماً أو يومين فسلم معهم فقتله الله .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أنس بن مالك قال : كنا مع عمر وذكر الحديث وفيه - فقال - أي عمر - إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول : هذا مصراع فلان غداً إن شاء الله قال فقال عمر : فوالذي بعث بالحق ما انخطأوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول : إن جعل لي الأمر من بعده تبعته . وقدمها في بشر كثير من قومه . فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف مسيلمة في أصحابه فقال : لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدوا أمي فيك ولن أدبرك ليعقرنك الله ، وإني لأراك الذي أريت فيك ما أريت . فالتفت أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال بينما أنا قائم رأيت في يدي سوارين ذهب فأهمني شأنهما ، فأوحى إلي في المنام أن انفضهما فنفضتهما فطارا . فأول كذابين يخرجان بعدي فكان أحدهما العنسي والآخر مسيلمة الكذاب صاحب البهامة . »

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن أبي بكر قال : « رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه سيف ويقول : إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين المسلمين . »

وقد وقع ما ذكره رسول الله ﷺ فأصلح الله بالحسن بين فئتين عظيمتين وهما أهل الشام وأهل العراق .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) بأكثر من طريق عن سعيد الخدري وأم سلمة - واللفظ هنا لأبي سعيد - قال : « كنا نحمل لبنه لبنة يحمل لبنتين لبنتين - يعني في بناء المسجد - فرأه النبي ﷺ فينفض الثراب

يقول : ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار . قال يقول عمار : أعوذ بالله من الشنن . »

ومال ابن عبد البر في (الاستيعاب) : « وتواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال : يقتل عماراً الفئة الباغية . وهو من أصحاب الأحاديث . » فقتل عمار رضي الله عنه في جيش علي وقتله الفئة الباغية على علي وهي فئة معاوية . فكان كما أخبر رسول الله ﷺ .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن سعيد بن المسيب وأبي أنس النهدي عن أبي موسى الأشعري . . . وساق الحديث وفيه : « فجاء إنسان إلى الباب فقلت : من هذا ؟ فقال عثمان بن عفان فقلت علي رسلك . فجلست إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه . »

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن أنس بن مالك وأبي الأشعري - واللفظ ههنا لأنس بن مالك - قال : إن النبي ﷺ صعد أحداً بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : أثبت أحد فلما عليك نبي وصديق

وهذا هو هذا المعنى عن أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن يزيد بن أبي عبيد وعبد الله بن عبد الله بن كعب بن مالك وإياس بن سلمة بن الأكوع كلهم عن سلمة الأكوع رضي الله عنه قال : « خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال ل من القوم لعامر يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل بالقوم . . . الحديث

فقال رسول الله ﷺ من هذا السائق ؟ قالوا عامر بن الأكوع . قال : يرحمه

ثم يسوق الحديث وفيه أن عامراً مات مساء فتح خيبر . وأخرجه البيهقي إلى وابن الأثير في أسد الغابة وغيرهم .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن عروة ومسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : « دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت . قالت فسألتها عن ذلك فقالت : سارني النبي ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجهه الذي توفي فيه فبكت ثم سارني فأخبرني أنني أول أهل بيته اتبعه فضحكت » .
وكان كما قال ﷺ : أنها أول أهل بيته لحوقاً به .

إلى غير ذلك من الأخاديت الصحيحة .

وهذا المعنى متواتر فقد جاء بأسانيد كثيرة كلها صحيحة عن أبي هريرة وسعد الساعدي وابن مسعود وأنس بن مالك وابن عباس وأبي بكرة وأبي سعيد الخدري وأم سلمة وأبي موسى الأشعري وسلمة بن الأكوع وعائشة وبطريق متعددة فدل على صحة نبوة محمد .

٥ - الإخبار عن الفرقة المارقة :

كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يخبر أصحابه عما يحدث فيهم ولهم وكان الصحابة يسألونه أحياناً فيجيب ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) - في هذا الباب - عن أبي موسى وأنس بن مالك « أن رسول الله ﷺ خرج حين زالت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر أن فيها أموراً عظيماً ثم قال من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ما دمت في مقامي هذا فأكثر الناس في البكاء وأكثر أن يقول : سلوني . فقام عبد الله بن حذاف السهمي فقال : من أبي ؟ قال أبوك حذافة . ثم أكثر أن يقول : سلوني فبركوا على ركبتيه فقال : رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً . . . الحديث » .

ومن ذلك ما أخبره بخروج المبير والكذاب في ثقيف . جاء في (صحيح مسلم) « أن أسماء بنت أبي بكر قالت للحجاج : أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن ثقيف كذاباً ومبيراً » . فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه » .

(١) المبير : السفاك ، المبدع ، المهلك .

ومن عظيم الأخبار ما أخبر به عن خروج الفرقة المارقة وأنهم تقتلهم أولى الملائكة بالحق فقتلهم على كرم الله وجهه .

جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن أبي سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب « أن الله بن عمر ، واللفظ هنا لأبي سعيد رضي الله عنه - وفيه : « فأقبل رجل غائر الوجه مشرف الوجنتين نأتى ، المجين كثر اللحمية مخلوق فقال : اتق الله يا محمد . فقال : من يطع الله إذا عصيت ، أيامني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني ؟ فسأله : هل قتله أحسبه خالد بن الوليد فمنعه ، فلما ولي قال : إن من ضضىء هذا أو في هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يحرقون من الدين مروق السهم من الأمة يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » .

وأخرج البخاري ومسلم أيضاً عن أبي سلمة بن عبد الرحمن والضحاك الحمداوي وأرو نصره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أثناء ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله أعدل فقال : ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل . فقال عمر يا رسول الله انذن لي فيه فاضرب عنقه . فقال دعه فإن له حاجاً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يحرقون من الدين كما يحرق السهم من الرمية . . . إلى أن يقول : أديهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدرّ در ويخرجون على من فرقة من الناس .

قال أبو سعيد فاشهد أنني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ واشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه . فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت في عينيه فقلت : لعن النبي ﷺ الذي نعت » .

وجاء في (صحيح مسلم) « حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق بن همام حدثنا الملك بن أبي سليمان حدثنا سلمة بن كهيل حدثني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي رضي الله عنه : أيها الناس اني سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج قوم من امتي

وهم أدنى الطائفتين إلى الحق . والطائفة الأخرى قتلوا عمار بن ياسر وهي الطائفة الباغية .

وكان علي قد أخبرهم بهذا الحديث وبعلامتهم وطلبوا هذا المخدج فلم يجدوه . حتى قام علي بنفسه ففتش عليه فوجده مقتولاً فمسجد شكرياً لله . (١١) .

٦ - الإخبار بهبوب الريح الشديدة :

جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن أبي حنيفة الساعدي قال : « غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك . . . الحديث وفيه ، فلما أتينا تبوك قال : أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة فلا يقوم من أحد ومن كان معه بعير فليعقله ، فعقلناها وهبت ريح شديدة فقام رجل فألقته بجبل طيء . . . الحديث » .

٧ - زيادة الماء :

تواترت الأخبار الصحيحة بزيادة الماء ببركة رسول الله ﷺ فمن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم وسنن البيهقي) واللفظ للبخاري قال : « حدثنا سعد قال حدثني يحيى بن سعيد قال حدثنا عوف قال حدثنا أبو رجاء عن عمران قال : كنا في سفر مع النبي ﷺ . . . إلى أن قال : ثم سار النبي ﷺ فاشتكى إليه الناس من العطش فنزل فدعا فلاناً كان يسميه أبو رجاء نسيه عوف ودعا علياً فقال : اذهبا فابغيا الماء فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيجتين من ماء على حجر لها . فقالا لها أين الماء ؟ قالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرتنا خلوفاً . فقالا لها : انطلقني إذن . قالت : إلى أين ؟ قال : إلى رسول الله ﷺ . قالت : الذي يقال له الصابى ؟ قال : هو الذي تعين فانطلقني فجاءها بها إلى النبي ﷺ . . . الحديث الحديث قال فاستنزلهما عن بعيرها ودعا النبي ﷺ . . . بناء ففرغ فيه من أفواه المازدتين أو سطيجتين وأوكأ أفواههما وأطلق العزالي ونودي في الناس اسقوا واستقوا استقوا من شاء واستقوا من شاء وكان آخر ذلك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء قال : اذهب فافرغه عليك وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها وأيم الله لقد أقلع

(١١) الجواب الصحيح ١٤٣/٤ - ١٤٤

يقراءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء . يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يبرقون من الإسلام كما يبرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل .

وأية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض ، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرار بكم وأموالكم والله أني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فانهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس . فسيروا على اسم الله .

قال سلمة بن كهيل فزكني زيد بن وهب منزلاً حتى قال مررت على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي فقال لهم : القوا الرماح وسالوا سيوفكم من جفونها فأنى أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء . فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف وشجروهم الناس برماحهم . قال وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان . فقال علي رضي الله عنه . التمسوا فيهم المخدج . فالتمسوه فلم يجدوه . فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى إناساً قد قتل بعضهم على بعض قال : اخروهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبروا . قال : صدق الله وبلغ رسوله .

قال فقام إليه عبيدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ؟

فقال : « إي والله الذي لا إله إلا هو ، حتى استخلفه ثلاثاً وهو يحلف له . » وفي هذا عن عبيدة عن علي وعن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله . وهو آية عظيمة من آيات الله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وفي رواية في الصحيحين : تمرق مارقة على فرق من المسلمين يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق .

وهؤلاء ظهروا بعد موته ببضع وعشرين سنة في أواخر خلافة علي لما أفسد المسلمون . وكانت الفتنة بين عسكر علي وعسكر معاوية وقتلهم علي بن أبي طالب

عنها وانه ليخيل لنا انها اشد ملاءة منها حين ابتداء فيها .

فقال النبي ﷺ : اجمعوا لها فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاماً فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها .

قال لها : تعلمين ما رزقنا من مائك شيئاً ولكن الله هو الذي اسقانا . فانت اهلها وقد احتسبت عنهم قالوا ما حبسك يا فلانة ؟ قالت العجب لفي رجلان فذهبا الى هذا الذي يقال له الصابي . ففعل كذا وكذا فوالله انه لاسحر من بين هذه وهذه وقالت باصبعيها الوسطى والسبابة فرفعتهما الى السماء تعني السماء والارض او انه لرسول الله حقاً . . الحديث .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك انه قال : « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتني رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الاناء يده وأمر الناس أن يتوضأوا منه . قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه حتى توضأوا من عند آخرهم » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن ثابت عن انس وفيه : « فجعلت أنظر الى الماء ينبع من بين أصابعه » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن قتادة عن انس رضي الله عنه قال : « أتني النبي ﷺ باناء وهو بالزوراء فوضع يده فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم . قال قتادة لانس كم كنتم ؟ قال ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن الحسن وخريد عن انس قال : « حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار الى اهله وبقي قوم فأتني رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء فصغر المخضب أن يسط فيه كفه فتوضأ القوم كلهم . قلنا : كم كنتم ؟ قال : ثمانين وريادة » واخرجه ابن سعد في الطبقات باسناد عديدة عن انس .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال :

« فلما يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة . فجلس النبي ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى رويانا ورويت أو صدرت ركائبنا » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن معاذ بن جبل في غزوة تبوك وذكر قريباً هذه الحادثة .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة ونسأ فجهش الناس نحوه فقال : ما لكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب الا ما بين يديك . فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال الحارون فشربنا وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة الف لكفانا . كنا خمس عشرة مائة » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن جابر بن عبد الله فذكر الحديث وفيه :

« وقال - اي رسول الله ﷺ - : خذ يا جابر فصب عليّ وقل : باسم الله صببت عليه وقلت : باسم الله فرأيت الماء يتفور من بين أصابع رسول الله ﷺ . فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال : يا جابر ناد من كان له حاجة بماء قال الناس فاستقوا حتى رويوا . قال فقلت : هل بقي احد له حاجة ؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملاءى . » واخرجه البيهقي والنسائي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن علقمة عن عبد الله قال : « كنا نعد باناء بركة وانتم تعدونها تخويفاً . كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء قال : اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا باناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الاناء ثم أحس على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ . ولقد كنا نسمع نسيح الطعام وهو يؤكل » .

فانت ترى ان هذا المعنى متواتر مروي بسلاسل متعددة كلها صحيحة عن عمران

والبراء بن عازب ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود
فدل ذلك على صدق نبوته ﷺ .

٨ - تكثر الطعام :

لقد تواتر تكثيره ﷺ الطعام كما تواتر ذلك في الماء .

فمن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن الشعبي وكعب بن مالك ومعب
ابن كيسان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « توفي عبد الله بن عمرو بن حرام
وعليه دين فاستعنت النبي ﷺ على غرمائه أن يضعوا من دينه فطلب النبي اليهم
فلم يفعلوا . فقال لي النبي ﷺ : اذهب فصفتم ترك أصنافاً : العجوة على
حدة وعدق زيد على حدة ثم أرسل إلي ففعلت ثم أرسلت إلى النبي ﷺ فجلس
على أعلاه أو في وسطه ثم قال : كل ، للقوم فكلتهم حتى أوفيتهم الذي هم وبقي
غري كأنه لم ينقص منه شيء » .

وفي رواية للبخاري قال جابر : « فعرضت على غرمائه أن يأخذوا الشمر بماء ،
فأبوا ولم يروا أن فيه وفاة » .

وفي رواية للبخاري أيضاً قال جابر : « فأتيت النبي ﷺ فقلت : إن أبي تركه
عليه ديناً وليس عندي إلا ما يخرج نخله ، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه . وسألت
الحديث . أخرجه النسائي وابن سعد في الطبقات .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن سلمة وأبي هريرة رضي
الله عنهما - واللفظ لسلمة - قال : « خفت أزواد القوم وأملقوا فأتوا النبي ﷺ لي
نحر إبلهم فأذن لهم . فلضيقهم عمر فأخبروه فقال : ما بقاؤكم بعد إبلكم ؟ فدخلوا
على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما بقاؤهم بعد إبلهم ؟ فقال رسول الله
ﷺ : ناد في الناس فيأتون بفضل أزوادهم فيسقط لذلك نطع وجعلوه على الأظفار
فقام رسول الله ﷺ فدعا وبرك عليه ثم دعاهم بأوعيتهم فاحتش الناس حتى
فرغوا . ثم قال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن عبد الرحمن بن أبي بكر
رضي الله عنهما قال : « كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة فقال النبي ﷺ هل مع
أحد منكم طعام ؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فجعن ثم جاء رجل مشرك
شعاعاً طويل بغنم يسوقها فقال النبي ﷺ : بيعاً أم عطية أو قال : أم هبة ؟

قال : لا بل بيع . فاشتري منه شاة فصنعت وأمر النبي ﷺ بسواد البطن أن
يشوي . وأيم الله ما في الثلاثين والمائة إلا قد حزر النبي ﷺ له حزة من سواد بطنها
إن كان شاهداً أعطاها إياه وإن كان غائباً خبأه فجعل منها قصعتين فأكلوا أجمعون
وشعنا ففضلت القصعتان فحملناه على البعير أو كما قال » ، رواه البيهقي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن إسحاق بن عبد الله بن
أبي طلحة وسعد بن سعيد وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعن أبي يحيى وعبد الله بن
عبد الله وعمرو بن عبد الله كلهم عن انس بن مالك قال : « قال أبو طلحة لأم سليم
لماذا سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعیفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء ؟
فالت : نعم . فأخرجت أقرصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببغضه
أم . دسسته تحت يدي ولا تشني ببغضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال فذهبت
به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقميت عليهم فقال لي رسول
الله ﷺ : أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت : نعم . قال : بطعام ؟ فقلت : نعم .
فقال رسول الله ﷺ : لمن معه : قوموا . فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت
لأبو طلحة فأخبرته . فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس
والنساء عندنا ما نطعمهم . فقالت : الله ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقي
رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه فقال رسول الله ﷺ :
يا أم سليم ما عندك . فالت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ فقُت
فصارت أم سليم عكة فأدتمته ثم قال رسول الله ﷺ : ما شاء الله أن يقول ثم قال :
الذين لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم
فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم
خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون

وهي دعوات كثيرة استجابها الله تعالى لنبيه فمن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة وشريك بن عبد الله بن ابي نجر وثابت وقتادة ويحيى بن سعيد وعبد الله بن أنس كلهم عن أنس بن مالك قال : « أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ فينا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال : يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا . فرفع يديه وما نرى في السماء قرعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيتي ﷺ فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابي أو قال غيره فقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال : اللهم حولينا ولا علينا فيما يشير بيده الى ناحية من السحاب الا اخرجت وصارت المدينة مثل الجثوة وسال الراوي قناة شهراً ولم يجيء احد من ناحية الا حدث بالجود . » واخرجه النسائي والبيهقي .

وهذا وارد بطريق متواتر عن أنس كما ترى .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن عباد بن تميم عن عمه وكان صحابياً ان النبي ﷺ خرج بالناس يستسقي لهم فقام فدعا الله قائلاً ثم توجه قبل القبلة . وحول رداءه فاستقوا .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن مسروق في استشفاع قريش بالرسول قال : « فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا وشكا الناس كثرة المطر قال : اللهم حولينا ولا علينا فاتحدت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم . »

ومن ذلك ما جاء فيه عن سالم عن أبيه : « ربما ذكرت قول الشاعر وأنا انظر الى وجه النبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يحيش كل ميزاب يعني قوله :

وابيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل »

وهذا الحديث متواتر عن أنس فقد ورد من سنة طرق صحيحة : ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن سعيد بن ميناء وعن أيمن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ حصاً شديداً فاتكفأت لله امرأتي فقلت : هل عندك شيء فاني رأيت برسول الله ﷺ حصاً شديداً فأخرجت اليّ جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطخت الشعير ففرغته الى فراغي وقطعتها في برمتها ثم ولّيت الى رسول الله ﷺ فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ وعين معه فجنته فسارته فقلت : يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحننا صاعاً من شعير كان عندنا ففعال انت ونفّر معك فصاح النبي ﷺ فقال : يا أهل الخندق ان جابراً قد صنع سوراً فحي هلاً بكم فقال رسول الله ﷺ لا تنزلن برمتكم ولا تحبزن عجيتكم حتى احيى فجنّت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت : بك وبك . فقلت قد فعلت الذي قلت فأخرجت له عجينة فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فاقسم بالله الله اكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا تطفئ كما هي وان عجيتنا ليخبز كما هو . » ورواه البيهقي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن الجعد عن أنس بن مالك قال : « مر بنا في مسجد بني رفاعه فسمعت يقول كان النبي ﷺ اذا مر بجنات ام سليم دخل عليها فسلم عليها ثم قال : كان النبي ﷺ عروساً بزينب فقالت لي ام سليم لو أهدينا لرسول الله ﷺ هدية فقلت لها افعل ؛ فعمدت الى تمر وسمن واقط فاتخذت حبة في برمة فارسلت بها معي اليه فانطلقت بها اليه فقال لي ضعها ثم امرني فقال ادع لي رجلاً ساهم وادع لي من لقيت قال ففعلت الذي امرني فرجعت فاذا البيت غاص بأهله فرأيت النبي ﷺ وضع يديه على تلك الحبة وتكلم بها ما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال حتى تصدعوا كلهم عنها . . . الحديث . » ورواه النسائي .

فقد ثبت هذا بطريق التواتر ودل ذلك على نبوته ﷺ .

بالباقين . « (التوبة ٧٥ - ٧٧) :

قال ابن كثير : « عن أبي امامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الانصاري انه قال رسول الله ﷺ : ادع الله أن يرزقني مالا ، قال فقال رسول الله ﷺ : ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه . » قال ثم قال مرة أخرى . فقال : أما لرضي أن تكون مثل نبي الله ؟ فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير الجبال معي هباً وفضة لسارت .

قال : والذي بعثك بالحق لنن دعوت الله فرزقني مالا لا عطين كل ذي حق حقه . فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارزق ثعلبة مالا . قال فاتخذ غنماً فنمت كما في الدود فضاقت عليه المدينة فتحنى عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما . ثم نمت وكثرت فتحنى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الاخبار . فقال رسول الله ﷺ : ما فعل ثعلبة ؟ قالوا يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة فأخبروه بامرهم فقال : يا ويح ثعلبة ! يا ويح ثعلبة ! وانزل الله جل ثناؤه (خذ من أموالهم صدقة) الآية ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين رجلاً من جهينة ورجلاً من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما :

مرأ ثعلبة وبفلان - رجل من بني سليم - فخذوا صدقاتهما .

فخرجتا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال : ما هذه الإجزية . ما هذه إلا اخت الجزية ما ادري ما هذا ؟ انطلقا حتى تمرغا ثم عودا فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزفها للصدقة ثم اقبلها بهما فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك . فقال فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة وانما هي له .

فأخذاهما منه ومرا على الناس فأخذوا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال : أرولني إني أقرأه فقال : ما هذه الإجزية ما هذه إلا اخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) بطرق متعددة عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود حدثه (حين وضع سلى الجزور على ظهر الرسول ﷺ) وهو ساجد : « فرفع رأسه ثم قال : اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فشق عليهم إذ دعا عليهم وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة ثم سمي اللهم عليك يا بني جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأممية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعد السابيع فلم يحفظه . قال فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر . »

وفي حديث احمد بن اسحاق السورماني هذا ذكر السابيع وهو عمارة بن الوليد . ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) بطرق متعددة عن مسروق قال : « كنا عند عبد الله [ابن مسعود] فقال : ان النبي ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال : اللهم سبع سبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف وينظر أحدهم الى السماء فيرى الدخان من الجوع فأتاه أبو سفيان فقال : يا محمد انك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم . »

قال تعالى : « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » الى قوله « يوم نبعثش البطشة الكبرى فالبطشة يوم بدر . وقد مضت الدخان والبطشة والليزام وآية الروم . »

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما يقول : « دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين فقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب اللهم اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم . »

فكان كما دعا .

ومن ذلك دعائه لثعلبة الذي قال الله فيه : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا »

فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رأها قال : يا ويح ثعلبة ، قبل أن يكلسها ودها
للسلمي بالبركة فآخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي .

فانزل الله عز وجل : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
الآية الى آخر الحديث . . . »

وقوله تعالى (عما اخلفوا الله ما وعدوه) . . . الآية أي اعقبهم النفاق في قلوبهم
اخلفهم الوعد ^(١) .

اخرجها ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والعسكري في الامثال والعلل
وابن منده والبارودي وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر عن ابي امامة الباهلي
ولا يهنا ان تكون هذه الآيات نزلت في ثعلبة هذا أو غيره ولكن ينبغي ان نعلم
حادثة كهذه وقعت كما اخبر القرآن .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن البراء بن عازب وأبي
ابن مالك وعبيد الله بن عتبة عن أبي بكر وفيه [حديث الهجرة] :

« واتبعنا سراقه بن مالك فقلت : أتينا يا رسول الله فقال لا تحزن ان الله معنا
عليه النبي ﷺ فارتطم به فرسه الى بطنها أرى في جلد من الارض شاة ^(٢)
فقال : اني أراكم قد دعوتني فادعوني فادعوني فادعوني فادعوني فادعوني فادعوني
النبي ﷺ فنجأ فجعل لا يلقى أحداً إلا قال كفيتكم ما ههنا فلا يلقى أحداً ^(٣)
رده . »

وجاء في البخاري نحوه عن سراقه بن جعشم .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبياس بن سلمة بن الأكوع ان
حدثه « ان رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال : كل بيمينك . »

قال : لا أستطيع . قال : لا استطعت ما منعه إلا الكبر .

قال فما رفعها الى فيه . « وهي أحاديث كما نرى متواترة في المعنى . »

(١) تفسير ابن كثير ، ٣٧٣/٢ ، الطبري ١٨٩/١ ، الرازي ١٣٨/١٦ ، القرطبي ٢٠٩/٨ ،
اسد الغابة ٣٦٧/٢

١٠ - حنين الجذع :

جاء في (صحيح البخاري) عن أيمن وعبيد الله بن أنس بن مالك عن جابر بن
عبد الله وباسانيد متعددة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما « ان امرأة من
الانصار قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ألا أحعل لك شيئاً تقعد عليه فان
لي غلاماً نجاراً ؟ قال : إن شئت . قال فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد
النبي ﷺ على المنبر الذي صنع فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى
قادت أن تنشق فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تنن انين الصبي
الذي يسكت حتى استغثت . قال بكى على ما كانت تسمع من الذكر . » واخرجه
السنائي والبيهقي والامام احمد وابن الاثير في اسد الغابة .

١١ - معجزات مختلفة :

فمن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال :
« لما يا رسول الله اني سمعت منك حديثاً كثيراً فأنساه . قال اسطر داءك فيسقط
اعرف بيده فيه ثم قال ضمة ، فضمته فما نسيت حديثاً بعد . »

ومنه ما جاء في (صحيح البخاري) عن البراء قال بعث رسول الله ﷺ الى
رافع اليهودي رجلاً من الانصار فأمر عليهم عبد الله بن عتيك . . . (وساق
الحديث) وفيه :

« موضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة
فاكسرت ساقي فعصبتها بعمامة . . . فانتبهت الى النبي ﷺ فحدثته فقال :
يا رسول الله فمسحت رجلي فمسحتها فكأنها لم أشتكها قط . » واخرجه البيهقي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن عبد الله وعبيد الله اني كعب بن مالك
من أبيهما وساق الحديث وفيه :

« فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب فقال رسول الله ﷺ :
يا أبا خيثمة ، فإذا هو أبو خيثمة الانصاري . » واخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب
وابن الاثير في اسد الغابة وابن حجر في الاصابة .

فانت ترى ان هذه المعجزات من الكثرة بحيث تقطع القول في صدق نبوته

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : « وهذه الاخبار [المعجزات] منها ما هو في القرآن ومنها ما هو متواتر يعلمه العامة والخاصة كنبع الماء من أصابعه وتكثير الطعام وحنين الجذع ونحو ذلك فإن كلاً من ذلك تواترت به الاخبار واستفاضت ونقلته الأمة جهلاً بعد جيل وخلفاً عن سلف فيما من طبقة من طبقات الأمة إلا وهذه الآيات متفردة مشهورة مستفيضة فيها ينقلها أكثر ممن ينقل كثيراً من القرآن وقد نقلها وسمعها من الأمة أكثر ممن سمع ونقل كثيراً من آيات القرآن وأكثر ممن سمع ونقل انه كان يسجد في الصلاة سجدتي السهو ومن سمع ونقل نصب الزكاة وفرائضها . . . وذلك ان آيات الرسول كان كثير منها يكون بمشهد من الخلق عظيم فيشهدون بالآيات كما شاهد أهل الحديبية وهم ألف وخمسمائة نبع الماء من بين أصابعه . . . وكما شاهد العسكر في غزوة ذات الرقاع الماء البير لما صبه جابر في الخفة وامتلاؤها وملا منها جميع العسكر . . . وكما شاهد أهل خيبر وهم ألف وخمسمائة الطعام الا كان كريضة الشاة فأشبع الجيش كلهم . . . وكما شاهد أهل الخندق وهم أكثر ألف كثرة الطعام في بيت جابر بعد ان كان صاعاً من شعير وعناقاً فأكلوا كلهم من الجوع حتى شبعوا وفضلت فضلة » (١) . . .

ثم قال : « والمقصود هنا ان تواتر انواع آياته المستفيضة في الاحاديث اعظم امور كثيرة هي متواترة عند الأمة أو عند علمائها وعلماء أهل الحديث وهذا من الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن » (٢) .

١٢ - ظهور النار في أرض الحجاز :

وهذه آية عظيمة من آيات النبوة ودلالة قاطعة على نبوة محمد ﷺ . . . قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى » .

(١) الجواب الصحيح ٢٢٧/٤ - ٢٢٨

(٢) الجواب الصحيح ٢٤٩/٤

وقد ظهرت هذه النار في أرض الحجاز سنة ٦٥٤ هـ بالحرة قرب المدينة المنورة وقد ذكرها المؤرخون المعاصرون لها في كتبهم كأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ في كتابه (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) وذكرها ابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ (ذكرها القطب القسطلاني وهو من المعاصرين لها وذكرها القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ في كتابه (التذكرة) وذكرها ابن تيمية وقد ولد بعدها ببضع سنين (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) وذكرها اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦ هـ في ذيل مرآة الزمان وذكرها ابن كثير في تاريخه من المؤرخين .

قال أبو شامة المعاصر لخروج هذه النار في كتابه (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) في حوادث سنة ٦٥٤ هـ : « وجاء الى دمشق كتب من المدينة على ساكنها السلام بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة وكتب الكتب في خامس رجب . . . النار بحالها ووصلت الكتب اليها في عاشر شعبان . . . بسم الله الرحمن الرحيم ورد الى مدينة دمشق حرسها الله تعالى في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وسبعمائة كتب من مدينة رسول الله ﷺ فيها شرح امر عظيم حدث بها ، فيه تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى » . فأنخبرني بعض من أثق به شاهدتها بالمدينة بلغه انه كتب بنهاء على ضوءها الكتب . قال وكنا في بيوتنا تلك الدار وكان في دار كل واحد ما سراجاً ولم يكن لها ضوء بقدر عظمها وانما كانت آية من آيات الله تعالى وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها . . . (في احد الكتب)

ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريباً من قريظة نبصرها من دورنا بداخل الحرة كأنها عندنا وهي نار عظيمة أشعها أكثر من ثلاث منائر وقد سالت أودية منها الى وادي شظا سيل الماء . وقد سدت سبيل شظا وما عاد يسيل ، والله لقد أعيا جماعة نبصرها فإذا الجبال ، تسير فيراناً وقد سدت الحرة طريق الحاج والبر . . .

في كتاب آخر : ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وسبعمائة في المدينة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم انفجرت من الأرض وسال

منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ثم وفقت وعادت الى الساعة ولا ندري ماذا تفعل . ووقت ما ظهرت دخل أهل المدينة الى نبيهم عليه الصلاة والسلام مستغفرين تائبين الى ربهم وهذه دلائل القيامة .

وفي كتاب آخر . . . وقد حصل بطريق هذه النار إفلاخ عن المعاصي والتفرب الى الله بالطاعات وخرج امير المدينة عن مظالم كثيرة الى أهلها .

ومن كتاب شمس الدين بن عبد الوهاب بن تميلة الحسيني قاضي المدينة الى بعض اصحابه . . . ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرة في رأس اجيلين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة وما بان لنا إلا ليلة السبت واشفقنا منها وخفنا خوفاً عظيماً وطلعت الى الامير وكلمته وقلت له : قد أحاط بنا العذاب ارجع الى الله فاعتن كل محالبك ورد على جماعة أموالهم فلما فعل هذا قلت له : اميط الساعة معنا الى النبي ﷺ فهبط وبننا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم ولا بقي احد لا في الدخيل ولا في المدينة إلا عند النبي ﷺ واشفقنا منها وظهر ضوءها الى ان ابصرت من مكة ومن القلعة جميعها . . . وبالله يا أخي ان عيشتنا اليوم مكثرة والمدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقي نسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب . وغت النار تسير الى ان سدت بعض طريق الحاج وبعض بحرة الحاج وجاء في الوادي منها البنا فقمنا وخفنا انها نجبتنا واجتمع الناس ودخلوا على النبي ﷺ وبانوا عنده جميعهم لواء الجمعة . وأما قنبرها الذي مما بلبنا فقد طفىء بقدرة الله سبحانه وتعالى وانها الى الساعة ما نقصت الا ترمي مثل الجبال حجارة من نار ولها دوي ما يدعنا نرقد ولا نأكل ولا نشرب وما أقدر أصف لك عظمها ولا ما فيها من الاهوال .

وفي كتاب آخر . . . وأيقن الناس بالهلاك منها أو العذاب وبات الناس نالماً الليلة بين مصلى ونال للقرآن وراكم وساجد وذاع الى الله ومبتصل من ذنبه ومستهطرت وتائب . . . (وقد نظمت فيها أبيات وقصائد ذكر منها أبو شامة) (١٦)

وقال ابن الساعي (٥٩٣هـ - ٦٧٤هـ) في تاريخ سنة أربع وخمسين وستائة : وفي يوم الجمعة ثامن عشر رجب - يعني من هذه السنة - كنت جالساً بين يدي الوزير فورد عليه كتاب من مدينة الرسول ﷺ صحيفة فاصد يعرف بقباز العاصم

(١) تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص ١٩٠ وما بعدها.

الحسيني المدني فتأوله الكتاب فقراء وهو يتضمن ان مدينة الرسول ﷺ زلزلت يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة حتى ارنج القبر الشريف النبوي وسمع صرير الحديد امركت السلاسل وظهرت نار على مسيرة أربع فراسخ من المدينة وكانت ترمي الجبال . . .

وقال ابن الساعي وفأنت بخط العدل محمود بن يوسف بن الامعاني شيخ حرم المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام يقول : ان هذه النار التي ظهرت بالحجاز آية عظيمة وإشارة صحيحة دالة على اقتراب الساعة (١٧) .

وقال القرطبي في كتابه التذكرة : «وذكر لي بعض اصحابي أنه رأى تلك النار اعدة في الهواء من مسيرة خمسة أيام من المدينة المشرفة وذلك من اعلام النبوة» . وقال : «وسمعت انها رقيت من مكة ومن جبال بصرى» (١٨) .

وقال ابن نيمية : «ورأى أهل بصرى اعتناق الجبال من ضوء تلك النار» (١٩) .

قال ابن كثير : «وقد اخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي بن ابي الفاسم عمي الحنفي الحاكم بدمشق في بعض الايام في المذاكرة وجرى ذكر هذا الحديث وما كان من أمر هذه النار في هذه السنة فقال : سمعت رجلاً من الاعراب يخبرني ان الذي ببصرى في تلك الليالي انهم رأوا اعتناق الابل في ضوء هذه النار التي ظهرت في الجوار» (٢٠) .

فأنت ترى ان هذه دلالة عظيمة على نبوة محمد ﷺ فقد خرجت هذه النار بعد ما البخاري ومسلم بأربعمائة سنة فأبى دلالة هذه ؟

مقابلة الترك :

جاء في (صحيح البخاري ومسلم) متواتراً عن أبي هريرة وجاء فيها أيضاً عن

مدينة والنهاية لابن كثير ١٩٢/١٣

تاريخ التذكرة للقرطبي ١٢٣ ، وانظر كتاب وفاة الرقاء بلخير دار النسطري لليهودي ١٠٠/١

المواهب الصحيح لابن نيمية ١٨٩/٢ ، ١٣٦/٤

مدينة والنهاية ١٩١/١٣ . وانظر ذيل مرآة الزمان ج ١/٤ - ١٠

عمرو بن تغلب - واللفظ ههنا لابي هريرة - قال : « قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلق الاتوف كان وجوههم المجلال المطرقة ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعاظم الشعر » وأخرجه الترمذي .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : « قلت : وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما أخبر ﷺ وأمر هذه الطوائف معروف . فإن قتال الترك من التتار وغيرهم الذين هذه صفتهم معروف مشهور وحديثه في أكثر من عشرة آلاف نسخة كبار وصغار من كتب المسلمين . قبل قتال هؤلاء الذين ظهروا من ناحية المشرق الذين هذه صفتهم التي لو كلف من رأيهم بعينه أن يصفهم لم يحسن مثل هذه الصفة » (١) .

وقال : « فمن رأى هؤلاء الترك الذين قاتلهم المسلمون من حين خرج جنكيز خان ملكهم الأكبر وأولاده وأولاد أولاده مثل هلاكو وغيره من الترك الكفار الذين قاتلوا المسلمين لم يحسن أن يصفتهم بأحسن من هذه الصفة » (٢) .

وقال التتوي : « هذه الأحاديث كلها معجزة لرسول الله ﷺ فقد عرف بها هؤلاء الترك بجمع صفاتهم التي ذكرها النبي ﷺ وقاتلهم المسلمون مرات » (٣) .

وبما أخبر به ﷺ وشاهدناه في عصرنا هذا ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « صفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسه كناسمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

فهذان الصفان لم يكرتا في عهد رسول الله ﷺ ولكننا شاهدناهما في عصرنا هذا شاهدنا الذين بايدهم سياط مثل أذناب البقر يضربون بها الناس وشاهدنا النساء الكاسيات العاريات اللاتي رؤوسهن كناسمة البخت وهو ما يسمى : (التسرية) التي تشبه سنم الجمل وهو ما لم يكن في عصر مسلم . وهذا الحديث تحقق بشروط

مما أكثر من ألف عام من موت مسلم الذي رواه في صحيحه . وهو آية من آيات النبوة .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا » .

ومن ذلك ما رواه أبو داود والبيهقي في الدلائل عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : « توشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعي الأكلة إلى قصعتها ، فغسل النمل من قلة تحن يومئذ ؟ قال : بل انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل وا زعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن . قال قائل يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : الوهن حب الدنيا وكراهة الموت » .

وهذا أيضاً مما شاهدناه في عصرنا الحالي فإن المسلمين ذوو عدد كثير ولكنهم غثاء السيل نزع الله من قلوب أعدائهم المهابة منهم وقذف في قلوبهم الوهن . وقد نزل هذا الحديث في يوم عز الاسلام والمسلمين .

وهل دليل أوضح من هذا على نبوته ﷺ ؟

ولا نزال نتنظر فتناً وأموراً تقع بين يدي الساعة أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ كحجارة اليهود حتى يقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبيد الله هذا يهودي خلفي فها هو فاقبله كما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) وكهدم الكعبة وظهور الدجال وغيرها من الآيات .

لهذه الأحاديث التي ذكرناها تدل دلالة قاطعة على صحة نبوة محمد ﷺ . من مقولة نقلها صحيحاً بل في أعلى درجات الصحة وأكثرها - كما رأيت - مروي الأصل متعددة كلها صحيحة . فثبت ما قلنا والحمد لله .

(١) الجواب الصحيح ١٣٥ / ٤ - ١٣٦

(٢) الجواب الصحيح ٨١ / ٢

(٣) انظر الأذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة لمحمد صديق حسن خان ٨٢

موافقات !!

نحب قبل أن تنتقل إلى البحث التالي أن نذكر طرفاً من الموافقات التي كانت بجانب الرسول واجتماعها في خدمته .

١ - في وقعة بدر أرسل الله المظفر كما أخبر القرآن لثبت به اقدام المؤمنين . وكان انزاله على حالة كانت نعمة للمؤمنين نفمة على جيش قريش قال تعالى :

«اذ يغشاكم العباس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنيكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام»

قال ابن كثير : «يذكرهم الله تعالى بما انعم عليهم من إلقائه العباس عليهم اماناً امنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم وكذلك فعل تعالى بهم يوم احد كما قال تعالى : «ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة ناعساً بغشي» . والامنة منكم وطائفة قد أهمتهم انفسهم الآية . . . قال أبو طلحة : كنت عن أصابه العباس يوم احد ولقد سقط السيف من يدي مراراً يسقط وأخذه ويسقط وأخذه ولقد نظرت اليهم يمدون وهم تحت الخيف . . . عن علي رضي الله عنه قال : ما كان بينا فارس يوم بدر غير المقداد ولقد رأينا وما بينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح . . .

عن عروة بن الزبير قال : «بعث الله السماء وكان الوادي دهساً فأصاب رسول الله ﷺ واصحابه ما لبث لهم الارض ولم يمنعهم من المسير وأصاب قريباً ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه»^(١)

فلماذا كان الجوع مع محمد في المعركة ؟ أهو من قبيل الموافقات أم هو تباري رباني ؟

٢ - في وقعة الاحزاب أرسل الله ريحاً قوية على الاحزاب المجتمعة اجمالاً

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٩١ - ٢٩٢

الرسول زلزلتهم حتى اضطروا إلى الرحيل وهم خائبون قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تريها وكان الله بما تعملون بصيراً»

قال ابن كثير : «ثم أرسل الله عز وجل على الاحزاب ريحاً شديدة المهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ولا نوقد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين»^(٢)

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) : «فلو كانت هذه الريح وغيرها من الامور التي جرت العادة مثلها لما امتن الله به ولا احتج العدو والولي يسمعه»^(٣)

فلماذا كان الجوع هنا في خدمة محمد ايضاً كما كان في بدر ؟ افهذا من قبيل الموافقات ايضاً أم هو تدبير رباني ؟

٣ - رمى محمد في وقعة بدر قبضة من حصباء الوادي في وجوه المشركين فاصابت كل واحد منهم ودخلت في عينيه . قال تعالى «فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» .

جاء في (اسباب نزول القرآن) للواحدي : «واكثر اهل التفسير على ان الآية نزلت في رمي النبي عليه السلام القبضة من حصباء الوادي يوم بدر حين قال للمشركين : شاهت الوجوه ورماهم بتلك القبضة فلم تبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء»^(٤)

وجاء في (فتح القدير) : والصحيح كما قال ابن اسحاق وغيره ان المراد بالرمي المذكور في هذه الآية ما كان منه ﷺ في يوم بدر فانه اخذ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين فأصاب كل واحد منهم ودخلت في عينيه ومنخره وانفه .

وقيل : «المعنى ان تلك القبضة من التراب التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها ما بلغ أثرها الا ما يبلغه رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم»^(٥)

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧٠

(٢) تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٤٥١

(٣) اسباب النزول القرآن ٢٣٠

(٤) فتح القدير ٢/ ٢٨١، وانظر تفسير القرطبي ٧/ ٣٨٤، ابن كثير ٢/ ٢٩٥

وعلى أي حال فهي رمية خاصة بلغت مبلغاً خارقاً ولولا ذلك ما ذكرها القرآن .
فهل هذا أيضاً من قبيل الموافقات ؟ .

٤ - عند خروج محمد مهاجراً كانت مجموعة من فتيان قريش يتربصون به ليقتلوه
فخرج من بينهم ولم يروه . ثم اختفى في غار وصل إليه القافة ووقفوا عليه وقفة لو
نظر احداهم اسفل قدميه لراه وكان أبو بكر مضطرباً فقال له رسول الله : لا تخزن ان
الله معنا . قال تعالى : «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تخزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده»
بجنود لم تروها» .

فما الذي صرفهم عن النظر في الغار وقد وصلوا اليه ؟ ولماذا لم يدركهم الطلب ؟
فهل هذا أيضاً من قبيل الموافقات ؟

٥ - عند البعثة المحمدية كثر الرمي بالشهب - كما ذكرنا - كثرة هائلة امتلأت بها
السماء وادعى محمد ان هذا بسبب الرسالة التي جاء بها لئلا يسمع الجن قال تعالى
على لسان الجن : «وانا كنا نفعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً
رصداً» .

فلماذا كانت الشهب في خدمة محمد ، أفهذا من قبيل الموافقات ؟

٦ - ذكرنا ان محمداً تحدى اليهود في نمحي الموت وقال إنهم لن ينمنوه فيما تمته احد
منهم .

لماذا لم ينمنه احد منهم ؟ لماذا لم يتقدم واحد منهم متحدياً محمداً كما تحداهم ؟
أفهذا أيضاً من قبيل الموافقات ؟

٧ - ذكرنا ان قسماً من نصارى نجران جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فدعاهم إلى
المباهلة وهي الدعاء على الكاذب فوافقوا ثم احجموا وامتنعوا وأدوا الخراج كما ذكره
القرآن .

فلماذا احجموا واستسهلوا الخراج على انفسهم بدفعونه كل عام أهم يرون انه نبي
أم يرون انه كاذب ؟ أم هو من قبيل الموافقات العجيبة التي تكون دائماً في خدمة
محمد ؟

٨ - في معركة حنين اعجبت المسلمين كثرتهم ثم انهزموا وثبت الرسول ونادى في
اصحابه فجمعهم ثم انتصر المسلمون . قال تعالى : «لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما
رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً
أم تروها» .

أفهذا أيضاً من قبيل الموافقات ؟

٩ - قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا من يرئد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا
يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم» .

قال القرطبي : . . وهذا من اعجاز القرآن والنبي ﷺ إذ اخبر عن ارتدادهم
ولم يكن ذلك في عهده وكان ذلك غيباً فكان على ما اخبر بعد مدة وأهل الردة كانوا
بعد موته ﷺ» (١) .

وقال الحسن البصري نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر (٢)

وهذا أمر عجيب اذ كيف يخبر عن الارتداد قبل حصوله ؟ أفهذا من وحي السماء
أم من قبيل الموافقات الغريبة ؟ !

١٠ - وردت تعبيرات قرآنية في غاية الدقة مثل تسمية (العزيز) في قصة يوسف
وهو أدق ترجمة للاسم المصري القديم . قال الاستاذ مالك بن نبي : «ولقد تعرضت
الثروة اللفظية التي جاء بها القرآن في جميع تفاصيلها غثل هذا التكليف الرائع كما
حدث لذلك الاسم الخاص «Putiphare» وهو اسم الشخصية الكسابية التي
اعطيت عليها رواية القرآن لقب «العزيز» في قصة يوسف . ولنا ان نساءل عما إذا
قالت هناك صلة في المعنى بين الاسم الاسرائيلي واللقب القرآني . فالتفسير العبري
يبدو أنه يقصد بكلمة Putiphare اشتقاقاً مصرياً يبدأ من الاصل Puti' Favori
«عزيز» . والاصل Phave مستشار أو ناصح .

ونقلاً عن بحث القسيس فيجور Vigoureux نعرف ان هذه الكلمة مصرية

(١) تفسير القرطبي ٢١٩ / ٦

(٢) تفسير ابن كثير ٧٠ / ٢

مركبة معناها «عزيز الاله شمس» .

وعلى أي من الرأيين نرى ان التكبيف الاشتقاقي القرآني قد حذف اللفظ المكمل -
الاضافي أو الوصفي - لينمثلة في صورة أكثر تطابقاً مع روح التوحيد الاسلامية .
فلذا به يكتفي بلفظ «العزیز» (١) .

فهل هذا أيضاً من قبيل الموافقات؟!

ولا نريد أن نستطرد في ذكر الموافقات فهي في غابة الكثرة ولكننا أردنا ان نضع
طرفاً منها أمام أي مرتاب لعلها تدعوه الى التأمل والخروج بتبيجة تظمئن البهائتسه
في ان هذا الرجل لا يمكن أن يكون مدعباً ولا كاذباً وإنما هو نبي مؤيد منصور .

جولة في الكتب القديمة

اعلن محمد في القرآن أن اسمه وصفته مكتوبان عند أهل الكتاب بحيث يعرفه
«لماؤهم معرفة نامة كاملة كمعرفتهم أبناءهم» . وهذا التشبيه يقتضي أن يكون هو
«موضحاً توضيحاً كاملاً لا شبهة فيه ولذا قال : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما
يعرفون أبناءهم وإن قريباً منهم ليحكمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا
تكونن من الممترين » (البقرة ١٤٦ ، ١٤٧) .

وتكرر هذا القول في مكان آخر من القرآن الكريم . قال في (سورة الأنعام ٢٠)
« الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » .

وقال في (سورة الأعراف ١٥٧) : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي
يهدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت
عليهم » .

وكان يقول إن أهل الكتاب يعلمون أن هذا الدين وهذا الكتاب حق وإنه مدون
في رُزهم قال تعالى : (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك
لكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين . أولم يكن لهم آية ان
يعلمه علماء بني اسرائيل » (الشعراء ١٩٢ - ١٩٧) ، وقال : « وكذلك أنزلنا
إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد
بآياتنا إلا الكافرون » (العنكبوت ٤٧) .

وقال : « والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن
من الممترين » (الأنعام ١١٤) وقال : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد
إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

واعلن أن عيسى ذكر اسمه صراحة فقال : « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني
إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من
بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (الصف ٦) .

تدوم إلى قيام الساعة (١١).

وجاء في (دلائل النبوة) لأبي نعيم : (عن صفية بنت حيي أنها قالت كنت أحمل ولد أبي إليهِ وإلى عمي أبي ياسر لم ألقيهما قط مع ولدهما إلا أخذاني دونه قال فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل فناء بني عمر وبين عوف غداً عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، قالت فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس قالت فأتيا كائنين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى قالت فهششت إليهما ما كنت أصنع فوالله ما بلغت إلي واحد منهما مع ما بهما من الهمة قالت فسمعت أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : اتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بدلت أبداً (١٢).

وقد آمن به وصدقه كثير من علماء أهل الكتاب وأخبارهم ورهبانهم وأثبتوا حديثه وأيدوا قوله كعبد الله بن سلام وعدي بن حاتم والنجاشي وغيرهم .

قال ابن اسحاق : « وقدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً من قريياً من ذلك من النصاري حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وقيالتهم رجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة . فلما لم يأت من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وسادوا وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتبهم من أمره (١٣) .

وأخبر القرآن بأن من أهل الكتاب من آمن به تصديقاً لما جاء في كتبهم قال تعالى : (قل أريتكم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل ما مثله قائلهم واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (الاحقاف ١٠) .

وقال : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا

يا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص ٥٢ ، ٥٣) .

ومن الثابت تاريخياً أن أهل الكتاب كانوا يستفتحون به على أعدائهم أي يسرون به وقد ذكر القرآن عنهم ذلك . قال تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند ربهم صدقوا ما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » (البقرة ٨٩) .

(والاستفتاح الاستنصار أي كانوا من قبل يطلبون من الله النصر على أعدائهم أي المبعوث في آخر الزمان الذي يجدون صفته عندهم في النوراة) (١٤) .

وقال ابن كثير : (أي وقد كانوا من قبل عجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يسرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلهم) (١٥) .

وقال ابن عباس : « كانوا يهود خيبر تقاتل غطفان فكلها انتقوا هزمت يهود خيبر فأتى اليهود بهذا الدعاء وقالت : اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا بفرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم . قال فكانوا إذا انتقوا دعوا بهذا الدعاء ثم غطفان . فلما بعث النبي ﷺ كفروا به » (١٦) .

وكان هذا سبباً من أسباب إيمان الأنصار قال ابن اسحاق « وكان مما صنع الله لهم (الأنصار) به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتب وعلم فكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوه في بلادهم فكانوا إذا كان لهم شيء قالوا لهم : إن نبياً مبعوث الآن قد أطل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم (١٧) .

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النصر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض أموا والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم

(١) فتح القدير ٩٥/١ وانظر تفسير الطبري ٤١٠ - ٤١١ ، تفسير الرازي ١٨٠/٣

(٢) تفسير ابن كثير ١٢٤/١

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي ٢٦-٢٥ ، وانظر هداية الخباري ٢٩٥ - ٢٩٦

(١) الاجوبة الفاعرة ٢٣٥

(٢) دلائل النبوة ١٧/١ وانظر هداية الخباري ٢٩٧ - ٢٩٨

(٣) هداية الخباري ٣١٠

Atharphavida . كذلك صنع بكتب زرادشت التي اشتهرت باسم الكتب الخمسية فاستخرج من كتاب زند افستال Zend Avesta نبوة عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين «سوشيانث Soeshyant» ويتصدي له عدو يسمى بالفارسية القديمة أبا أهرمان Angra Mainyu ويدعو إلى إله واحد لم يكن له كفواً أحد (هيچ جيز ناهست) وليس له أول ولا آخر ولا ضريع ولا قريع ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا صاحبة ولا ولد ولا ابن ولا مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة . جزأخاز ، ستر ، دوشمن ومانند وبار ويدر ومار ووزن وفرزند وحاي سوي وتن آسا وتثاني

وهذه هي جملة الصفات التي يوصف بها الله سبحانه في الإسلام : أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ولم يتخذ صاحبة ولا

ويشفع ذلك بمقتبسات كثيرة من كتب الزرادشتية تنبئ عن دعوة الحق التي يجيء بها النبي الموعود وفيها إشارة إلى البداية العربية وترجم نبذة منها إلى اللغة الإنجليزية معناها بغير تصرف « ان أمة زردشت حين يبدون دينهم يتضعضعون ويضعون رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس ويخضع الفرس المتكبرين ، وبعد ذلك النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة ابراهيم التي تظهور من الأصنام ويصيحون وهم أتباع للنبي رحمة للعالمين وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ في الأماكن المقدسة للزرداشتيين ومن جاورهم وإن نبههم ليكونن فصيحاً يتحدث المميزات » (١)

ونحن سنقتصر استخراج البشارات التي تدل على نبوة محمد على أسفار بني إسرائيل من العهد القديم والجديد ، أما الأسفار الدينية الأخرى فليست بيننا وحسبنا ما نقلناه آنفاً .

١٧ من كتاب Mohammed in World Scriptures نقلاً من كتاب (مطلع النور)

الاستاذ عباس محمود العقاد ١٤ - ١٧

إليه » (١)

فهذا أمر ثابت تاريخياً ذكره القرآن ولو لم يكن ذلك ما كان لذكره معنى ولأنه أهل الكتاب وكذبوه .

فأهل الكتاب كانوا ينتظرون نبياً يجيء وكانوا يستفتحون به في الحرب وأن النبي عندهم صفته ونعته واسمه وأن محمداً ادعى أنه هو المقصود وأن أهل الكتاب يعلمون ذلك فأمن من علمائهم من آمن وجحد من جحد .

ونحن بدورنا سنحاول استخراج ما بقي من البشارات التي تنادي بظهور النبي في كتبهم وسنرى إن كانت تنطبق على محمد مع كل التحريفات التي أصابها كتبهم .

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن محمداً لم يكن ذكره مقصوداً على كتب بني إسرائيل وإنما ورد ذكره وصفته في الأسفار الدينية العالمية الأخرى ككتب البراهمة والزرادشتية وغيرها من الكتب .

« ونحن نورد هنا بعض الأمثلة التي يستدعيها المقام . . . من هذه الكتب باللغة الانجليزية أنه (مولانا عبد الحق فديارتسي) وسماه (محمد في الأسفار العالمية) واستفاد في مقارناته ومناقضاته بمعرفته للفارسية والهندية والعبرية والعربية وبعض اللغات الأوروبية ، ولم يفتن فيه بكتب التوراة والانجيل بل عظم الروايات في كتب فارس والهند وبابل القديمة ، وكانت له في بعض أقواله توفيقات شديدة أقوى ما ورد من نظائرها في شواهد المتدينين كافة . . .

يقول الاستاذ عبد الحق أن اسم الرسول العربي (أحد) مكتوب بلفظه الفارسي في السامافيدا Samavida من كتب البراهمة وقد ورد في الفقرة السادسة والفرع الثامنة من الجزء الثاني ونصها أن (أحد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالروح) وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس (. . . وفي مواضع كثيرة من كتب البراهمة يرى المؤلف أن النبي محمداً مذكور بوصفه الذي يعني الحمد الكثير والعبادة البعيدة ومن أسماؤه الوصفية اسم سشرافا Sushrava الذي ورد في كتاب الاناراما

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٩٢

إن التوراة - كما هو معلوم - ثلاث نسخ رئيسة :

١ - التوراة العبرانية .

٢ - التوراة اليونانية .

٣ - التوراة السامرية .

وهذه النسخ الثلاث يخالف بعضها بعضاً في كثير من الأمور وكلها موجودة الآن وأظن أن هذا الأمر وحده ثبت تحريف التوراة . فالتوراة كتاب أنزل على موسى فيما الذي جعله ثلاث نسخ متغايرة ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والتوراة هي أصح الكتب وأشهرها عند اليهود والنصارى ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر ، ذكر في نسخة السامرة منها - من أمر استقبال الطور - ما ليس في نسخة اليهود والنصارى ، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب . . . وكذلك رأينا في الزبور نسخاً متعددة يخالف بعضها بعضاً مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيراً منها كذب على زبور داود عليه السلام -

أما الأناجيل فالأخطار فيها أعظم منه في التوراة » (١) .

وقال : « بل وجدنا النسخ المعربة يخالف بعضها بعضاً في الترجمة مخالفة شديدة تنزع الثقة ببعضها . وقد رأيت أنا بالزبور عدة نسخ معربة بينها من الاختلاف ما لا يصدق ينضب وما يشهد بأنها ميدلة مغيرة لا يوثق بها . ورأيت من التوراة المعربة من النسخ ما يكذب بكثير من ترجمتها طائفة من أهل الكتاب » (٢) .

وقال أيضاً : « وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوته محمد (ﷺ) اسمه ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر ذلك فيها وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في

(١) الجواب الصحيح ١ / ٣٨٠ .

(٢) الجواب الصحيح ١ / ٢٠٦ .

تحريف التوراة والأناجيل

إن التوراة وأسفار العهد القديم هي كتب يجب الإيمان بها والعمل بموجبها من اليهود والنصارى لأن عيسى عليه السلام - كما جاء في الإنجيل - لم يجيء نالاً للناموس - أي التوراة - وإنما جاء مكملًا له وإنه إلى أن تزول السماء والأرض يزول حرف من الناموس أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الناموس (متى - الإصحاح الخامس ١٧ ، ١٨) .

ولذا فإن كل ما في العهد القديم معمول به عند اليهود والنصارى - وأما العهد الجديد أي الأناجيل والرسائل الأخرى فهي واجبة التسليم والعمل بها عند النصارى وأما اليهود فهم ينكرونها ويرون أن عيسى عليه السلام كذاب دعي ولو لم يكن كذلك - في اعتقادهم - لأمّنوا به وصدقوه .

ويرى النصارى أن كتب العهدين (القديم والجديد) سالمة من التحريف والتغيير والتبديل وكل ما فيها ملزم لهم . وأما اليهود فهم يرون أن كتب العهد القديم هي الصحيحة السالمة من التحريف ولا شأن لهم بالعهد الجديد .

والحق أن الناظر في التوراة والأناجيل وأسفار العهد القديم نظرة أولية يراها بالتحريف والتغيير فيها كما أقر بذلك كثير من مجتهديهم ومشرحيهم ومفسريهم الأمثلة التي تثبت ذلك وتقطع القول به وتظهر صدق ادعاء القرآن الذي أدان أكثر من ألف وأربعمائة عام أن أهل الكتاب حرفوا كتبهم (يحرقون الكتاب مواضعه) - وربما كان قول من قال إن عملية التحريف مستمرة ولم تقتصر على زمن دون زمن صحيحاً . جاء في (الجواب الفسيح) : (وأنت تعلم إذا نظرنا أيضاً إلى التوراة التي طبعها الكاثوليك تراها أيضاً متخالفة متغايرة وكل نسخة توافق الأخرى وكذا أناجيلهم وعهدهم الجديد لا توافق بين نسخها وطبعها) (١) الحال مستمر في جميع فرقهم وسائر الأزمان وظاهر ظهور الشمس للعبان (٢)

بعض النسخ من صفات النبي ﷺ ما ليس في أخرى^(١).

وضرب الشيخ رحمة الله الهندي أمثلة من هذه الاختلافات بين نسخ التوراة الثلاث، فمن ذلك :

« (الاختلاف الأول) : ان الزمان من خلق آدم إلى زمن الطوفان باعتبار العبرانية ألف وستة وست وخمسون سنة (١٦٥٦) وباعتبار اليونانية ألفان ومائتان واثنان وستون سنة (٢٢٦٢) وعلى وفق السامرية ألف وثلاثمائة وسبع سنين (١٣٠٧) .

(الاختلاف الثاني) : ان الزمان من الطوفان إلى ولادة ابراهيم عليه السلام باعتبار العبرانية مائتان واثنان وتسعون سنة (٢٩٢) وباعتبار اليونانية ألف واثنان وسبعون سنة (١٠٧٢) وباعتبار السامرية تسعمائة واثنان واربعون سنة (٩٤٢) . . .

(الاختلاف الرابع) : ان موضع بناء الهيكل أعني المسجد باعتبار العبرانية جبل عيبال وباعتبار السامرية جبل جرزيم . . .

(الاختلاف الخامس) : ان الزمان من خلق آدم إلى ميلاد المسيح باعتبار العبرانية (٤٠٠٤) وباعتبار اليونانية (٥٨٧٢) وباعتبار السامرية (٤٧٠٠)^(٢) .

« وقال هارسلي المفسر في الصفحة ٨٣ من المجلد الأول من تفسيره ذيل الآية الخامسة من الباب الرابع والأربعين من سفر التكوين : تزداد في أول هذه الآية الترجمة اليونانية هذه الجملة : « لم سرقتم صواعي » فهذه على اعترافه ساقطة من العبرانية^(٣) .

وقال أيضاً : (سقط من آخر الآية الثالثة عشرة وأول الآية الرابعة عشرة من الباب السادس عشر من كتاب القضاة شيء فيؤخذ من الترجمة اليونانية وتزداد العبارة « فقال لها لو أخذت سبع قنزعات من رأسي ونسجتها مع سدي وربطتها

بالمشيار في الجدار فأصير خفيفاً كسائر الناس فنومته وأخذت سبع قنزعات ونسجت مع السدي وربطته^(٤) .

« ووقع في الآية الثامنة والعشرين من الزبور المائة والخامس في العبرانية (هم ما عصوا قوله) وفي اليونانية (هم عصوا قوله) ففي الأولى نفي والثانية إثبات فأحدهما غلط بقينا^(٥) .

الجدير بالذكر ان اليهود والنصارى يعترفون بصحة النسختين العبرانية واليونانية ويقولون بما جاء فيهما وأنت ترى أن بينهما من الاختلاف ما يقطع تحريف أحدهما فأصبح الشك في كلتا النسختين لأنه لا يقطع بصحة أحدهما .

قد جاء في أسفارهم ما يدينهم ويثبت تحريفهم لكتاب الله .

جاء في (ارميا) الإصحاح ٢٣ :

« ٢٦ أما وحي الرب فلا تذكره بعد الآن لأن كلمة كل انسان تكون وحيه إذ قد رسمت كلام الإله الحي رب الجنود إلها^(٦) .

وجاء في (ارميا) الإصحاح الثامن :

« ٨ كيف تقولون نحن حكماء وشرعية الرب معنا . حقاً إنه إلى الكذب حوّلها اسم الكتبة الكاذب^(٧) .

وفي نسخة أخرى بدل (وشرعية الرب معنا) (وتوراة الله معنا)^(٨) .

لهذا وحده يقطع بتحريفهم لكلام الله وأن التوراة حوّلها قلم الكتبة الكاذب إلى كذب . وهم - أي اليهود والنصارى - إما أن يؤمنوا بهذا القول أو يكذبوه ، فإن ساءلوا به لزمهم الاعتراف بالتحريف ، وإن كذبوه لزمهم الاعتراف بالتحريف أيضاً من الذي أدخل هذه (الآية) في كتابهم ١٩ وكلا الأمرين لا يحمد عقباه .

(١) إظهار الحق ١/ ٢٧٣

(٢) إظهار الحق ١/ ٢٢٥

(٣) النظر الرحلة المدرسية ١٢٣

(١) الجواب الصحيح ٢/ ٢٧

(٢) إظهار الحق ٢/ ٧٩ - ٨٠

(٣) إظهار الحق ١/ ٢٧٢

ومما يدل على تحريف العهد القديم :

١ - نسبتهم إلى الله سبحانه ما لا يليق به : فقد نسبوا إليه الكذب - سبحانه - وجعلوا الحية أصدق منه - كما أسلفنا في قصة آدم (سفر التكوين الإصحاح ٣: ٢) وإنه - جسم تراه العين رآه إبراهيم (سفر التكوين الإصحاح ١٨) ورآه موسى وسبعون شيخاً من بني إسرائيل (سفر الخروج الإصحاح ٢٤) وإنه صارع يعقوب إلى طلوع الفجر فلم يقدر على صرعه وتعلق به يعقوب فلم يطلقه ولم يتمكن الرب من الخلاص منه حتى باركه (سفر التكوين الإصحاح ٣٢) وإنه تعب من خلق السماوات والأرض فاحتاج إلى الراحة والتنفس ، جاء في (سفر التكوين الإصحاح الثاني) :

« ٢ وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله . ٣ وبارك الله اليوم السابع وقدمه لأن فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً » .

وجاء في (سفر الخروج ٣١) : (١٧) لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس .

فانظر إلى هذه الصورة وما قاله الله في القرآن الكريم « ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما منا من لغوب » (ق ٣٨) .

ونسبوا إليه القصور عن الإدراك والندم والحزن - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - جاء في (سفر التكوين ٦) : « ٥ ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم . ٦ فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه » .

وجاء في (يونا ٣) : (١٠) فلما رأى الله أفعالهم أنهم [يعني أهل نينوى] رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه .

إلى غير ذلك من الأمور التي لا تليق بذات الله وجلاله مما يقطع القراء بتحريفها .

٢ - نسبتهم إلى الأنبياء ما لا يليق بهم فقد نسبوا إليهم الانحذار في حمة الرذائل والسقوط في الزنى والكذب والضلال وغيرها من الأعمال التي لا تليق بأحاد الناس فضلاً عن الأنبياء .

فقد نسبوا إلى داود - كما أسلفنا - أنه زنى بامرأة أوريا وأنه أرسل زوجته إلى الحرب الشديدة ليموت ليستأثر بزوجه (صموئيل الثاني ١١) ، وإنه احتقر كلام الرب وعمل الشر في عينيه (صموئيل الثاني ١٢) وعطل الحدود فلم يقم الحد على ابنه (امنون) الذي زنى بأخته ثامار (صموئيل الثاني ١٣) ولا على ابنه (ابشالوم) الذي زنى بسراري أبيه على السطح أمام جميع إسرائيل (صموئيل الثاني ١٦) .

وهذا كذب فاضح على نبي الله داود إضافة إلى أنه يناقض ما جاء في أسفارهم ، فقد جاء في (صموئيل الثاني ٢٢) من كلام داود :

« ٢١ يكافئني الرب حسب بري ، حسب طهارة يدي يرد علي . ٢٢ لأنني حفظت طرق الرب ولم أعص إلهي ، ٢٣ لأن جميع أحكامه أمامي وفرائضه لا أحمدها . ٢٤ وأكون كاملاً لديه وأتحفظ من إثمي . ٢٥ فيرد الرب علي كبري وكطهارتي أمام عينيه » .

قال الأستاذ عبد الوهاب النجار : « وهذا السفر يقرّون إنه كتب بإلهام وهو واجب التسليم وكل ما فيه صدق عندهم . ومحال أن يكون الزنى من البر واتباع وصايا الله والمحافظة على شريعته » (١١) .

وجاء في (سفر الملوك الأول ٣) :

« ٦ فقال سليمان إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبها سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك . فحفظت له هذه الرحمة العظيمة واعطيت ابناً يجلس على كرسيه كهذا اليوم » .

وجاء في (سفر الملوك الأول ١١) :

« ٣٤ لأجل داود عبدي الذي اخترته الذي حفظ وصاياي » .

(١) قصص الأنبياء ٣١٣

فأنت ترى أن هذين الأمرين متناقضان ، فأيهما هو الصحيح ؟ أعطى داود ربه واحترق كلامه وحاد عن فرائضه ، أم حفظ طرق الرب ولم يعص إلهه وسار أمامه بأمانة وبر ولم يجد عن فريضة من فرائضه ؟

ما الصورة الصحيحة لنبي الله داود أهى الأولى أم الثانية ؟ ولا شك أن القول بأحدهما يكذب الأخرى .

ونسبوا إلى يعقوب الخداع والكذب (سفر التكوين ٢٧) .

وأن بنتي لوط أسكرتا أباهما واضطجعتا معه فأولدهما (التكوين ١٩) .

وأن نبي الله هرون صنع عجل الذهب ودعا بني اسرائيل إلى عبادته (سفر الخروج ٣٢) .

وأن سليمان عليه السلام عصي كلام الله وأصبح زير نساء يركض وراءهن فأعلن قلبه وراء آلهة أخرى وأصبح مشركاً ضالاً حتى عبد عشتور وملكوم وعمل الشر في عيني الرب . (الملوك الأول ١١) .

فهل هذه صورة الأنبياء ؟

حقاً ، إنه حولها قلم الكتبة الكاذب إلى الكذب .

أين هذا عما جاء في القرآن الكريم من تنزيه الأنبياء عليهم السلام ونكرهم ورسم الصورة المشرقة الصحيحة ، لهم ؟ كيف لا وهم خير البشر واتقاهم الله اصطفتهم لنفسه واصطفاهم على العالمين ؟!

٣ - التناقض الموجود في كتبهم :

وهذه الظاهرة بارزة في كتبهم وهو مما يقطع بالتحريف والتبديل :

من ذلك ما جاء في (صموئيل الثاني ٢٤) :

« ١٣ وأتى جاد إلى داود وأخبره قائلاً : إما أن يكون سبع سنين جوعاً لك في أرضك . . . » وفي (أخبار الأيام الأول ٢١) : (١٢ أما ثلاث سنين جوعاً) الخ .

« ففي الأول (سبع سنين) وفي الثاني (ثلاث سنين) وقد أقر مفسروهم أن الأول غلط »^(١) .

وجاء في (سفر العدد ٣٣) : (٣٨ فصعد هرون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر في الشهر الخامس في الأول من الشهر ٣٩ وكان هرون ابن مائة وثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل هور » .

وفي (سفر التثنية ١٠) : (٦ وبنو اسرائيل ، ارتحلوا من آبار بني يعفان إلى موسى . هناك مات هرون وهناك دفن) .

فمرة تذكر التوراة أنه مات في جبل هور ومرة في موسى . وهو تناقض فان « جبل هور بعد موسى بمنازل كما ترى في التوراة » العدد ٣٣ «^(٢) .

وجاء في (أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٣٦) : « ٩ وكان يهوياكين ابن ثمان سنين حين صار سلطاناً » ولفظ (ثمان سنين) غلط وخالف لما وقع في الآية الثامنة من الباب الرابع والعشرين من سفر الملوك الثاني : « وكان يهوياكين حين جلس على سرير السلطنة ابن ثمان سنين » .

قال آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره ذيل عبارة سفر الملوك : « وقع في الآية التاسعة من الباب السادس والثلاثين من السفر الثاني من أخبار الأيام لفظ ثمانين ، وهو غلط البتة »^(٣) .

وجاء في (سفر الملوك الثاني ٨) : « ٢٦ كان اخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة ، حين ملك ، وملك سنة واحدة في اورشليم واسم امه عثلبا بنت عمري ملك اسرائيل » .

وفي (أخبار الأيام الثاني ٢٢) : « ٢ كان اخزيا ابن اثنتين واربعين سنة حين ملك وملك سنة واحدة في اورشليم واسم امه عثلبا بنت عمري » .

(١) أظهر الحق ١/ ٨٨

(٢) الرحلة المدرسية ٧٤

(٣) أظهر الحق ١/ ٢٣٢

« والثاني غلط يقينا كما أقر به مفسروهم وكيف لا يكون غلطاً وإن أباه (يهورام) حين موته كان ابن أربعين سنة وجلس هو على سرير السلطنة بعد موت أبيه متصلاً . . . فلو لم يكن غلطاً يلزم أن يكون أكبر من أبيه بسنتين . . . »^(١)
وجاء في (يشوع ١٣) : « ٢٤ واعطى موسى سبط جاد وبنيه لقبائلهم ميراثاً هذا تقسيمه ، ٢٥ حد يعزير وجميع قرى جلعاد ونصف أراضي بني عمون إلى عرواعين التي هي حبال ربا . . . »

« في (الباب الثاني من سفر الاستشفاء) هكذا ١٧ - ١٩ : قال لي الرب إنك تدنو إلى قرب بني عمون احذر ثقاتلهم ومخاربهم فأني لا أعطيك شيئاً من أرض بني عمون لأنني أعطيتها بني لوط ميراثاً . انتهى ملخصاً . ثم في هذا الباب : « اسلم الرب إلحنا الجميع سوى أرض بني عمون التي لم تدن منها . »
فبين الكتابين تخالف وتناقض فلو كان هذه التوراة المشهورة تصنيف موسى عليه السلام كما هو مزعومهم فلا يتصور أن يخالفها يوشع ويغلط في المعاملة التي كانت في حضوره »^(٢) .

وجاء في (سفر التثنية ٢٣) : (٢ لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب) .

« وهذا غلط ويلزم أن لا يدخل داود عليه السلام ولا أبناؤه إلى فارض بن يهودا ، جماعة الرب لأن فارض ولد الزنى كما هو مصرح في الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين وداود عليه السلام البطن العاشر منه كما يظهر من نسب المسيح المذكور في إنجيل متى ولوقا ، مع أن داود رئيس الجماعة والولد البكر لله على وفق الزبور ومثل ما وقع في الآية الأربعين من الباب الثاني عشر من سفر الخروج »^(٣) .

(١) إظهار الحق ١/ ٨٨

(٢) إظهار الحق ١/ ٦٧ - ٦٨

(٣) إظهار الحق ١/ ٦٣

ومن ذلك ما جاء في (سفر التثنية ٣٣) في الطبعة العربية للكتاب المقدس في بريطانيا بمطبعة كامبردج سنة ١٩٥٢ وطبعة بيروت سنة ١٩٦١ :

« ٢ جاء الرب من سينا ، وأشرق (لهم) من ساعير وتللاً من جبال فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم . »

وفي طبعة الموصل - مطبعة الآباء الدومنيكيين سنة ١٨٧٥ :

« جاء الرب من سينا وأشرق (لنا) من ساعير واستعلن من جبال فاران . »

ففي النص الاول (لهم) وفي النص الثاني (لنا) ولا شك أن أحدهما هو الصحيح .

وفي طبعة رجار واطس في لندن سنة ١٨٢٢ م :

« جاء الرب من سينا وأشرق (لنا) من ساعير استعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأظهار في يمينه سنة نار . »

فأنت ترى ان في هذا النص (لنا) مكان (لهم) و(جبل) بدل (جبال) وفيه زيادة (ومعه ألوف الأظهار) التي لم ترد في الطبقات الأخرى . فأي النصوص هذه هو الصحيح ؟ فإنه ليس من الممكن أن تكون جميعها صحيحة لأن التوراة واحدة .

فدل ذلك دلالة ظاهرة على التحريف والتبديل وأن التحريف كما رأيت - لا يزال مستمراً .

٤ - فساد الترجمة وتصرف المترجمين حسب أهوائهم : جاء في (إظهار الحق) :

« إن أهل الكتاب سلفاً وخلفاً عاداتهم جارية بأنهم يترجمون غالباً الأسماء في أراجهم ويوردون بدلاً معانيها ، وهذا خبط عظيم ومنشأ للفساد وانهم يزيدون تارة شيئاً بطريق التفسير في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم ولا يشيرون إلى الامتياز . . . وأنا أورد أيضاً بطريق الامتياز بعضاً منها . . . »

٢ - وفي الآية الرابعة عشرة من الباب الثاني والعشرين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٩١ هكذا : « سمي إبراهيم اسم الموضع مكان يرحم الله

زائره » . وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ (دعا اسم ذلك : الرب يرى)
فترجم المترجم الأول الاسم العبراني بمكان (يرحم الله زائره) والمترجم الثاني
بـ (الرب يرى) .

٣ - وفي الآية العشرين من الباب الحادي والثلاثين من سفر التكوين في الترجمة
العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا (فكتم يعقوب أمره عن حميه) و
ترجمة اردو المطبوعة سنة ١٨٢٥ لفظ (لابان) موضع حميه فوضع مترجمو العربية لفظ
الحمي موضع الاسم . . .

٦ - وفي الآية الحادية عشرة من الباب الثامن من سفر الخروج في الترجمة العربية
المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا : (تبقى في النهر فقط) وفي الترجمة العربية
المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : (تبقى في النبل فقط) (١) .

وسنرى هذا الشيء بعينه في العهد الجديد .

فأنت ترى أن المترجمين يتصرفون كما يشاؤون فمرة يذكرون اسم العلم ومرة معناه
ومرة قريباً منه وهكذا .

فإذا كان التحريف في الترجمة حصل في هذه الأمور كابدال (لابان) بـ (حميه)
و (النبل) بالنهر وغير ذلك أفلا ترى أن التحريف يحصل في اسم سبدا محمد وأحمد
من باب أول وأنهم يبدلون اسمه إلى معناه أو إلى قريب منه فيبدلون (محمد)
بـ (رجل) كما أبدلوا النبل بالنهر ؟

وهذا أحد أسباب ما ذكره شيخ الإسلام الذي نقلناه آنفاً « وقد رأيت أنا من نسخ
الزبور ما فيه تصريح بنبو محمد ﷺ باسمه ورأيت نسخة بالزبور فاسم
ذلك » .

٥ - جاء في (سفر التثنية ٣٤) : « ٥ فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مواب
حسب قول الرب ، ٦ ودفنه في الجواء في أرض مواب مقابل بيت فقور ولم يعرفه »

إنسان قبره إلى هذا اليوم . ٧ وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل
عينه ولا ذهبت نضارته . ٨ فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مواب ثلاثين يوماً » .

هذا سفر من التوراة أنزل على موسى فكيف يقول « فمات هناك موسى » .
أفترى أنه نزل عليه بعد موته واندواس قبره أم إن هذه العبارة مزيدة في التوراة ،
ولم يأت بعد كم من السنين دونت هذه التوراة ؟

ونحوه ما جاء في الآية الحادية والثلاثين من الباب السادس والثلاثين من سفر
الملئكة هكذا : « وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك لبني
إسرائيل » (ولا يمكن أن تكون هذه الآية من كلام موسى عليه السلام لأنها تدل على
أن المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطنة بني إسرائيل . وأول ملوكهم شاول وكان
بعد موسى عليه السلام بثلاثمائة وست وخمسين سنة) .

قال آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره ذيل هذه الآية : (غالب ظني أن
موسى عليه السلام ما كتب هذه الآية ، والآيات التي بعدها إلى الآية التاسعة
والثلاثين) (٢) وأظن أن ما ذهب إليه الدكتور إسكندر كيدس من أن التوراة ألقت
بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى (٣) محتمل . ونحوه ما جاء في (يشوع ٢٤) :
٢٧ ثم قال يشوع لجميع هذا الشعب أن هذا الحجر يكون شاهداً علينا . . . ٢٩
كان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشرين سنة فدفنوه
في لحمة ملكة في ثمة سارح التي في جبل افرايم شمالي جبل جاعش » وهذا السفر نزل
على يشوع فكيف يذكر موته ودفنه ؟

ونحوه ما جاء في (صموئيل الثاني ٢٥) : « ١٢ ومات صموئيل فاجتمع جميع
إسرائيل وندبوه ودفنوه في بيته بالرامة » .

ونحوه ما جاء في (سفر أيوب ٤٢) : « ١٥ ولم توجد نساء جيلات كبنات أيوب
كل الأرض وأعطاهن أيوب ميراثاً بين اخوتهن . ١٦ وعاش أيوب بعد هذا مائة »

(١) أظهر الحق ١/ ٢٣٩

(٢) أظهر الحق ١/ ٢٦١

(١) أظهر الحق ٢/ ٢٢٨ - ٢٣١

واربعين سنة ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال ١٧ ثم مات ايوب شيخاً وشبهه
الأيام » .

ويقال فيه ما قيل في سابقه .

أفهنالك أوضح من هذه الأدلة على التحريف والتغيير ؟

تحريف الإنجيل :

الإنجيل المعترف بها عند المسيحيين أربعة : متى ومرقس ولوقا ويوحنا . وقد
اختيار هذه الأنجيل في القرن الرابع الميلادي في مؤتمر (نيقية) ، أما قبل
التاريخ فلم تكن هناك أنجيل بعينها معتمدة يقرها العالم المسيحي وينكرها
وإنما كانت أنجيل كثيرة « فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ديسان إنجيل
يخالف بعضه هذه الأنجيل ولأصحاب ماتي إنجيل يخالف هذه الأربعة وهو الصريح
في زعمهم وهناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس والنسابة
ينكرونه وهناك إنجيل برنابا وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة (إنجيل
تهس) (١) إلى غير ذلك من الأنجيل . ولم تعتمد هذه الأنجيل إلا في القرن الرابع
المسيحي . قال الأب عبد الأحد داود : « إن هذه السبعة والعشرين سفرًا أو رسائل
الموضوعة من قبل ثمانية كتب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار عدم
هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع عشر بإقرار مجمع نيقية العام وحكم
لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم
العیسوي قبل التاريخ المذكور . ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المختلفة
من كرة الأرض ما يزيد على ألف مبعوث وروائي يشكلون المجمع العام بمناقشة
الأنجيل والرسائل المختلفة كل منهم يحمل نسخة إنجيل أو رسالة على الوجه الذي
هو لديها إلى (نيقية) لأجل التدقيق . وهناك تم انتخاب الأربعة الأنجيل
عدده على الأربعين أو الخمسين من الأنجيل المختلفة والمتضادة مع إحدى
رسالة من رسائل لا تعد ولا تحصى . فصودق عليها . وهكذا ثبت العهد الجديد »

(١) محاضرات في النصرانية ٣٩

بل هيئة عددها ٣١٨ شخصاً من القائلين بالوهمية المسيح وهم زهاء ثلث أعضاء
المجمع المذكور . وهكذا كان العالم المسيحي محروماً من العهد الجديد مدة ٣٢٥
سنة أي أنه كان بغير كتاب (٢) .

وقال : « يجب التفكير في دين بقي من تاريخ نشأته إلى ٣٢٥ عاماً بغير كتاب كم
أمر بالعقائد المتولدة من منابع الخارجية وكيف يحتل نظامه ويكدر صفاؤه الأصلي
الصفات والروايات الكاذبة ؟ » (٣) .

وقال « سير آرثر فندلاي » في كتابه « صخرة الحق » ٥٩ :

« إن الأنجيل الحالية لم تستقر إلا في القرن الرابع الميلادي عقب مجمع قرطاجنة
الذي قرر أي الكتابات يحتفظ بها ، وأياها يرفض ويستبعد . وقبل ذلك التاريخ سنة
٣٢٥ م لم يكن هناك شيء اسمه العهد الجديد الذي نعرفه اليوم » (٤) .

ومما يؤكد هذا الرأي ما ذكره القسيس ابراهيم خليل فيليبس الذي أعلن اسلامه
: « والنسخ المسيحيون الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول لا ينقلون شيئاً قط
من العهد الجديد بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم ولسنا نجد إشارة
لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠ م » (٥) .

وجاء في كتاب (الإنجيل والصليب) : « يتحقق لدى من أنعم النظر في مطالعة
رسائل السبع والعشرين إن كتابي الثلاث والعشرين منها لم يكونوا على علم بوجود
الأنجيل الأربعة وإن كل ما تحكيه الأنجيل من الأمثال والنصوص والوقائع
المكايات والمعجزات تكاد تكون كلها مجهولة لدى كتابي الثلاث والعشرين
بالإضافة . إذن فالأنجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن الحوار بين الخمسة أو الستة
الذين كتبوا تلك الرسائل لأنها لا تبحث عن محتويات هذه الأنجيل قطعاً . . .

الأنجيل والصليب ١٤

الأنجيل والصليب ١٩

الفرق كتاب محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ٨٠

محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ١٣٧

وجاء في (إظهار الحق) : « إنجيل متى هذا لم يكن مشهوراً معتبراً في عهد لوقا إلا فكيف يتصور أن يكتب لوقا نسب المسيح بحيث يخالف تحرير متى في بادئ الرأي مخالفة تحبب فيها المحققون من القدماء والمتأخرين سلفاً وخلفاً؟ »^(١)

« وفي عام ١٧٩٦ أشار هردير Herder إلى ما بين مسيح متى ومرقس ولوقا والمسيح إنجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها .

وفي انجلسترا أدلى و. ب. سميث W. B. Smith وج. م. روبرتسون J. M. ROBERTSON بحجج من هذا النوع أنكرا فيها وجود المسيح »^(٢)

وقال الفيسب ابراهيم خليل في إنجيل يوحنا : « وهو يناقض الأنجيل الأخرى Synoptic Gospels في مئات من التفاصيل ، وفي الصورة العامة التي يرسمها عن المسيح ... »

وخلاصة القول أن ثمة تناقضاً كثيراً بين بعض الأنجيل وبعضها الآخر وأن فيها ما تاريخي مشكوكاً في صحتها ، وفيها من القصص الباعثة على الشبهة والريبة لآل مماثلة واضحة ما بروى عن آلهة الوثنيين »^(٣)

أما اختيار الكتب المقدسة فقد تم عن طريق المجامع الدينية وأول مجمع عقد هو مجمع نيقية سنة ٣٢٥ وسبب انعقاد هذا المجمع أنه « حدث خلاف جوهري بين من رجال الكنيسة بالاسكندرية حول تحديد العلاقة بين المسيح الابن والآلهة »

قال آريوس - وهو أسقف اسكندري - أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن ولما المسيح الابن مخلوقاً للإله الأب فهو إذن دونه ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال

إظهار الحق ١٠٠ / ١

عهد في التوراة والإنجيل والقرآن ٦١ - ٦٢

عهد في التوراة والإنجيل والقرآن ١٣٩ - ١٤٠

ولكن لا نجد في رسائل بولص العبارة الواجب ذكرها كقولها « على الوجه الذي كتب في الإنجيل الفلاني أو إنجيل فلان » فلو وجد كتاب إنجيل في زمن كتاب بولص وبطرس رسائلهما لكان من البديهي أن يبحثا عنه أو يفتيسا منه .

إذن فلا شبهة في أن الزمن الذين كتب فيه حضرات بولص وبطرس ويوحنا وبقيهم يهودا رسائلهم لم يكن يوجد فيه الأربعة الأنجيل المعزوة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا النبي في أهدنائه^(١) .

بل الظاهر أن أصحاب الأنجيل لا يعلم بعضهم بما كتب الآخر ولذلك كثير من التناقض بينهم . جاء في كتاب (الإنجيل والصلب) : « لا علم لأحد من بعض هذه الرسائل بما كتبه البعض الآخر : »

من الظاهر أنه لم يكن لكتاب الرسائل الإنجيلية علم بوجود الأنجيل الأربعة كما أنه لم يكن بعضهم على علم من كتابات البعض الآخر . فإن في هذه الرسائل بعض العقائد والبيانات الغريبة التي يتفرد بها كاتب تلك الرسالة ومن هذا قول بطرس : إن المسيح قضى عذب موته ثلاثة أيام في جهنم بين الأرواح المحبوسة السجن . ولكن هذه المسألة العجيبة لم نذكرها بقية الرسائل الست والعشر الأخرى التي نألف منها كتاب العهد الجديد . فكيف يمكن أن يكون الملوك الحواريون غير واقف أحد منهم على ما كتبه الآخرون مع القول بأنهم كتبوا رسائلهم بتلقي الرحي ملهمين من الروح القدس ؟ كيف لا يكون لبطرس الذي كشف الله عن دخول المسيح الجحيم ثلاثة أيام خير ولا علم له برسالة يعقوب الذي يدعي دعاء الكاهن للمريض المحتضر مع ذلك بالزيت يشفيه وكذلك بغفر ذنوبه ، المدواة ... هل من عالم يستطيع أن يبين أية حكمة وعدالة استندت إليها هذه الأخطاء التي الروح القدس أعني كتاب حفيظة عظيمة عند النصارى الساكنين في بعض الأماكن وإظهارها والاقضاء بها إلى سكنة ديار أخرى ثم كشفها وإلقائها إلى ٣١٨ سنة ٣٢٥ سنة ؟^(٢)

(١) الإنجيل والصلب ١٤ - ١٥

(٢) الإنجيل والصلب ١٧ - ١٨

أن يعادل الابن الإله الأب في المستوى والقدرة وبعبارة أخرى فإن المسيح غلوري إله ...

وقال أثناسيوس - وهو شماس اسكندري - ... إن فكرة الثالوث المقدس أن يكون الابن مساوياً للإله الأب تماماً في كل شيء بحكم أنها من عنصر واحد بعينه وإن كانا شخصين متميزين ...

وحسباً للموقف دعا الأمبراطور قسطنطين إلى عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وأصدر قرار بإدانة أريوس أسقف الاسكندرية وتوالت بعدئذ الدعوة إلى عقد مجمع يحضرها أساقفة المعمورة ليتدارسوا فيها شؤون الكنيسة وما يرتبط بها من نظام كهنة وعقيدة ولاهوت (١) ..

والغريب في هذا المجمع أن المجتمعين كانوا أكثر من ألف مبعوث من النصراني اتفق على التثليث ٣١٨ أسقفاً منهم فقط وناصر أريوس الموحد أكثر سبعمائة ومع ذلك أخذ مبدأ التثليث تلبية لرغبة الأمبراطور قسطنطين الذي لا يريد مشركاً آنذاك ولم يتنصر إلا قبيل وفاته . جاء في كتاب (الإنجيل والصليب) أن الجهة المستغربة المائلة للعينين فوق جميع مقررات المجمع الكبير وأعماله هي أن كيف انتحل الأمبراطور قسطنطينوس لنفسه قبل الاعتماد بالنصرانية - أي في كونه مشركاً - ذلك المقام الأعلى الخاص بنفخ الروح القدس وتعليمه وتصرفه في انعقاد مجمع رسمي له الصلاحية النامة لحل مشكلات العقائد الدينية واللاهوت فيها .

إن (أبوسيبوس) بسقبوس فيصريّة الذي تقدسه الكنيسة وتحنّحه لقب (سيّد المؤمنين) كان صديق الأمبراطور فلا يمكن أن يكتب في حقه ما بغاير الحضرة هو عبارة عن مفتريات . وهذا المؤرخ يقول إن قسطنطين اعتمد حين كان

الفراش قبيل وفاته وأن الذي عمده (أي نصرته) صديقه الحميم (أبوسيبوس) بسقبوس نيقوميديا (١) .

وقد تمّ في هذا المجمع وعدة مجامع أخرى اختيار الكتب المقدسة بحسب رغبة المجتمعين .

جاء في (إظهار الحق) : « ينقسم كل من العهدين إلى قسمين : قسم اتفق على صحته جمهور القدماء من المسيحيين وقسم اختلفوا فيه ... »

(القسم المختلف فيه على صحته من العهد العتيق) تسعة كتب :

- ١ - كتاب استير ٢ - كتاب باروخ ٣ - جزء من كتاب دانيال ٤ - كتاب طوبيا
- ٥ - كتاب يهوديت ٦ - كتاب وزم ٧ - كتاب إيكليزياسنيكس ٨ - كتاب المقابيين الأول ٩ - كتاب المقابيين الثاني .

(القسم المختلف على صحته من العهد الجديد) :

- ١ - رسالة بولس الى العبرانيين ٢ - الرسالة الثانية لبطرس ٣ - الرسالة الثانية ليوحنا ٤ - الرسالة الثالثة ليوحنا ٥ - رسالة يعقوب ٦ - رسالة يهوذا ٧ - مشاهدات يوحنا .

انعقد مجلس العلماء المسيحيين ، بحكم السلطان قسطنطين في بلدة نائس في سنة ٣٢٥ لثلاثمائة وخمسة وعشرين من ميلاد المسيح ليشاوروا في باب هذه الكتب المشكوكة ويحققوا الأمر فحكم هؤلاء العلماء بعد المشاورة والتحقيق في هذه الكتب كتاب يهوديت واجب التسليم وأبضوا سائر الكتب المختلفة مشكوكة ، كما ... ثم بعد ذلك انعقد مجلس آخر يسمى بمجلس لوديسيا في سنة ثلاثمائة أربع وستين فأبقى علماء ذلك المجلس حكم علماء المجلس الأول في باب كتاب

يهوديت على حاله وزادوا على حكمهم سبعة كتب أخرى وجعلوها واجبة التسليم وهي هذه :

١ - كتاب اسنبر ٢ - رسالة بعقوب ٣ - الرسالة الثانية لبطرس ٤ - الرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ٥ - رسالة يهوذا ٦ - رسالة بولس إلى العبرانيين .

وأكدوا ذلك الحكم بالرسالة العامة وبقي كتاب مشاهدات يوحنا في هذين المجلسين خارجاً مشكوكاً كما كان . ثم انعقد بعد ذلك مجلس آخر في سنة ثلثمائة وسبع وتسعين . ونسبوا هذا المجلس لمجلس (كارنيج)^(١) وكان أهل هذا المجلس الفاضل المشتهر عندهم (اكستان) ومائة وستة وعشرين شخصاً غيره من العلماء المشهورين فأهل هذا المجلس أبقوا حكم المجلسين الأولين بحاله وزادوا على حكمهما هذه الكتب :

١ - كتاب وزدم ٢ - كتاب طوبيا ٣ - كتاب باروخ ٤ - كتاب ايكليز باسنيكس ٥ - كتابا المقابين ٧ - كتاب مشاهدات يوحنا .

لكن أهل هذا المجلس جعلوا كتاب باروخ بمنزلة جزء من كتاب أرميا فلذلك كتبوا اسم كتاب باروخ في فهرست أسماء الكتب على حدة فبعد انعقاد هذا المجلس صارت هذه الكتب المشكوكة مسلمة بين جمهور المسيحيين وبقيت هكذا إلى مدة ألف ومائتين إلى أن ظهرت فرقة البرونستنت فردوا حكم هؤلاء الأسلاف باب كتاب باروخ وكتاب طوبيا وكتاب يهوديت وكتاب وكناب ايكليز باسنيكس وكتابي المقابين وقالوا ان هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلمة ورد حكمهم في بعض أبواب كتاب اسنبر وسلموا في البعض لأن هذا الكتاب كان من عشر باباً فقالوا إن الأبواب التسعة من الأول وثلاثة آيات من الباب العاشر والتسليم ستة أبواب باقية واجبة الرد^(٢) .

(١) في ص ٢٣٦ من هذا الكتاب : « وكان أهل ذلك المجلس مائة وسبعة وعشرين عالماً من المشهورين ومنهم الفاضل المشهور المقيم عندهم اكستان هؤلاء العلماء سلموا أحكام المجلس الأولين .

(٢) اظهر الحق ٥١/١ وما بعدها

إن العالم المسيحي يولي المجامع سلطة دينية واسعة في التحريم والتحليل والتشريع ولما كانت العقول مختلفة والرغبات متناقضة تناقضت كثير من الأحكام التي أصدرتها المجامع فكان ينبغي مجمع متأخر أحكام مجمع سابق وهكذا ، ومن ذلك على سبيل المثال :

١ - مجمع صور سنة ٣٣٤ م :

في هذا المجمع الذي عقده الإمبراطور قسطنطين صدر قرار بإلغاء قرارات مجمع ليقية سنة ٣٢٥ م وصدر قرار بالعفو عن أريوس وأتباعه وبقبول تعاليمه . . .

٢ - مجمع خلفدونيا سنة ٤٥١ م :

أصبح رابع مجمع مسكوني ديني باعقال مجمع صور سنة ٣٣٤ م وفيه اتخذ قرار بأن للمسيح طبيعتين : طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية متحدتين اتحاداً وثيقاً . . .

٣ - مجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣ م :

في هذا المجمع استصدر قرار بتأييد مذهب الطبيعة الواحدة وساند هذا التأييد الإمبراطور جستنيان إرضاء لزوجته نيودورا وتذكيراً للبابا فيجيلوس .

٤ - مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ م :

وقد اتخذ هذا المجمع قراراً بإدانة مذهب الطبيعة الواحدة فكان هذا نقضاً لقرار سنة ٥٥٣ م . . . الخ^(١) .

وقد جاء مجمع غير عام بإقرار الجميع انعقد بأمر قسطنطين الخامس سنة ٧٥٤ م وفيه جمهور من الأساقفة وفدوا إليه من جهات مختلفة وقد قرر تحريم اتخاذ الصور والتماثيل في أماكن العبادة وحرم طلب الشفاعة من العذراء ولأجل هذا انعقد المجمع السابع بأمر الملكة ايريني بمدينة نيقية وبسمى المجمع النيقاوي الثاني سنة ٧٨٧ وكان أعضاؤه ٣٧٧ أسقف وأصدروا القرار بتغديس صور المسيح والقديسين لا

(١) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ١٥٥ وما بعدها

بعبادتها وجاء في هذا القرار : « اننا نحكم أن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدسة والملابس الكهنوتية فقط بل في البيوت وعلى الجدران والطرق... »^(١).

ومن ذلك المجمع الثاني عشر في روما سنة ١٢١٥ م وأهم ما جاء في قراره أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء^(٢).

« وغتام هذه المجامع هو المجمع المتمم للمشرين المنعقد في روما سنة ١٨٦٩ وفيه أثبتوا العصمة للبابا »^(٣).

أما هذه الأناجيل الأربعة التي تم اختيارها في مجمع نيقية والتي لا يعرف مصنف كل واحد منها ما كتب الآخر فهي مشكوكة الصحة في نسبتها إلى أصحابها ، ثم إن النسخ التي كتبت باللغة التي ألقت فيها مفقودة فأول ما ظهرت النسخ مترجمة ولا يعلم مترجموها .

جاء في (إظهار الحق) : « ولذلك طلبنا مراراً من علماءهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة »^(٤).

فمتى مثلاً اتفق جمهورهم على أنه كتب انجيله بالعبرية أو السريانية كما اتفقوا على أن أقدم نسخة عرفت شائعة رائجة كانت باليونانية ، ولكن موضع الخلاف تاريخ تدوينه ومن الذي ترجمه إلى اليونانية . . .

يقول هورن : ألف الإنجيل الأول سنة ٣٧ أو سنة ٣٨ أو سنة ٤١ أو سنة ٤٣ أو

سنة ٤٨ أو سنة ٦١ أو ٦٢ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ من الميلاد^(٥).

وقال استادلن : « إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية ، ولقد كانت فرقة الوجيهين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا » .

ولقد جاءت في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه : (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مزية ولا شك كتاب مزور) . . . ولقد اختلف المسيحيون في تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافاً بيناً فالدكتور بوست يرجح أنه كتب سنة ٩٥ ، أو سنة ٩٨ وقبل سنة ٩٦ ويقول هورن في تاريخ تدوين ذلك الإنجيل : ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨ أو سنة ٦٩ أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ من الميلاد^(٦).

وكذلك شأن بقية الأناجيل ولذلك قال بعض علماء النصارى إن هذه الأناجيل من تأليف بولس قال القسيس ابراهيم خليل فيليبس : « ولعل في سيطرة تعاليم بولس في الكنائس وسيطرة شخصيته على التلاميذ ما دفع بعض علماء الغرب إلى القول بأن إنجيل يوحنا وإنجيل مرقس من تأليف بولس كما تحققة دائرة المعارف الفرنسية وكما يحققه قاموس الكتاب المقدس »^(٧).

فأنت ترى أن رسائل أهل الكتاب كافة لا ترقى إلى درجة أي حديث ضعيف معلوم السند عند المسلمين بله الأحاديث الصحيحة .

محور عقيدة النصارى عن التوحيد :

بعد انتصار التثليث على الثلثين في مجمع نيقية الأول بدأت عقيدة التثليث تستأصل

(١) محاضرات في النصرانية ٤١ - ٤٣

(٢) محاضرات في النصرانية ٤٩ - ٥٢

(٣) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ١٤٤

(١) محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ١٤٣

(٢) أضواء على المسيحية ١١٥

(٣) محاضرات في النصرانية ١٤٦

(٤) إظهار الحق ٥٧/١ وانظر الفارق بين المخلوق والخالق ٩

شيئاً فشيئاً عقيدة التوحيد حتى تمكنت بمرور الزمن من ذلك ، وتتلخص هذه العقيدة في أن الله ثلاثة أقانيم الآب والابن وروح القدس وهي كلها إله واحد وطبيعة واحدة فطبيعة الابن هي طبيعة الإله الآب فالمسيح ابن الله وهو الله الذي خلق الخلق ودبر الأمر وهو أزلي غير أنه اتحد بالناسوت ليتخذ العالم عن طريق الصليب من الخطيئة التي ارتكبها أبونا آدم . فإن الصليب إنما كان لانقاذ البشر من الخطيئة الأولى ولم تكن هناك وسيلة أخرى لانقاذ البشر . ولست أدري لماذا يتسكن البشر من العفو والمغفرة ولا يتمكن الله من ذلك إلا أن يصلب ابنه أو نفسه ؟!

ونحن لا نريد وليس من موضوعنا ان نناقش هذه العقيدة وإنما نريد أن نعلمها مسأ خفيفاً .

إن الناظر في الأناجيل يجد فيها ما يدفع هذا الاعتقاد ويبطله ، أما النصوص القليلة التي تشير إلى ربوبية المسيح فهي مقحمة إقحاماً ونحن إزاء هذه النصوص المتضاربة مضطرون إلى أن نأخذ بأحد النصين أو أن نتركهما جميعاً وكلا الأمرين لا يرضي الضراري لأنه يؤدي إلى القول بتحريف النصوص لا محالة .

جاء في (إنجيل متى) ١٩ : قول المسيح عندما قالوا له (أيها المعلم الصالح) . « ١٦ لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » فاعتراضه عليهم بأنه ليس صالحاً إلا الله فلماذا تدعوني صالحاً يدل على أنه غير الله .

وجاء في (يوحنا : ٧) : (٢٨) فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً تعرفونني وتعرفون من أين أنا ؟ ومن نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق الذي أنتم لستم تعرفونه .

فلماذا كان هو إلهاً فكيف يقول إنه لم يأت من نفسه وإنما جاء بمشيئة الآب ؟ فهو إذن مرسل من غيره .

ونحوه ما جاء في (يوحنا ٤) : « ٣٤ » قال لهم يسوع طعماني أن أعمل مشيئة الآب أرسلني وأتم عملهم .

فهو إذن يعمل مشيئة الذي أرسله وليس إلهاً .

وجاء في (مرقس ١٣) : (٣٢) وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب .

وهذا كلام حول يوم القيامة : فهنا يذكر عيسى أن علم الآب غير علم الابن وإن الآب يعلم ما لا يعلمه الابن فدل على تغايرهما وإن المسيح يجهل بعض الأمور فدل ذلك على أنه ليس هو الله .

وأما تسمية الله بالآب - إن لم تكن من تحريفات أهل الإنجيل - فلا ندل على الأبوة الحقيقية وإنما هي أبوة مجازية بمعنى أن الله سبحانه هو يهديهم ويربهم ويعلمهم ويقوم بأمرهم كما يقوم الآب بأمر ولده . وهي هكذا في الإنجيل ، فالإنجيل يسمي الله أباً للبشر ويسمي الصالحين أبناء الله فهل معنى ذلك أن البشر أبناء الله حقيقة وهو أبوهم ؟ فإن كان كذلك فلا فضل لعيسى عليهم فهو أبوهم جميعاً وهم أبناءه .

جاء في (إنجيل متى) الأصحاح ٩ : ٥ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون .

وجاء فيه ١٦ : ٥ فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة فيجدوا أباكم الذي في السماوات .

وجاء فيه ٥ : ٨ فكونوا أنتم كامليين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل .

وجاء فيه ٦ : ١ احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات .

وجاء فيه ٦ : ٩ فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك .

وجاء فيه ٦ : ١٤ فإنه إن غفرتم للناس ذلالتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي .

وجاء فيه ٢٣ : ٩ ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماوات .

وهذا الأمر واضح ، كما ترى .

وجاء في (يوحنا : ١) : (٢٩) وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال : هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم .

فهو إذن حمل الله وليس هو الله فكيف يكون حمل الله هو الله ؟ أليس هذا تناقضاً ؟

وجاء في (يوحنا : ٨) : « ٤٠ » ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله .

فهو قد صرح بأنه إنسان كلمهم بالحق الذي سمعته من الله أفهناك أصرح من هذا النص على بطلان ألوهيته ! ؟

وجاء في (متى : ٥ : ٢٧) عن صلبه : (٤٦) ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً ايلي ايلي لما شيعتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ (فهو بنادٍ ويستغيث إلهه فكيف يكون هو إلهاً ؟

وفي (لوقا : ٢٣) « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبته في يديك أستودع روحي » فهو إذن يستودع روحه عند الله فكيف يكون هو الله ، وعند من يستودع روحه إذن ؟ ثم إن الأناجيل وصفت المسيح بأنه يتعب ويجوع وينام ويضطرب * فكيف يصح أن يكون هذا وصفاً لله ؟

جاء في (يوحنا : ٤) : (٦) فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا (البئر) .

وجاء في (متى : ٢١) : (١٨) وفي الصبح إذا كان راجعاً جامع .

وجاء في (مرقس : ٤) (٢٨) وكان هو في المؤخر على وسادة نائماً فأيقظوه)

وجاء في (يوحنا : ١٢) (٢٧) الآن نفسي قد اضطربت . وماذا أقول ؟ أيها الأب .
نجّني من هذه الساعة .

فذل ذلك أوضح دلالة على أن المسيح الإنسان - كما قال هو نفسه - يجوع ويتعب وينام ويضطرب ويجهل وأنه مرسل من الله .

فهو إذن بشر رسول كسائر الرسل .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أليس في وسع الله أن يغفر الخطايا فلماذا يكون الصلب ؟

إن الإنجيل يقول بلى في وسعه ذاك ، جاء في (لوقا : ١١) : (٢) فقال لهم متى صليتم فقولوا : آبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك . . . ٤ واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا) .

فنحن نطلب من الله مغفرة الخطايا كما يغفر الناس لمن يذنب إليهم .

وجاء في (لوقا : ١٧) : (٣) وإن أخطأ أخوك فوبخه وإن تاب فاغفر له) .

فإذا كان في وسعنا أن نغفر لإخواننا أفلا يكون ذلك في وسع رب السماوات والأرض ؟

والقول بالمغفرة يفضي قطعاً إلى إبطال عقيدة الصلب .

بل في الإنجيل نفسه ما ينفي الصلب . جاء في (متى : ٢٣) : (٣٩) لأنني أقول لكم أنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب . . . ٢٤ : ١ « ثم خرج يسوع ومضى في الهيكل » . وهذا يدل على أنه فارقهم منذ أن كلمهم » وذلك أنه في عبارته هذه يشير إلى وداعهم حين قال : إنكم لا ترونني من الآن أي من تلك الساعة . فإن صح هذا فهو دليل قطعي على أن اليهود لما أرادوا أخذه لم يروا ذاته بل رأوا من يشبهه فأخذوه وعملوا به ما عملوا وأما هو فقد ارتفع من بينهم في تلك الساعة ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً «^(١)» .

شواهد التحريف :

من المعلوم أن المسيح هو الذي جاء بالإنجيل فأين هذا الإنجيل ، إنجيل المسيح ؟

نحن نعلم أن النصارى يؤمنون بإنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا فأين إنجيل المسيح ؟

جاء في إنجيل مرقس ١ : ١٤٥ وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز^(١) بإشارة ملكوت الله ١٥ ويقول قد كمل الزمان واقرب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل .

وجاء فيه في الإصحاح ١٣ : من وصايا يسوع (١٠) وينبغي أن تركز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم .

وجاء فيه ١٦ : (١٥) وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخلاص كلها .

وجاء فيه أيضاً ١٤ : (٩) الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم ينحصر أيضاً بما فعلته تذكراً لها .

أين هذا الإنجيل الذي دعا به المسيح وطلب التبشير به ؟ إنه قال - كما أسلفنا - : (الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم . . .) واسم الإنسان يقتضي مشاراً إليه فأين الإنجيل الذي أشار إليه عيسى ؟

إن هذا وحده يدل على فقدان إنجيل عيسى ، وإضافة إلى ذلك ستقيم الدليل^(٢) تحريف الأناجيل بصورة قاطعة . ومما يدل على ذلك :

١ - التناقض بين الأناجيل بل ومناقضة الإنجيل الواحد لنفسه وللعهد القديم فمن ذلك على سبيل المثال اختلاف إنجيل متى وإنجيل لوقا في نسب المسيح اختلافاً

أغنيا علماء النصارى وحيرهم وعجزوا عن تفسيره ولا تفسير له سوى أن أحدهما لا يعلم بما يكتب الآخر . وتصحيح أحدهما يقضي إلى تكذيب الآخر .

جاء في إنجيل متى الإصحاح الأول من ١-٧ أن المسيح ابن يوسف^(*) بن يعقوب بن مئان بن اليعازر بن اليهود بن أخيم . . . بن سليمان بن داود .

وجاء في إنجيل لوقا الإصحاح الثالث من ٢٣-٣٨ أنه ابن يوسف بن هالي بن مئان بن لاوي بن ملكي بن ينا . . . بن ناثان بن داود .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية أن الأجيال ما بين المسيح وداود ثمانية وعشرون جيلاً على ما ذكر متى - الإصحاح الأول ، وعلى ما ذكر لوقا في الإصحاح الثالث الواحد وأربعون جيلاً .

وإن (شالتييل) هو ابن (يكتيا) على ما جاء في إنجيل متى - الإصحاح الأول ١١ ، وفي إنجيل لوقا - الإصحاح الثالث الفقرة ٢٧ هو ابن (نيري) .

وفي إنجيل متى - الإصحاح الأول الفقرة ١١ أن (يكتيا) الذي هو من أجداد المسيح هو ابن (يوشيا) .

وفي (أخبار الأيام الأول ٣) - الفقرة ١٥ ، ١٦ و (أرميا) الإصحاح ٣٤ الفقرة الأولى أن (يكتيا) إنما هو ابن (يهوياقيم) و (يهوياقيم) هو ابن يوشيا فيكون يوشيا جد (يكتيا) لا أباه . وهذا الحذف له سبب سنذكره إن شاء الله . فهنا تناقض إنجيل متى ولوقا وتناقض إنجيل متى والعهد القديم وهو ما يقطع بالتحريف . ومن التناقضات ما جاء في إنجيل مرقس ١ : ٦ أن يحيى كان يأكل جراداً وعسلأ برياً . وفي إنجيل متى ١١ : ١٨ أنه كان لا يأكل ولا يشرب^(٣) .

وهو تناقض .

ومن ذلك ما جاء في إنجيل متى ١٤ : ٥ ولما أراد أن يقتله (يوحنا المعمدان)

(١) انظر الظاهر الحق ١٠٦/١

العجيب أن الأناجيل تذكر في نسب المسيح أن المسيح ابن يوسف ومي مع ذلك تزعم أنه ابن الله ولا أب له على الأرض .

(١) يكرز: يشر

خاف من الشعب لأنه كان عندهم مثل نبي .

وفي إنجيل لوقا ٢٠ : ٦٥ فجميع الشعب يرجوننا لأنهم واثقون بأن يوحنا نبي وهو تناقض .

ومن ذلك ما جاء في مرقس ٩ : ٤٠ لأن من ليس علينا فهو معنا .

وفي لوقا ١٩ : ٤٩ لأن من ليس علينا فهو معنا .

بينما جاء في متى ١٢ : ٣٠ من ليس معي فهو علي .

وهو يناقض ما جاء في مرقس ولوقا .

ومن ذلك ما جاء في يوحنا ٥ : ٣١ إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً .

وجاء فيه في مكان آخر ٨ : ١٤ وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق . وكلام قول المسيح وهذا تناقض في الإنجيل الواحد .

ومن ذلك ما جاء في متى ١٧ : ١ وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويوحنا ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين .

وفي مرقس ٩ : ٢ وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا .

وفي لوقا ٩ : ٢٨ وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد إلى جبل ليصلي .

وهذا تناقض في حادثة واحدة فمتى ومرقس يقولان بعد ستة أيام ولوقا يقولان ثمانية أيام .

ومن ذلك ما جاء في متى ٥ : ٩ طوبى لصانعي السلام لأنهم يدعون أبناء الله

وفي الباب العاشر من إنجيل متى : ٣٤ « ولا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً » .

« فبين الكلامين اختلاف ويلزم أن لا يكون عيسى عليه السلام من الذين قيل في حقهم (طوبى) ولا يدعى ابن الله » .

ويناقضه قوله في متى ١٧ : ٣ « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » .

وانظر إلى خطبة واحدة ألقاها المسيح كيف يرونها كل من متى ولوقا :

إنجيل لوقا - الإصحاح السادس

٢٠ ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال :
طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله .

٢١ طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تُشبعون .

طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون .

٢٢ طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وغيركم وأخرجوا اسمكم كشريير من أجل ابن الإنسان .

٢٣ أفرحوا في ذلك اليوم وتهللوا فهذا أجركم عظيم في السماء لأن آباءهم هكذا يفعلون بالأنبياء .

٢٤ ولكن ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزاءكم .

متى - الإصحاح الخامس

١ ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل فلما جلس تقدم إليه تلاميذه

٢ ففتح فاه وعلمهم قائلاً .

٣ طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات .

٤ طوبى للحرزاني لأنهم يتعزون .

٥ طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض .

٦ طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون .

٧ طوبى للرحماء لأنهم يرحمون .

٨ طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله .

٩ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون .

١٠ طوبى للمطرودين من أجل البر
لأن لهم ملكوت السماوات .
١١ طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم
وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من
أجل كاذبين .
١٢ افرحوا وتهللوا ، لأن أجركم عظيم
في السماوات فانهم هكذا طردوا
الأنبياء الذين قبلكم .
١٣ أنتم ملح الأرض ولكن إن فسد
الملح فيماذا يصلح لا يصلح بعد شيء
إلا أن يطرح خارجاً ويداس من
الناس .

٢٥ ويل لكم أيها الشباعى لأنكم
ستجوعون .
ويل لكم أيها الضاحكون الآن
لأنكم ستحزنون وتبكون .
٢٦ ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس
حسناً لأنه هكذا كان آبائهم يفعلون
بالأنبياء الكذبة .

٦ - طوبى للودعاء
٧ - طوبى للجبايع والعطاش إلى البر
٨ - طوبى للرحماء . . . الفقرة
٩ - طوبى للأتقياء القلب . . . الفقرة
١٠ - طوبى لصانعي السلام . . . الفقرة
١١ - طوبى للمطرودين . . . الفقرة
١٢ -
١٣ -
١٤ -
١٥ -
١٦ - من أجل
١٧ - أنتم ملح الأرض . . . الفقرة

- طوبى لكم أيها الجبايع (عدم وجود
والعطاش إلى البر)

- ويل لكم أيها الأغنياء . . . الفقرة
- ويل لكم أيها الشباعى . . . الفقرة
- ويل لكم أيها الضاحكون . . . الفقرة
- ويل لكم إذا قال فيكم . . . الفقرة
- من أجل ابن الإنسان

(وردت أربع مرات)
(وردت أربع مرات)

● (وردت كلمة طوبى ٩ مرات)
● (لم ترد كلمة ويل)

جاء في (الفارق) : « وهكذا جميع الخطبة لا توافق فيها بين الكلامين والمترجم
لفظ طوبى عشر مرات ولوقا ذكرها أربع مرات فقال (طوبى لكم) وزاد على
المترجم قوله : ويل لكم ذكرها أربع مرات أيضاً والمترجم لم يذكر الويل مطلقاً .
قال المترجم خطباً للتلاميذ ١٥ (أنتم ملح الأرض ولكن إن فسد الملح فيماذا
لا يصلح بعد شيء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس) .

وخالفه لوقا فذكر ذلك في (الإصحاح ١٤ ف ٣٤) بقوله : (الملح جيد ولكن
فسد الملح فيماذا يصلح لا يصلح لأرض ولا لمزبلة فيطرحونه خارجاً من له أذنان

فأنت ترى أن ثمة فروقاً غير قليلة بين النصين ففي (متى) الكلام على الغائبين
وفي (لوقا) الكلام للمخاطبين وفي كلا النصين زيادة من جهة ونقص من جهة
واختلاف من جهة أخرى مما يقطع بالتحريف .
وانظر إلى طائفة من الفروق بين النصين :

لوقا

الكلام للمخاطبين
رفع عينه
عدم وجود (بالروح)
ملكوت الله
طوبى لكم أيها الباكون (الآن)
ستضحكون .

متى

١ - الكلام في متى على الغائبين
٢ -
٣ - للمساكين (بالروح) .
٤ - ملكوت السماوات
٥ - طوبى للحرزاني لأنهم يتعززون

للسمع فليسمع (١١) .

ومن تناقض الأناجيل ما جاء في متى ٢١ : (١) ولما قربوا من اورشليم وجاء إلى بيت فاجي عند جبل الزيتون حيث أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما إذهبا إلى القرية التي أمامكما فتلوقتا جحشاً متربوطاً وجحشاً معها فحلاهما واثنياني بهما وإنا قال لكما أحد شيئاً نقولاً الرب محتاج إليهما فتلوقتا يرسلهما فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل : (قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك ياتيك وديعاً ركباً على أتان وجحش ابن أتان) فذهب التلميذان وفعلاً كما أمرهما يسوع وأتيا بالأتان والجحش ووضعاه عليهما ثيابهما فجلس عليهما .

قال الأستاذ عبد الوهاب النجار : (وأنا لا أدري ولا مؤلف الإنجيل المذكور يدري ولا المنجم يدري كيف يركب المسيح الأتان والجحش معاً ويتنظما في جلوس واحدة ؟) (١٢) .

وعلى أي حال فهو مخالف لما جاء في إنجيلي مرقس ولوقا .

جاء في إنجيل مرقس ١١ : (١) ولما قربوا من اورشليم إلى بيت فاجي وبيت عنان عند جبل الزيتون أرسل اثنين ٢ وقال لهما إذهبا إلى القرية التي أمامكما فتلوقتا وإنا داخلان إليهما تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد فحلاه وأتيا به) .

فهو هنا أخبر أنهما يجدان جحشاً فقط وليس جحشاً وأتاناً .

ونحوه جاء في إنجيل لوقا الإصحاح التاسع عشر الفقرة ٢٨ وما بعدها .

أما يوحنا فقد خالفهم أجمعين فلم يذكر أن يسوع أرسل أحداً وإنما هو وجحشاً فجلس عليه .

جاء في (يوحنا ١٢) : ١٢ وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى أن يسوع أت إلى اورشليم ١٣ فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقاءه وكانوا يصرخون

(١) الفارق ٤٣ - ٤٤

(٢) قصص الانبياء ٤٦٤ وانظر الفارق ١٥٢

أوصنا مبارك الآتي باسم الرب ملك اسرائيل . ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب لا تخافي يا ابنة صهيون هوذا ملكك ياتي جالساً على جحش أتان .

فما ترى أي هذه النصوص هو الصحيح ؟

أما النص الذي أشار إليه مصنفو الأناجيل : لكي يتم ما قيل بالنبي القائل : قولوا لابنة صهيون . . . فهو في سفر زكريا الإصحاح التاسع ونصه :

« ابتهجي يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت اورشليم هوذا ملكك ياتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » .

وهذا لا ينطبق على المسيح لأنه قال هو ملك ومنصور والمسيح لم يكن ملكاً في يوم من الأيام ولا انتصر على أعدائه وإنما هو بالعكس كما تذكر الأناجيل أخذ وأهين ووضع عليه إكليل من الشوك وسحب وبصق عليه فكيف ينطبق عليه هذا النص ؟

جاء في إنجيل متى الإصحاح السابع والعشرين :

« ٢٧ فأخذ عسكر الهوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكهنة ، ٢٨ فغزوه وألبسوه رداء قرمزيًا ، ٢٩ وضفروا إكليلًا من الشوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهنئون به قائلين السلام يا ملك اليهود . ٣٠ وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه . ٣١ وبعدما استهنؤوا به أعاد عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب » .

وانظر إنجيل مرقس ١٥ : ١٦ - ٢٠

« وبعد ذلك كله فمن هو الملك الذي جاء إلى اورشليم ودخلها منصوراً وكان نادلاً ومتواضعاً وراكباً على جحش ابن أتان ؟ وهل بدخول المسيح اورشليم على لوجه الذي ذكرته الأناجيل تكون النبوة قد تحققت ؟

والجواب أن النبوة لا تتحقق إلا بوجود رجل له صفة الامرة قد قهر أعداءه ودانوا بالطاعة . وعلى اثر ذلك أتى إلى اورشليم بهيئة المتواضع ركباً حماراً لا كالمملوك هازين .

والمسيح لم يدخل اورشليم على هذا الوجه . . .

وأما الشخص الذي تحققت به هذه النبوءة بالفعل فهو « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه إذ خرج من المدينة ركباً على حمار حتى وصل إلى معسكر الإسلام بالجانبية فخرج إليه أهل اورشليم واعتقدوا منه صلحاً وبعد غمام الصلح دخل إلى اورشليم ركباً حماره الذي أتى عليه من المدينة وهو صاحب الأمر والنهي في صهيون وأورشليم . . . وأما وداعة عمر وعدله وتواضعه فهو مضرب المثل إلى اليوم وبدخوله تحققت نبوءة زكريا عليه السلام .

جاء في الطبري في أنباء سنة ١٥ هجرية بصفحة ١٥٨ من الجزء السابع « . . . وجه ما خرج عمر إلى الشام أربع مرات فأما الأولى فعلى فرس وأما الثانية ، فعلى بعير وأما الثالثة فقصرعتها أن الطاعون مستعر . وأما الرابعة فدخولها على حمار فاستخلف عليها وخرج .

ومعلوم أن عمر لم يكن يدري ما قاله زكرياء ولا علم له به » (١٦)

وعما يشهد بالتناقض والتحرif ما جاء في الأناجيل عن قيام المسيح من القبر فلا يختلف في رواية ذلك اختلافاً كبيراً .

جاء في إنجيل متى الإصحاح الثامن والعشرين :

« وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر ٢ وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه » .

وجاء في مرقس ١٦ :

« وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة ليأتين ويدهنه ٢ وباكراً جداً في أول الأسبوع أتى إلى القبر إذ طلعت الشمس ٣ وكن يظنن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ ٤ فتظلمن وراهن

(١) قصص الانبياء ٤٦٥

الحجر قد دُحرج لانه كان عظيماً جداً . ٥ ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين . . .) وجاء في لوقا ٢٣ :

٥٥ وتبعته نساء كن قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده . ٥٦ فرجعن واعددن حنوطاً وأطياباً . وفي السبت استرحن حسب الوصية الإصحاح الرابع والعشرين .

ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعدنه معهن أناس ٢ فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر ٣ فدخلن ولم يجدن جسد الرب ٤ وفيما هن مختارات في ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقه . . . ١٠ وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتي قلن هذا للرسل . وجاء في يوحنا ٢٠ :

١١ وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر ٢ فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لها أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه . . . ١١ أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي . وفيما هي تبكي إنحنت إلى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين ١٢ حيث كان جسد يسوع موضوعاً . . . ١٧ قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي . ولكن إذهبي إلى إخواني وقولي لهم اني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي لكم » .

فأنت ترى كم من الفروق بين هذه النصوص، ومن تلك الفروق :

في إنجيل متى : امرأتان ذهبتا إلى القبر هما مريم المجدلية والأخرى . وفي (مرقس) ثلاث نسوة معلومات . وفي (لوقا) نساء غير معلومات العدد ولا الاسماء أتين معه من الجليل مع مريم المجدلية ويونا وأم يعقوب، وفي (يوحنا) مريم المجدلية وحدها .

٢ - في (متى) ان زمن الذهاب الى القبر كان فجر اول الاسبوع . وفي (لوقا) اول الفجر وفي (مرقس) ان زمن الذهاب الى القبر كان فجر اول الاسبوع . وفي (لوقا) اول الفجر وفي (مرقس) عند طلوع الشمس ، وفي (يوحنا) ان الظلام باق .

٣ - في (متى) ان الحجر لم يكن مدحرجاً وبحضورهما تمت الزلزلة وجاء ملاك الرب ودحرج الحجر ، وفي (مرقس) و(لوقا) و(يوحنا) ان الحجر كان مدحرجاً .

٤ - في (متى) ان ملاك الرب نزل ودحرج الحجر وجلس عليه ولم يذكر ان الحجر دخل الى القبر وفي (لوقا) و(يوحنا) انها رأتا ملاكين لا واحداً .

٥ - في (لوقا) انهن دخلن ولم يجدن جسد يسوع وفي (يوحنا) ان مريم دخلت ووجدت جسد يسوع وكلهما .

الى غير ذلك من التفروق .

وهذا مما يقطع بالتحريف .

ومما يقطع بالتحريف ما جاء في الأناجيل ان المسيح اخبر بأنه سيقبض في الليل الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال بعد موته مع ان الأناجيل الأربعة مجمعة أنه دفن قرب مغيب الشمس يوم الجمعة وقام اول الأحد فلم يبق إلا ليلة السبت ويوم السبت والاحد .

ومعنى هذا إما ان يكون المسيح كاذباً أو يكون الرواة كاذبين ولا مفسر أحدهما .

جاء في إنجيل (متى) ١٢ (٤٠) لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال .

وانظر مرقس ٨ : ٣١ ، ٩ : ٣١ ، ١٠ : ٣٤ ، لوقا ٩ : ٢٢ ، ١٨ : ٣٢ ، ٣٣

قال الإمام ابن حزم : « وهذه كذبة شنيعة لا حيلة فيها لأنهم مجمعون وفي »

أناجيلهم إنه دفن قرب مغيب الشمس من يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت وقام من القبر قبل الفجر من ليلة الأحد فلم يبق في جوف الأرض إلا ليلة وبعض آخرى ويوماً يسيراً من يوم ثاقل فقط وهذه كذبة لا خفاء بها فيما أخبر به المسيح لا بد منها أو كذب أصحاب الأناجيل وهم أهل الكذب » (١) .

ومما يدل على التحريف والكذب ما جاء في لوقا ١ :

« ٣١ وها أنت ستجبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع . ٣٢ وهذا يكون عظيماً والله العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ٣٣ ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » .

وهذا قول الملاك لمريم :

« أما قول لوقا (٥) وابن العلي يدعى » وكذا قوله (المولود منك يدعى ابن الله) (إصحاح ١ ف ٣٥) وقوله (يعطيه الإله كرسي داود أبيه) فان هذه العبارات تفرد بها لوقا ولم يذكرها أحد من كتاب الأناجيل سواه » (٢) .

ثم متى تم هذا ؟ متى ملك يسوع بيت يعقوب إنه أهين وبصق عليه وصلب كما تقول الأناجيل فكيف يتفق مع هذا القول ؟ ثم يقول النص إنه ليس لملكه نهاية على بيت يعقوب بل يملكه الى الأبد وهذا منقوض بفتح المسلمين لبيت المقدس منذ زهاء ألف وأربعمائة عام فكيف يتفق هذا مع هذه البشارة ؟

إضافة إلى هذا أن المسيح هو ابن يهوياقيم بن يوشيا بحسب النسب المندرج في إنجيل (متى) - الإصحاح الأول ومن كان من أولاد يهوياقيم لا يصلح أن يجلس على كرسي داود كما جاء في (أرميا) الإصحاح السادس والثلاثين .

وذلك أن يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا لما أحرق الصحيفة التي كتبها باروخ من لهم أرميا نزل الوحي إلى أرميا هكذا :

(١) الفصل في الملل ٤٣/٢ - ٤٤ وانظر ٤٨/٢ - ٤٩ ، الفارق ٢٦١ - ٢٦٢ ، اظهار الحق ١٥٣/٢ ، الرحلة المدرسية ٧٦ ، قصص الانبياء ٣٧٧ (٢) .

٣٠» لذلك هكذا قال الرب عن يهويا قيم ملك يهوذا : لا يكون له جالس على كرسي داود وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً واعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم» .

وفي نسخة أخرى : « إنه لا يكون منه جالس على كرسي داود »^(١) .

وعلى هذا فالمسيح لا تنطبق عليه بشارات الجلوس على كرسي داود كما أنه لم يحصل ذلك فتبين كذب هذا النص .

وأظنك الآن عرفت سبب حذف (يهويا قيم) من نسب المسيح في إنجيل (متى) الذي ذكرناه في أول هذا البحث وذلك لإيهام القارئ أن نص أرميا لا ينطبق عليه .

جاء في (اظهر الحق) : « ظني أن بعض القسيسين المسيحية من أهل الدين والديانة ، أسقط لفظ (يوا قيم) قصداً لئلا يراود ان المسيح إذا كان من أولاد (يوا قيم) لا يكون قابلاً لأن يجلس على كرسي داود فلا يكون مسيحاً »^(٢) .

وبما يدل على الكذب ما جاء في (متى ٢) : « ٢٣ أتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً » .

وهذا كذب فإن الأناجيل الثلاثة لم تنقل مثل هذا النص ولم يوجد لهذا النص أساس في سائر كتب الأنبياء لا صراحة ولا إشارة واليهود ينكرون ذلك أشد الإنكار^(٣) . وهو إما أن يكون مزيداً في الإنجيل أو محذوفاً من العهد القديم وكلاهما يدل على التحريف بالزيادة أو بالنقص فليختاروا أهون الشرين .

١٤. مضى تبين بما لا يشك فيه تحريف الأناجيل .

٢ - تصرف المترجمين حسب أهوائهم : وهذا مما زاد الطين بلة فانهم لم يكتفوا

(١) اظهر الحق ١/١٠٢ ، الفارق ٣٢٩

(٢) اظهر الحق ١/١٤٤

(٣) الفارق ١٢

(١) اظهر الحق ٢/٢٣٢ - ٢٣٥

بالتحريف فأضافوا إلى ذلك سوء الترجمة والتصرف فيها بحسب أهواء المترجم من ذلك على سبيل المثال ما جاء « في الآية الرابعة عشرة من الباب الحادي عشر من إنجيل متى في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وسنة ١٨٤٤ هكذا (فإن أردتم أن تقبلوه فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي) وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ (فإن أردتم أن تقبلوه فهذا هو المزمع بالإتيان) فالترجم الأخير بدل لفظ (إيلياء) بهذا فأمثال هؤلاء لو بدلوا اسماً من أسماء النبي ﷺ في البشارة فلا عجب .

وفي الآية الأولى من الباب الرابع من إنجيل يوحنا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا « لما علم يسوع » وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٦٠ (لما علم الرب) فيدل المترجمان الأخيران لفظ يسوع الذي كان علم عيسى عليه السلام بالرب الذي هو من الألفاظ التعظيمية ، فلو بدلوا اسماً من أسماء النبي ﷺ بالألفاظ التحضيرية لأجل عاداتهم وعنادهم فلا عجب . . .

في الآية الثانية من الباب الخامس من إنجيل يوحنا في حق البركة في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ (تسمى بالعبرانية بيت صيدا) . وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ (يقال لها بيت حسدا) وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ (يسمى بالعبرانية بيت حصدا أي بيت الرحمة) . فالاختلاف بين صيدا وحسدا وحصدا وإن كان ثمره من ثمرات تصحيحهم الكتب السماوية لكنني أقطع النظر عنه وأقول المترجم الأخير زاد التفسير من جانب نفسه في الكلام الذي هو كلام الله في زعمه . فلو زادوا شيئاً بطريق التفسير من جانب أنفسهم في البشارات المحمدية فلا بعد منهم »^(١) .

وحسبنا هذا فإن فيه الكفاية إذ قد تبين لنا بصورة قاطعة تحريف العهد القديم بما فيه التوراة كما تبين تحريف الإنجيل وصدق قول الله فيهم (يحرفون الكلم عن مواضعه) وقوله (افتطمحون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) (البقرة ٧٥) .

بشارات الكتب السماوية (*)

ذكرنا أن محمداً ﷺ أعلن أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأن كتبهم ذكرت اسمه ونعته وأوضحت ذلك إيضاحاً كاملاً .

ونظهر لنا كتب الدلائل والكتب التي جادلت أهل الكتاب أن اسم محمد كان مذكوراً بصراحة في كتب أهل الكتاب إلى عصر متأخر .

فقد نقل ابن نديم المتوفى سنة ٢٧٦هـ والماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ والفخر الرازي المتوفى سنة ٦١٦هـ والقزويني المتوفى سنة ٦٨٤هـ وابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ وابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ وغيرهم نصوصاً كثيرة من كتب أهل الكتاب في عصرهم فيها صريح اسم (محمد) وجادلوه بها . ولكن بمرور الزمن بدأوا يخفون ذلك ومحوه من كتبهم حتى لم يبقوا له اسماً وذلك من عادتهم كما رأينا .

قال ابن نديم المتوفى سنة ٧٢٨هـ «قد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه نصريح بنبوته محمد ﷺ باسمه ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر ذلك فيها وحينئذ فلا يمنع أن يكون فيها بعض النسخ من صفات النبي ﷺ ما ليس في أخرى» (١) .

ونقل ابن تيمية نصاً من سفر دانيال في نعت النبي ﷺ قال : « وقال دانيال النبي أيضاً : فلا يزال ملعونين (بني إسرائيل) عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني اسما عيل الذي بشرت به هاجر وأرسلت إليها ملاكي وبشرها وأوحى إلى ذلك النبي وأعلمه الاسماء وأزيته بالثقوى واجعل البر شعاره والنفوى ضميره . . . أسرى به إلى وأرقبه من سماء إلى سماء حتى يعلو قاذبيه وأسلم عليه وأوحى إليه ثم أرده إلى عبادي بالسروور والغبطة . . . فيدعو قومه إلى توحيد عبادتي وتبخرهم بما رأيته من

النصوص التي أخذناها من الكتاب المقدس هي من الطبعة العربية في بريطانيا مطبعة الجامعة كامبردج سنة ١٩٥٢ إلا إذا اشرنا إلى نسخة أخرى .

(١) الجواب الصحيح ٢/٢٧

أبائي فيكذبونه ويؤذونه ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ بما أملاء عليه الملك حتى أوصل آخر أيام أمنه النسخة وانقضاء الدنيا .

وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى بقراؤها ويقولون لم يظهر صاحبها بعد» (٢) .

ومن النصوص التي ورد فيها اسم الرسول صراحة في سفر أشعيا : « أنا سمعنا في أطراف الجبال صوت محمد » فصرح باسمه عليه السلام ومكانه نصريحاً لا يحتمل التأويل (٣) .

وقال دانيال عليه السلام : « سنترع في قسيك أغرافاً ونرتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء » .

ونقل هذا النص الفخر الرازي والإمام القزويني وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم (٤) « وقال أشعيا عليه السلام في نبوته معلناً باسمه عليه السلام : إني جعلت اسمك محمداً يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد » (٥) .

وقال أشعيا : « قال إبراهيم خليل الله الذي قويته ودعونه من أقاصي الأرض لا يخاف ولا يرهب . . . وأنت تبتهج وترتاح ويكون محمداً »

« فصرح عليه السلام باسمه . . . ولا يكاد أشعيا عليه السلام يهمل ذكر اسمه . كأنه عليه صفة لازب وحتم واجب » (٦) .

« وقال أشعيا عليه السلام مخاطباً للناس عن محمد عليه السلام في نبوته : افهمي

(١) الجواب الصحيح ٤/٥٠

(٢) الأجوبة الفاشرة للإمام القزويني ٢٥٥ وانظر الجواب الصحيح ٣/٣٣٠ ، هداية الخياري بهامش ذيل الفارق ص ٦

(٣) تفسير الرازي ٣/٣٧ ، الأجوبة الفاشرة ٢٥٩ ، الجواب الصحيح ٤/٣ ، هداية الخياري بهامش ذيل الفارق ص ٨

(٤) الأجوبة الفاشرة ٢٥٤ ، الجواب الصحيح ٣/٣٢٦ ، هداية الخياري ٤٠٣ .

(٥) الأجوبة الفاشرة ٢٥٤

اينها الأهم أن الرب أهاب من بعيد وذكر اسمي وأنا في الرحم وجعل لساني كالسهم الصارم وأنا في البطن وخاضني بظل عينه وجعلني كالسهم المختار من كنانته وحزنني لسرة وقال لي : أنت عبدي فصرتي عدلي حق قدام الرب وأعمالي بين يدي الرب فصرت عمداً عبد الرب وبإلهي حولي وقوتي»^(١) .

وهذا النص المذكور في سفر اشعيا الآن في الاصحاح التاسع والأربعين إلا أنه حذف منه اسم الرسول . جاء فيه : « اسمعي لي أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم . بعيد : الرب من البطن دعاني ، من أحشاء أمي ذكر اسمي وجعل فمي كسيف حاد في ظل يده خبأني وجعلني سهماً مبريئاً في كنانته أخفاني . وقال لي أنت عمداً إسرائيل الذي به أتمجد » .

وهذا شأنهم وديدهم .

وقال اشعيا : « لتفرح البادية العطشى وتبهج البراري والفلوات ولتزهروا » ستعطي بأحمد مجلس لبنان . . . وسبرون جلال الله إلهنا »

وقد نقل هذا النص من كتبهم الماوردي والفراfi وابن القيم^(٢) .

وانظر هذا النص في سفر اشعيا في الاصحاح الخامس والثلاثين وقد حذف منه اسم الرسول .

« وقال داود عليه السلام في مزمور له : إن ربنا عظيم محمود جداً وفي قرية » فدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحاً » .

« فنص على اسم محمد وبلده وسماها قرية الله تعالى وأخبر أن كلمته نعم » الأرض وكان ذلك » . . .^(٣) .

وهذا النص المذكور في المزمور الثامن والأربعين من مزامير داود وقد حذف منه

اسم الرسول .

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي أوردها المستدلون .

والذي يبدو أن اسم الرسول ﷺ كان في بعض النسخ إلى عصر متأخر جداً « قال الفاضل حيدر علي القرشي في كتابه المسمى خلاصة سيف المسلمين الذي هو في لسان الاردواي الهندي في الصحيفة الثالثة والستين أن القسيس أوسكان الارمني ترجم كتاب اشعيا باللسان الارمني في سنة ألف وستائة وست وستين وطبع في سنة ١٧٣٣ وفيه في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة ونصها :

« ١١ سبخوا الله تسبيحاً جديداً وأثر سلطنته على ظهره واسمه أحمد » . انتهت وهذه الترجمة موجودة عند الأرمن فانظروا فيها . انتهى كلامه»^(٤) .

(١) الاجوبة الفاخرة ٢٥٠

(٢) اعلام النبوة ٩٢ ، الاجوبة الفاخرة ٢٥٣ ، هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ١٣

(٣) الاجوبة الفاخرة ٢٤٦ وانظر الجواب الصحيح ٣/٣١٩ ، هداية الحيارى ٣٩٩ - ٤٠٠

(٤) الجواب القسيح ٩٧

طائفة من بشارات أهل الكتاب

البشارة الأولى

جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح الحادي والعشرين :

« ١٧ ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : مالك يا هاجر ؟ لا تخافي لان الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . ١٨ قومي إحمل الغلام وشدي يدك به لاني سأجعله أمة عظيمة . . . ٢٠ وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان يده رامي قوس . ٢١ وسكن في بركة (فاران) . وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » . والغلام المذكور هو اسماعيل عليه السلام كما جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح السادس عشر :

« ١٥ فولدت هاجر لابرام ابناً ودعا إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل وإبرام هو ابراهيم عليه السلام كما جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح السادس عشر : « ٥ فلا يدعى اسمك بعد (ابرام) بل يكون اسمك (ابراهيم) »

واسماعيل عليه السلام هو أبو سيدنا محمد وأبو العرب فسمى أمة محمد أمة عظمى وجاء في (سفر التكوين) في الاصحاح السابع عشر :

« ٢٠ وأما اسماعيل فقد سمعت لك منه ها أنا أباركه وأكثره كثيراً جداً »

والنص العبري لهذه العبارة هو :

« هֵנִי בִרְחֻתִּי אוֹתוֹ וְהִפְרִיתִי אוֹתוֹ וְהִרְבֵּיתִי אוֹתוֹ מִבְּמַד מַד » بامالة (بماد ماد)

واو .

ومن عادة العبرانيين الاعتماد في الوقائع والأسماء على قيمة حروف الكلمة

جهة الحساب فلو حسينا لفظ (بماد ماد) بالجمل لكانت جمل (محمد) بلا زيادة ولا نقصان ٩٢ وهو من أبناء اسماعيل الموعود بالبركة والاثار في إنباته « ١١ »

وجاء في (هداية الخيارى من اليهود والنصارى) لابن القيم « وفي بعض نسخ التوراة القديمة ما ترجمته بالعربية . . . وأما في اسماعيل فقد قبلت دعائك قد باركت فيه وأثمره وأكثره بماد مده . . . وقد اختلف فيه علماء أهل الكتاب فطائفة يقولون معناه : جدا جداً أي كثيراً كثيراً . . . وقالت طائفة أخرى بل هي صريح اسم محمد قالوا ويدل عليه أن الفاظ العبرانية قريبة من الفاظ العربية فهي أقرب اللغات إلى العربية فإنهم يقولون لاسماعيل شماعيل ولبوسى موسى وقدسك قدسشخاوتأمل قوله في التوراة : « نأبي أقيم لاهيم مقارب آخهم كاموخاء الاؤه يشاعون » وإن معناه : نبياً أقيم لهم من وسط إخوانهم مثلك له يسمعون ، ونظائر ذلك أكثر من أن يذكر فإذا أخذت لفظ (مؤدمؤد) وجدتها أقرب شيء إلى لفظ (محمد) وإذا أردت تحقيق ذلك فطابق بين الفاظ العبرانية والعربية . . . ويدل على ذلك أداة الباء في قوله (بمؤد مؤد) ولا يقال عظمه بجداً جداً بخلاف أعظمه بمحمد « ١٢ »

وقال : « وقد قال لي ولغيري بعض من أسلم من علمائهم أن (مثد مثد) هو محمد وهو بكسر الميم والهمزة وبعضهم يفتح الميم ويدنيه من الضمة .

قال ولا يشك العلماء منهم بأنه محمد « ١٣ » .

والإمام ابن القيم - فيما أرى - مصيب في أن معنى (بماد ماد) (بمحمد) أي وأثمره وأكثره بمحمد (فإن الباء تمنع ما ذكره المترجمون فإنه لا يقال : عظمه بجداً جداً وإنما يقال : عظمه جداً جداً بخلاف : اعظمه بمحمد .

و (ماد ماد) أقرب شيء إلى اسم (محمد) .

فصل الأنبياء ٢٩٣

هداية الخيارى ٣٧٨ - ٣٧٩ وانظر الجواب الفصيح ٨٥
هداية الخيارى بهامش ذيل الفارق ص ٥

موسى كما جاء في (سفر التثنية) في الاصحاح الرابع والثلاثين : ١٠ - ولم يقم بعد
الك من بني اسرائيل مثل موسى .

البشارة الثانية

جاء في سفر (التثنية) في الاصحاح الثامن عشر :

١٨ « اقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك ، واجعل لكلامي في فمه فيكلمهم به »
أوصيه به . ١٩ « ويكون ان الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي
أطالبه . ٢٠ وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه ان يتكلم به
الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي . ٢١ وإن قلت في قلبك :
نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟ « فليتكلم به النبي باسم الرب ولم يعده
يصرفهوه الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخفوا »

في هذا النص امارات توضح هذا النبي المبشر به فقد جاء فيه :

١ - قوله (اقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم) أي ليس من بني اسرائيل لأنه لو كان
بني اسرائيل لقال (منهم) لا من اخوتهم كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين
بعث فيهم رسولاً من أنفسهم) .

واخوة بني اسرائيل هم العرب لأن بني اسرائيل هم اولاد اسحاق بن ابراهيم
والعرب اولاد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام . فهو قال : من وسط اخوتهم أو
أبناء اسماعيل .

ثم قوله (من وسط اخوتهم) يتطابق على الرسول لأنه من اوسط العرب أم
احسنهم نسباً كما قال المغيرة بن شعبه للمقوقس حين سأل : كيف نسبهم ؟

فقال : هو اوسطهم نسباً .

٢ - قوله (مثلك) أي صاحب شريعة مثل موسى ولم يقم في بني اسرائيل

(١) الجواب الصحيح ٩٩/١

٣ - قوله (اجعل لكلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) أي يكون أمياً يقرأ
لقاب الله قراءة في فمه لا من الصحف ، ولا ينزل عليه ألواحاً كما أنزل التوراة على
موسى فانها نزلت مكتوبة في الألواح كما جاء في (التوراة) (سفر الخروج) في
الاصحاح الحادي والثلاثين :

١٨ « ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحين حجري
مكتوبين باصبع الله .

وكما جاء في القرآن : « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل
شيء » (الأعراف ١٤٥) .

وهذا النص مصداق قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه
مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) (الأعراف ١٥٧) .

٤ - قوله (ويكون ان الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا
أطالبه) . ومعنى (أطالبه) : أنتقم منه . وقد ورد في ترجمة أخرى (أنا أنتقم منه) وهو
لذلك في الترجمات القديمة (انظر الأجوبة الفاخرة ص ٢٧٣) .

وهذه علامة من علامات صدق الرسول محمد فقد انتقم الله من الذين حاربوا
رسول الله ولم يسمعوا لكلام الله الذي تكلم به من المشركين ومن اليهود والنصارى
عقبت هذه النبوة .

٥ - قوله (وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو
ييتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي) .

ومعنى (فيموت ذلك النبي) يقتل وإلا فالملوك لا مفر منه وهو النص الأصلي
البشارة : « فأما النبي الذي يجترى بالكبرياء ويتكلم في اسمي ما لم أمره بأنه يقول أم

وقد بدلها النصارى الى (يموت) لسبب سنذكره .

وهذه آية من آيات صدق محمد فان محمداً لم يقتل على كثرة المحاولات وهما
الفقرة مصداق قول الله تعالى : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين
لنقطعنا منه الوتين) .

جاء في (إظهار الحق) : «أنه صرح في هذه البشارة بأن النبي الذي ينسب إلى الله
ما لم يأمره يقتل فلو لم يكن محمد (ﷺ) نبيا حقا لكان يقتل . وقد قال الله في القرآن
المجيد أيضا (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
وما يفتل بل قال الله في حقه (والله يعصمك من الناس) وأوفى بوعده»^(٢) .

ثم ذكر أن علامة النبي الكاذب ان يذكر أمور فلا تحدث ولا تتحقق ورسول الله
كما اسلفنا - كان يخبر بالأمور فتقع كما هي كما قال حسان :

وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

ويزعم أحبار اليهود الآن أن هذه البشارة في يوشع بن نون فتى موسى وهذا لا
لأمور :

١ - يوشع من بني اسرائيل لا من اخوتهم .

٢ - ليس يوشع ذا شريعة مثل موسى بل هو متبع لموسى .

٣ - إن قوله «(جعل كلامي في فمه)» إشارة أن ذلك المشر به نبي ينزل عليه كلام
وإلى كونه أمياً حافظاً للكلام وإعياً له في صدره ضابطاً له في قلبه لا بواسطة لوح وإلهام
وهذا لا يصدق على يوشع لانتفاء كلا الأمرين فيه عليه السلام»^(٣) .

٤ - جاء في (سفر التثنية) أنه لم يقم نبي من بني اسرائيل مثل موسى .

٥ - وقع في هذه البشارة لفظ (سوف أقيم) كما جاء في (سفر الاعمال) الباب السابع
الفقرة ٣٧ ويوشع عليه السلام كان حاضراً عند موسى داخلاً في بني اسرائيل نبيا في
هذا الوقت^(٤) .

فلا ينطبق عليه هذا النص .

ويزعم النصارى أن هذه بشارة بعيسى عليه السلام وهو مردود بأمور منها :

١ - إن عيسى من بني اسرائيل لا من اخوتهم .

٢ - يزعم النصارى أن عيسى إله وليس نبيا وهذه البشارة تخبر عن ظهور نبي ،
كما جاء فيها (أقيم لهم نبيا) فلا ينطبق على عيسى . ثم ان موسى وغيره على حد زعم
النصارى إنما هم عباد للمسيح فكيف يصح ان يكون (مثل موسى) ؟ والبشارة تقول
(أقيم لهم نبيا مثلك) .

٣ - ثم أن هذا لا ينطبق على عيسى لأن عيسى قتل وصلب كما يزعم النصارى^(٥) .
بل لو جارينا النصارى لوجدنا ان عيسى - برآه الله - إنما قتل لأنه اخبر بأمور كاذبة
وهذه علامة النبي الكاذب كما جاء في هذا النص .

فقد اخبر عيسى - كما ذكرنا سابقا - إنه سيبقى ثلاثة أيام وثلاث ليال في باطن
الأرض ولكنه لم يبق الا ليلة السبت وبومه وليلة الأحد كما تذكر الأناجيل .

ومن ذلك ما جاء في إنجيل متى في الاصحاح التاسع :

«١٨ وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً ان ابنتي الآن ماتت
لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا . ١٩ فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه . . . ٢٣ ولما
جاء يسوع إلى بيت الرئيس ونظر المزمزين والجميع بضجون ٢٤ قال لهم : تنحوا
فان الصبية لم تمت لكنها نائمة فضحكوا عليه . ٢٥ فلما أخرج الجميع دخل وأمسك
ببداها فقامت الصبية . ٢٦ فخرج ذلك الخبير إلى تلك الأرض كلها » .

وانظر مرقس ٥ : ٣٥ - ولوقا ٨ : ٤٩ -

(١) انظر إظهار الحق ٢ / ٢٣٩ - ٢٤٥

(٢) انظر إظهار الحق ٢ / ٢٣٩ - ٢٤٥

(١) إظهار الحق ٢ / ٢٣٩ ، الجواب الفسح ٧٥

(٢) إظهار الحق ٢ / ٢٤٤ - ٢٤٥

(٣) الجواب الفسح ٧٦

فإن الصبية كانت قد ماتت وقال : هي لم تمت لكنها نائمة، وهذا كذب .

ولما كان عيسى اخبر بأمور لم تحدث قتل تطبيقاً للبشارة . أفيرغب النصارى في ذلك؟ ولذلك بدلوا في كثير من طبعااتهم عبارة (فيقتل) إلى (فيموت) حتى لا تنطبق على عيسى .

وقد تقول إذا كان عيسى كاذباً فكيف يحدث مثل هذه المعجزة؟

فنقول : إن الإنجيل أجاب عن مثل هذا فقد جاء في إنجيل متى ٢٤ : ٢٤ لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا أو يمكن المختارين أيضاً .

وقد يقال لعل القصد بقول البشارة (فيموت ذلك النبي) إن تعاليمه تموت ولا تنتشر دعوته ، فنقول إن دعوة محمد ﷺ طيقت الأرض وعمت العالم كما قال تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) فكان هو المقصود .

البشارة الثالثة

جاء في (سفر التثنية) في الاصحاح الثالث والثلاثين :

٢١ «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتللاً من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم» .

وفي طبعة ريجارد واطس في لندن سنة ١٨٢٢ م :

«جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير استعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنة نار» .

وبين النصين بعض اختلاف . ففي طبعة لندن ١٩٥٢ وطبعة بيروت (واشرق لهم) وفي طبعة الموصل سنة ١٨٧٥ وطبعة ريجارد واطس (واشرق لنا) .

وفي طبعة لندن سنة ١٨٢٢ عبارة (ومعه ألوف الأطهار) وكذلك في طبعة لندن سنة ١٨٤٨ . وأسقط هذه العبارة بعض المترجمين لغرض في نفوسهم .

وهذا النص ينطبق انطباقاً تاماً على سيدنا محمد فقد ذكرت هذه البشارة مواطن الرسالات الثلاث فقد ذكرت (سيناء) وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى و(ساعير) في أرض الخليل وهو موطن عيسى و(فاران) وهي مكة كما هو معلوم من كتب اللغة وكتب أهل الكتاب (انظر تاج العروس شرح القاموس مادة : فرن) .

فذكر النص أن الرب استعلن من جبل فاران أي من جبل مكة وهذا ما حصل فقد نزل الوحي على سيدنا محمد في أعلى جبال فاران وهو جبل حراء الذي فيه غار حراء .

ثم قال (ومعه ألوف الأطهار) وهذا ينطبق على محمد وصحبه فقد كانوا ألوف الأطهار كما قال تعالى في وصف أصحاب محمد (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) (النوبة ١٠٨) .

وأسقط بعض المترجمين هذه العبارة ليطمسوا شيئاً من نور البشارة ولكن هيهات .

جاء في (الأجوبة الفاخرة) : «سينا هو الجبل الذي كلم الله تعالى فيه موسى . وساعير هو جبل الخليل بالشام وكان المسيح عليه السلام يتعبد فيه ويناجي ربه ، وفاران جبل بني هاشم الذي كان محمد عليه السلام يتحنت فيه ويتعبد . . .

وفاران مكة باتفاق أهل الكتاب»^(١) .

وقال ابن القيم : «وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى الناصرة . . . وجبال فاران هي جبال مكة قال [محمد بن قتيبة] : ليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة فإن ادعوا أنها غير مكة . . . قلنا أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران ، وقلنا : دلونا على الموضع الذي استعملن الله منه واسمه فاران . . .

قال شيخ الاسلام : وعلى هذا فيكون قد ذكر الجبال الثلاثة حراء الذي ليس حول مكة أعلى منه وفيه ابتدئ رسول الله ﷺ بنزول الوحي عليه وحوله جبال كثيرة وذلك المكان يسمى فاران إلى هذا اليوم والبرية التي بين مكة وطور سيناء تسمى برية فاران ولا يمكن أحداً أن يدعي أنه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي فعلم أنه ليس المراد باستعملانه من جبال فاران إلا إرسال عمه،

﴿...﴾

وقد علم بالتواتر واتفاق الأمم أن اسماعيل إنما ربي بمكة وهو وأبوه إبراهيم بنوا البيت فعلم قطعاً أن فاران هي أرض مكة»^(٢) .

وقال الماوردي : «واشراقه من ساعير إنزاله الانجيل على عيسى لأنه كان سكن ساعير أرض الخليل في قرية ناصرة واستعملانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ﷺ . وفاران هي جبال مكة في قول الجميع»^(٣) .

وهذا ما ذكرته التوراة أيضاً فقد جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح الحادي والعشرين عن اسماعيل عليه السلام - كما ذكرنا في البشارة الأولى :- ٢١٥ «وسكن في برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر» . ومعلوم أن اسماعيل سكن مكة بالاجماع .

والنص في التوراة السامرية التي صدرت في سنة ١٨٥١ أن اسماعيل «سكن برية فاران بالحجاز وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر»^(٤) .

وهذا لا يحتاج إلى إيضاح فهو مجمع عليه وقد بقي اسم فاران يطلق على الجبال المحيطة بمكة إلى القرن الثامن الهجري كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قال : «وذلك يسمى فاران إلى هذا اليوم» وربما كان يطلق إلى فترة طويلة بعد هذا القرن .

وهذا نص في موطن الرسالة ، ويشبه هذا النص قوله تعالى (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) فقد ذكر (التين والزيتون) وهما موطن عيسى وكثيراً ما تردد في الانجيل اسم جبل الزيتون ، وذكر طور سيناء وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ، وذكر مكة فقال (وهذا البلد الأمين) فجمع مواطن الرسالات الثلاث كما في نص التوراة^(٥) .

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٢٨ - ٢٢٩

(٢) هداية الحيارى ٣٨٩ - ٣٩٢ وانظر الجواب الصحيح لابن نعمة ٣/ ٣٠٠ وما بعدها، الفصل ١١١١

لابن حزم ٨٨/ ١

(٣) أعلام النبوة ٦١ ، وانظر الجواب الصحيح ٦١ ، وانظر ص ٧٧ ، تفسير الرازي ٣/ ٣٧

(٤) مطلع النور ١٨

(٥) انظر الجواب الصحيح ٣/ ٣٠٠ وما بعدها.

البشارة الرابعة

جاء في (سفر حبقوق) في الإصحاح الثالث :

«الله جاء من تيمان والقُدوس من جبل فاران . جلاله غطى السماوات والأرض امتلات من نسيجه وكان لمعان كالنور . . . قدامه ذهب الوياء وعند رجله خرجت الحمى . وقف وفاس الأرض . نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الذهبية ونخسفت أكام القدم . مسالك الأزل له » .

وهذا النص فيه شيء من التغيير فقد ذكرت المصادر القديمة هذا النص هكذا :

«إن الله تعالى جاء من التيمن والقُدوس من جبل فاران . لقد أضاءت السماء من بهاء محمد وامتلات الأرض من حمده . . . قام فمسح على الأرض فتضعفت الجبال القديمة . . . يا محمد ادنولقد رأيتك الجبال فارتاعت . . . » (١) .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وقد ذكر فيها شيء نور الله من التيمن وهي ناحية مكة والحجاز فإن أنبياء بني إسرائيل كانوا يكونون من ناحية الشام ومحمد ﷺ جاء من ناحية التيمن» (٢) .

وفي أعلام النبوة للهاوردي والتفسير الكبير للرازي هكذا : «جاء الله من طور سيناء وانكسفت لبهاء محمد وانخسفت من شعاع المحمود» (٣) .
فقد ذكر في هذه البشارة اسمه وبلده . وقرأ اليهود والنصارى هذه النصوص ويقولون إن صاحبها لم يظهر بعد .

(١) الأجوبة الفاشرة ٢٥٧ وانظر الجواب الصحيح ٣/٣١٣ ، ٣٣٠ ، وهداية الخباري ٢٩٣ ، ص ١٠٠ .

(٢) الجواب الصحيح ٣/٣٣١ .

(٣) أعلام النبوة للهاوردي ٩٣ ، تفسير الرازي ٣/٣٧ .

البشارة الخامسة

جاء في (أشعيا) في الإصحاح الحادي والعشرين :

«١٣» وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين «١٤» هاتوا ماء لملاقة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه «١٥» فأنهم من أمام السيوف قد هربوا . من أمام السيوف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب .

«١٦» فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قي دار وبقيّة عدد فسي إبطال بني قي دار تغل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم .
وفي طبعة الموصل (وحي على العرب) .

هذا النص فيه دلالة صريحة على نبوة محمد فقد نزل الوحي على محمد في الوعر في بلاد العرب في غار حراء وهو جبل وعر ولم ينزل في السهل .

وقد ذكرت البشارة هجرة محمد ﷺ قالت : (هاتوا ماء لملاقة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه) (تيماء) من أعمال المدينة .

وقوله (فأنهم من أمام السيوف قد هربوا ، من أمام السيوف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب) ينطبق على محمد ﷺ فقد اجتمع عليه رجال من قريش لقتله ﷺ فأنجاه الله منهم . وقد حاربته قريش حرباً شديدة لا هوادة فيها مدة ثلاثة عشر عاماً .

ثم أشار هذا النص إلى وقعة بدر التي وقعت بعد سنة واحدة من الهجرة وذكر انتصار الرسول فيها قال النص : «فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قي دار وبقيّة عدد فسي إبطال بني قي دار تغل » .

وهذا الذي حصل فانه بعد سنة كسنة الأجير انتصر الرسول وجبابرة قيدار له هلكوا .

وفي طبعة لندن سنة ١٨٤٨م هكذا : « في مدة سنة كسنة الأجير تقضى جبابرة قيدار » .

وفي طبعة الموصل سنة ١٨٧٥ وطبعة لندن سنة ١٨٢٢ هكذا : « وبقية عدة أصحاب القسي الجبابرة من بني قيدار يتقللون » .

وبنو قيدار هم العرب - كما هو معلوم - فان قيدار هو ابن اسماعيل جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح الخامس والعشرين :

« ١٢ - وهذه مواليد اسماعيل بن إبراهيم الذي ولدته حاجر المصرية جارية سارة لابراهيم .

١٣ - وهذه أسماء بنسي اسماعيل بأسيانهم حسب مواليدهم : نبايوت بكر اسماعيل وقيدار . . . »

جاء في (هداية الحيارى) : « قيدار جد النبي ﷺ وهو أخو نبايوت » اسماعيل^(١) .

وجاء في (الفارق) ان هذا النص « اشارة الى هجرته عليه الصلاة والسلام من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة واستقبالهم له وادخالهم فيها وقيامهم بخدمته وخص أهالي نباء لأنهم صالحوا النبي ﷺ وتبأء هي في وادي القرى من أعمال المدينة كما ذكره ياقوت^(٢) .

البشارة السادسة

جاء في (أشعيا) في الاصحاح الثاني والأربعين :

« ١١ - لترفع البرية ومدنها صوتهاء الديار التي سكنها قيدار . لتترنم سكان سالع . من رؤوس الجبال ليهتفوا . ليعطو الرب مجداً ويخبروا بنسبيته في الجزائر » .



وهذا النص واضح في التبشير بمحمد فقد أشار إلى بلاد العرب وهي الديار التي سكنها قيدار وطلب منها ان تبتهج . ثم ذكر المدينة المنورة فقال : « لتترنم سكان سالع » وسالع هو « سلع » وهو جبل في باب المدينة كما هو اسمه إلى الآن وهو سالع بالعبرانية .

جاء في (الفارق) : « فان (سالع) هو (سلع) جبل في باب المدينة كما في مراصد الأطلاع لياقوت والقاموس وغيرها من كتب الجغرافيا واللغة . وأما (سالع) بالالف فلم يذكره والظاهر ان الالف حصلت من اشباع الفتح في اللغة العبرانية^(١) .

وهذا النص صريح في التبشير به ﷺ . فانت ترى ان الكتب السماوية ذكرت اسمه ونشأته ومكان نزول الوحي وهجرته وخص المدينة بالذكر لأنها دار هجرته ومستقره . فهل هناك من دلالة أوضح من هذه ؟

قال ابن سعد في الطبقات : « أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني الضحاك بن عثمان عن مخزومة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال : كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجذون صفة النبي ﷺ عندهم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة^(٢) » .

فليحذفوا اسمه كما شاؤوا ولكن أليس في النصوص الباقية ما فيه الكفاية ؟

(١) الفارق ٣٩٢

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الأول ج ١ / ١٠٤

(١) هداية الحيارى ٤٠٢

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ٣٩٨

البشارة السابعة

جاء في (أشعيا) في الاصحاح التاسع :

« ٦ يولد لنا ولد ونعطي ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشياً
إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام .

« ٧ لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته لبثتها ويعضدها
بالحق والبر من الآن إلى الأبد » .

في هذا النص اشارات الى محمد ﷺ من وجوه :

١ - قوله (وتكون الرياسة على كتفه) ويعني بهذا خاتم النبوة الذي على كتف عمله
ﷺ وفي النسخ القديمة (والشامة على كتفه) (١) . وهي علامة بدنية جعلها الله في
بدنه زيادة في التوضيح اضافة إلى العلامات الأخرى . جاء في (صحيح البخاري
ومسلم) عن السائب بن يزيد قال : « ذهب بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت : يا
رسول الله إن ابن اختي وجع . فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من
وقبضته ثم فمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة » .
وأخرج مسلم نحوه في صحيحه عن جابر بن سمرة قال : « رأيت خاتماً في ظهر
رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام » .

وجاء نحوه فيه عن عبد الله بن سرجس -

قال حسان :

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مبمون بلوح ويشهد

٢ - قوله (ويدعى اسمه عجيباً) أي ليس له نظير فيما عهد بنو إسرائيل من
الأسماء ، ثم أن اسمه عجيب في قومه وقد عجب قومه من عبد المطلب حين سماه به

(١) الأجنوبة الفاخرة ٢٥٥ ، الجواب الصحيح ٢/٢٢٧

الاسم -

٣ - قوله (مشياً إلهاً قديراً) وهذا النص من تحريفات بعض الطبعات النصرانية
وهو في طبعة لندن سنة ١٨٢٢ (مشاوراً الله) أي لا يقول من نفسه ولا يصدر عن
هوى كما قال تعالى في محمد (وما ينطق عن الهوى) .

والغرض من هذا التحريف في بعض الطبعات هو إبعاد البشارة عن محمد ومحاولة
تطبيقها على عيسى لأن عيسى يزعمهم إله ، وبقية النص تأييد ذلك .

جاء في (إنجيل لوقا) في الاصحاح الأول في بشارة الملاك لمريم :

« ٣١ وها أنت ستحبلين وتلدن ابناً تسمينه يسوع . ٣٢ هذا يكون عظيماً وابن
العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه . ٣٣ ويملك على بيت يعقوب إلى
الأبد ولا يكون لملكه نهاية » .

وقد ذكرنا هذا النص وفندنا تطبيقه على عيسى .

٤ - قوله (أباً أبدياً) أي لا تنقض طاعته ولا تنسخ شريعته إلى الأبد وهذه هي
شريعة محمد .

٥ - قوله (رئيس السلام) : ورئيس السلام هو الذي يقر السلام ويدعمه وينشره
ومحمد كذلك فإن دين الاسلام مشتق من لفظ السلام وتحمية الاسلام هي (السلام
عليكم) والمسلمون (إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) ، وقال تعالى (وإن جنتحوا
للمسلم فاجنح لها وتركل على الله) .

وهو الذي نشر السلام بين الناس فلم يضطهد أحداً بسبب عقيدته المخالفة للاسلام
كما قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال : « وإن أحد من
المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » .

وكان نصارى الشام وغيرهم يتعمون ويؤمنون في ظل الاسلام ما لم يتعموا في ظل
نصارى الروم ولذلك قالوا للمسلمين : « انتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على
ديننا » فعاشت الفرق المتباينة المتخالفة في ظل أمن وسلام .

وهذا النص لا ينطبق على المسيح فإنه قال : (ما جئت لألقي سلاماً على الأرض

بل سيفنا) فلا يكون رئيساً للسلام .

٦ - قوله : «لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليشبهها» ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الأبد» .

وهو في طبعة لندن سنة ١٨٤٢ هكذا : «ليكثر سلطانه وسلامه ليس له فناء .»
كرسي داود وعلى مملكته يجلس ليقيمها ويعضدها بالانصاف والعدل منذ الآن والى الأبد» .

أي تكون القدس جزءاً من مملكته وهو يقيمها ويعضدها بالانصاف والعدل .
كذلك فإن القدس وفلسطين أصبحت جزءاً من دار الإسلام وأقامها وعضدها بالانصاف والعدل وستكون كذلك إلى الأبد . وأما ما تراه من سيطرة اليهود على سيطرة مزقة كسيطرة الصليبيين وسنرى مصداق قول الرسول فيهم إن المسلمين سيقاتلون اليهود حتى يقول الحجر والشجر يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي تعال فاقتلته .

البشارة الثامنة

جاء في (أشعيا) في الاصحاح الثاني والأربعين :
«هوذا عبدي الذي اعطاه مختاري الذي سرت به نفسي . وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم . لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف وقيلة خامدة لا يطفئ . يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته» .

وهذه صفات رسول الله محمد فقد وضع الله روحه عليه كما قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) .

وكان ﴿ لا يصيح ولا يرفع صوته فيما كان ﴾ صخاباً ولا فاحشاً ولا يسمع في الشارع صوته وقد ذم القرآن الذين يرفعون أصواتهم فقال : «واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» .

وكان ﴿ متواضعاً لا يقصف قصبة مرضوضة وقد شبه الرسول المؤمن بالنحلة التي إذا وقعت على عود نخر لم تكسره ، قال ﴿ مثل المؤمن مثل النحلة إذا أكلت طيباً وإذا وضعت وضعت طيباً وإذا وقعت على عود نخر لم تكسره» .

وإنه ﴿ جاهد لم يكل ولم ينكسر حتى يضع الحق في الأرض . ثم قال : (وتنتظر الجزائر شريعته) أي ان دعوته للعالم أجمع ليست خاصة بالعرب ، وقد حصل ذلك فقد نشر المسلمون شريعة الاسلام في العالم أجمع .

وإكمال هذا النص من طبعة لندن سنة ١٨٤٨ : «أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم . . .» فإن الله تعهد بحفظه بقوله «فأمسك بيدك وأحفظك» وهو مثل قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) (١) وكان كما وعد .

(١) ذيل الفارق ٧٧-٧٩

البشارة التاسعة

جاء في (اشعيا) في الاصحاح الحادي والعشرين من طبعة لندن سنة ١٨٢٢ :
 « ٧ قال لي الرب اذهب وأقيم الديدبان ليخبر بما يرى . فأبصر مركب فارسين
 أحدهما راكب حمار والآخر راكب جمل وتراقب حريصا تراقبا شديدا . . . وإذا
 برجل راكب زواجا من الفرسان فأجاب وقال : سقطت قد سقطت بابل وجميع أصنام
 ألقتها إنكسرت ملقاة إلى الأرض » .

والنص في النسخ القديمة هكذا : « قيل لي قم ناظراً فانظر ماذا ترى ؟ فقلت : أرى
 راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل يقول أحدهما لصاحبه سقط بابل
 وأصنامها للمنحرة »^(١) .

قال ابن تيمية : « قالوا فراكب الحمار هو المسيح ، وراكب الجمل هو محمد ﷺ
 وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار . ومحمد ﷺ سقطت
 بابل »^(٢) .

وقال القزويني : « فراكب الحمار المسيح عليه السلام وراكب الجمل محمد عليه
 السلام . . . ومحمد عليه السلام أسقط أصنام بابل وغيرها »^(٣) .

وجاء في (الفارقي) : « والمراد براكب الحمار عيسى وراكب الجمل محمد عليهما
 أفضل الصلاة والسلام إذ لم يسمع عن عيسى إنه ركب الأمل بل الجحش حين دخل
 إلى اورشليم »^(٤) .

وأما قوله (وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم) فهو كقوله تعالى : « يا أيها النبي
 إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً »

وفي النسخ القديمة (مشفح ولا يذل الصالحين الذين هم كالفضبة الضعيفة) .

ومعنى (مشفح) محمد . قال أبو محمد بن قتيبة : « مشفح محمد بغير شك واعتبار
 إنهم يقولون شفحاً لاها إذا أرادوا أن يقولوا : الحمد لله وإذا كان الحمد شفح
 فمشفح محمد بغير شك »^(٥) .

وعند النصارى إن هذا النص في المسيح كما جاء في إنجيل متى في الاصحاح

الثاني عشر : ٢٤

ولما كان النص في (اشعيا) كما ذكرنا (هوذا عبدي) والمسيح في عقيدتهم إله حار
 الكاتب إلى (هوذا فتاي) ليسهل القول بأنه ابن الله ولئلا يتناقض .

والعجيب أنه في الطبعة الواحدة تجد هذين النصين ففي (اشعيا) تجده (هوذا
 عبدي) وفي (متى) تجده (هوذا فتاي) ويحيلك إلى اشعيا . وهو في غاية العيب .

ثم كيف ينطبق هذا على المسيح الذي أمين وقتل وبصق عليه - كما يقولون - وبما
 أصحابه أكثر من ثلاثة فرون مطاردين وهذا النص يقول « يخرج الحق لا يكل
 ينكسر حتى يضع الحق في الأرض » ؟

إنه تمحل عجيب في تطبيق النص وذو اللب بقراً ويفهم .

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٤٨ ، الجواب الصحيح ٣/٣٢٣ ، هداية الحيارى ٤٠٠

(٢) الجواب الصحيح ٣/٣٢٣

(٣) الأجوبة الفاخرة ٢٤٨

(٤) الفارقي ٣٩٧

(٥) هداية الحيارى بهامش ذيل الفارقي ص ٥

البشارة العاشرة

قال (اشعيا) في الاصحاح الرابع والخمسين :

«ترغمي أيتها العاقرة التي لم تلد . اشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب . أوسعني مكان خيمتك ولتسبط شقق مساكنك . لا تمسكي أطلي أطنابك وشددي أوتارك لأنك تمتمدين الى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك إنما ويعمر مدنا خربة . لا تخافي لأنك لا تخزين . ولا تخجلي لأنك لا تستحيين . فإنك تسين خزي صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد لأن بعلك هو صاحبك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل اله كل الأرض يدعى . . . لحيفة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك . بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة وبإحسان أبدي أرحمك قال وليك الرب . . . فإن الجبال تزول والأكام تنزعز أما احسانني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحك الرب .
أيتها الدليلة المضطربة غير المتعزية هاأنذا أبني بالاثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك وأجعل شرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً . بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنومك . . . من اجتمع عليك فاليك يسقط . . . كل آله صُورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمن عليه . هذا ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب» .

وواضح أنه يعني في هذا النص مكة المكرمة وذلك من وجوه :

١ - قوله (ترغمي أيتها العاقرة التي لم تلد) فهو يعني بالعاقرة مكة لأنها لم تلد نبيا قبل محمد . فمحمد أول نبي ظهر فيها قال تعالى «لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون» وقال «لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتنبهون» .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «يعني بالعاقرة مكة لأنها لم تلد قبل محمد النبي ﷺ نبيا ولا يجوز أن يريد بالعاقرة بيت المقدس لأنه بيت الأنبياء ومعدن الرحي وقد ولد أنبياء كثيرا» (١) .

٢ - قوله (ويرث نسلك إنما ويعمر مدناً خربة) وهم العرب الذين خرجوا برسالة الاسلام وروثوا الأمم وعمرُوا مدناً خربة كما قال .

٣ - قوله «ووليك قدوس إسرائيل اله كل الأرض يدعى» أي يدعى رب العالمين لا اله شعب معين كما في التوراة إن الله اله إسرائيل وربهم . قال تعالى (الحمد لله رب العالمين) .

٤ - قوله (فإن الجبال تزول والأكام تنزعزع أما احسانني فلا يزول عنك) ذلك لأن رسالة الاسلام خالدة وهي خاتمة الشرائع وتعظيم البيت من شعائره وهو كذلك إلى قيام الساعة .

٥ - قوله (هاأنذا أبني بالاثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك . . .) ولم توجد هذه الصفات الا لمكة (ولأن المهدي من بني العباس والملوك قبله وبعد تأفقوا في بناء المسجد الحرام بالأحجار النفيسة والذهب والأصباغ واللازورد وحملت تيجان الملوك وذخائرهم فحليت بها الكعبة حتى إن سقوف الحرم تأخذ بالبصر» (٢) .

٦ - قوله (وسلام بنيك كثيراً) وذلك لأن تحية المسلمين السلام فهم يحي بعضهم بعضا بقوله (السلام عليكم) .

٧ - قوله (بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنومك) وذلك لأنه حرم ابن قال تعالى «أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم» وقال «ومن أشد حمله كان آمناً» وذلك ببركة دعاء إبراهيم عليه السلام (وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً) فإذا رأى الرجل قاتل أبيه في الحرم لا يتعرض له .

(١) الجواب الصحيح ٣/ ٣٢٧ وانظر نهاية الحياتي ١٠٢

(٢) الأجوبة الفاضلة ٢٤٩

وقوله (بعيدة عن الظلم) مصداق قوله تعالى (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) .

٨ - قوله (من اجتمع عليك غليلك يستط...) كل آلة صوّرت ضدك لا تنجح و...
لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه) وهذا حق فمن أراد بيته بكيد أدله الله
وأهلكه كما فعل ربنا بأصحاب الفيل .

أفهنالك أوضح من هذا النص على قدمية مكة وتشريفها وتشريف أهلها حملة رساء
الإسلام؟

البشارة الحادية عشرة

جاء في (اشعيا) في الاصحاح الستين :

«قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب اشرق عليك لأنه ها هي الظلمة
تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم . أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى .
فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء اشراقك .

أرفعي عينيك حوليك وانظري . قد اجتمعوا كلهم . جاؤوا اليك . يأتوك بنوك
من بعيد وتحمل بناتك على الأيدي . حينئذ تنظرين وتشيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه
تتحوّل إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم ، تغطيك كثرة الجبال بكرايا مديان
وعينة كلها تأتي من سبأ تحمل ذهباً ولباناً وتبشر بتسابيح الرب . كل غنم قيدار تجتمع
إليك . كباش نبايوت تخدمك . تصعد مقبولة على مذبحي وأزين بيت جمالي

وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك . . . وتفتتح أبوابك دائماً . نهراً
وليلاً لا تغلق . . . وشعبك كلهم أبرار . إلى الأبد يرثون الأرض . غصن عزّي عمل
يدي لا تمجد . .

وهذا النص وصف لمكة وبيت الله الحرام ووصف للحج فإن في هذا النص
أموراً :

١ - قوله : «قومي استنيري... لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض...» هذا
وصف لحالة اهل الأرض عند اشراق نور الإسلام فقد كانوا في ظلمة حالكة كما قال
لغالي «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس» .

٢ - قوله (تسير الأمم في نورك والملوك في ضياء اشراقك) وهذا حق فقد سارت
الأمم ولا تزال تسير في نور الإسلام وإشراقه .

٣ - قوله (قد اجتمعوا كلهم جازوا إليك ، بأنيك بنوك من بعيد) هذا وصف لمشهد الحج فإن المسلمين يجتمعون ويأتونها من بعيد .
وفي النسخ القديمة (وتخرج إليك عساكر الأمم)^(١) وهو كذلك .

٤ - قوله (تغطيك كثرة الجمال . . .) وهذا واضح في وصف فدوم وفد الحجاج فإنهم كانوا يجيئون على الجمال حتى تغطي مكة وكذلك عند النحر .

٥ - قوله (ونبشر بتسابيح الرب) وهذا وصف للتلبية عند الحج فإن الحاج يلبس من مكان الاحرام رافعا صوته بقوله « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

٦ - قوله (كل غنم قبادر تجتمع إليك وكباش نبابوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحي) وهذا وصف للذبح في يوم النحر . وقبادر ونبابوت من اولاد اسماعيل كما ذكرنا .

٧ - قوله (وبنو الغريب ينون اسوارك وملوكهم يخدمونك) وهذا شأن كل مسلم وملوك المسلمين وأمرائهم في بقاع الدنيا يخدمون الكعبة المعظمة .

٨ - قوله (وتفتح ابوابك دائما . نهاراً وليلاً لا تغلق) وهذا وصف للكعبة المعظمة فان ابوابها مفتوحة دائما لا تغلق لا في ليل ولا في نهار ولا ينقطع عنها الطواف في ساعة من ليل أو نهار .

٩ - قوله (وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد يرثون الأرض) وهم كذلك لأنهم حاشا إلى الأمم ونبيهم خاتم النبيين فهم يرثون الأرض كما قال تعالى في وصف هذه الأمة « وأما كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » فلا ثاني بعدهم أبداً ولا دين حتى تقوم الساعة .

ولا ينطبق هذا الوصف على مكان آخر غير الكعبة المعظمة زادها الله تعالى ونشريفها .

البشارة الثانية عشرة

جاء في المزمور المائة والتاسع والأربعين من مزامير داود :

« ليتنهج الأنقياء بمجد . ليرغوا على مضاجعهم . تنوّهات الله في أفواههم وسيف ذوحدين في يدهم ليصنعوا نعمة في الأمم وتأييدات في الشعوب لأسرملوكهم بفيود وشرقائهم بكيول من حديد ليحجروا بهم الحكم المكتوب » .

وهذا النص في النسخ القديمة هكذا :

« ليرفع الخلاق عن اصطفى الله تعالى له أمتة وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة بسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله تعالى بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه »^(٢) . وهذا النص في وصف الأمة المحمدية من وجوه :

١ - قوله (يسبحونه على مضاجعهم) يشير إلى الذين وصفهم الله تعالى بقوله (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) وهم المسلمون .

٢ - قوله (يكبرون الله تعالى بأصوات مرتفعة) يشير إلى رفع الأذان بالتكبير .

٣ - قوله (سيف ذوحدين في يدهم) وهذا وصف للسيف العربية ذات الحدين .

٤ - قوله (ليصنعوا نعمة في الأمم وتأييدات في الشعوب لأسرملوكهم بفيود وشرقائهم بكيول من حديد) وهذا ما حصل للأمة الإسلامية وجيش الإسلام فقد أسروا الملوك وكتبوا شرقاءهم بالحديد كالحرمزان وغيره .

قال الإمام الفراقى : « يشير صلوات الله عليه إلى هذه الأمة ورفع أصواتهم بالأذانات فإنه لم يكن لغيرها من الأمم والسيف العربية ذوات شفرتين والعجمية لها شفرة واحدة وانتقم الله تعالى بهم من الأمم »^(٣) .

(١) الأجنحة الفاخرة ٢٤٦ ، الجواب الصحيح ٣/٣١٤ ، مداية الحبارى ١٨/٣٥٩
(٢) الأجنحة الفاخرة ٢٤٦

(١) الأجنحة الفاخرة ٢٤٨

البشارة الثالثة عشرة

جاء في (سفر التثنية) في الاصحاح الثاني والثلاثين :

« ٢١ هم أغاروني بما ليس إلهاً . أغاظوني بأباطيلهم فأنا أغيرهم بما ليس شعباً .
بأمة غبية أغيظهم » .

وفي طبعة أخرى هكذا :

« هم أغاروني بغير إله وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب
ويشعب جاهل أغضبهم » .

والمراد بالشعب الجاهل العرب^(١) وقد كان يسمى عصر ما قبل الإسلام الجاهلية
قال تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (الجمعة ٢) .

ونحو هذا النص ما جاء في (اشعيا) في الاصحاح الخامس والستين : « أصغيت
إلى الذين لم يسألوا . ووجدت من الذين لم يطلبوني قلت ها أنذا لأمة لم نسسم
باسمي . بسطت يدي طول النهار إلى شعب متמרّد غير صالح وراء أفكاره »

وفي طبعة أخرى هكذا :

« طلبني الذين لم يسألوني قبل ووجدني الذين لم يطلبوني قلت : ها أنذا إلى
الأمة الذين لم يدعوا باسمي . بسطت يدي طول النهار إلى شعب غير مؤمن الذي
يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم . . . »

« فالمراد بالذين لم يسألوني ولم يطلبوني العرب لأنهم كانوا غير واقعين على ذات

(١) إظهار الحق ٢ / ٢٤٩

(١) إظهار الحق ٢ / ٢٤٦ - ٢٤٧

مرصوص) .

وقوله (ارتخت أيدينا . أمسكنا ضيق ووجع كاللماخض) يصدقه قوله ﴿ ٢٧٩ ﴾
(نصرت بالرعب مسيرة شهر) .

البشارة الرابعة عشرة

جاء في (اشعيا) في الاصحاح الحادي والأربعين :

« ٢ من أنهض من المشرق الذي يلاقيه النصر عند رجليه . دفع أمامه أمماً وعل
ملوك سلطه جعلهم كالتراب بسيفه وكالغش المنذري بقوسه . ٣ مرسلأ في طريق لم
يسلكه برجليه . ٤ من فعل وصنع داعياً الأجيال من البدء . أنا الرب الأول ومع
الآخرين أنا هو » .

وهذا وصف لسيدنا محمد الذي أنهض الله من المشرق ولاقاه النصر عند رجليه
ووصف لأمة العظيمة .

وتحوي هذا الوصف ما جاء في (أرميا) في الاصحاح السادس :

« هكذا قال الرب . هوذا شعب قادم من أرض الشمال وأمة عظيمة تقوم من
أقاصي الأرض تمسك القوس والرمح . هي قاسية لا ترحم ، صوتها كالبحر يهيج
وعلى خيل تركب مصطقة كائنسان لمحاربتك يا ابنة صهيون . سمعنا خبرها
ارتخت أيدينا . أمسكنا ضيق ووجع كاللماخض .

لا تخرجوا إلى الحقل وفي الطريق لا تمشوا لأن سيف العدو خوف من كل
جهة » .

فالمراد بالامة العظيمة التي تقوم من أقاصي الأرض هم العرب أهل الشام
والرمح .

وقوله (قاسية لا ترحم) يصدقه قوله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم)

وقوله (تركب الخيل) واضح .

وقوله (مصطقة كائنسان) يصدقه قوله تعالى (يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم هياكل

البشارة الخامسة عشرة

« قال حزقيال عليه السلام في نبوته يتهدد اليهود بنا : إن الله مظهرهم عليكم وباعث فيهم نبياً وينزل عليهم كتاباً وملكهم رقابكم فيقهرونكم ويدلونكم بالحرب ويخرج رجال بني قidar في جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين فيحيطون بكم وتكون عاقبتكم إلى النار »^(١).

ونقله في الجواب الصحيح عن دانيال . وجاء فيه : « وقال : تنزل الملائكة على خيل بيض . وهذا مما تواترت به الآثار أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض لما نزلت يوم بدر لنصر النبي ﷺ وأمنته ونزلت يوم الأحزاب وأحاطت ببشر قربطة »^(٢).

قال تعالى في وقعة بدر : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالثبات الملائكة مردفين » (الأنفال ٩)

وقال في الأحزاب : « فأرسلنا عليهم رجماً وجنوداً لم تروها » . جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ يوم أخذ معه رجلاً يقاتلان عليها ثياب بيض كأشد التمثال رأيتها قبل ولا بعد » .

(١) الأجوبة الفائرة ٢٥٨ ، هداية الخياري بهامش ذيل الفارق ص ٦

(٢) الجواب الصحيح ٣/ ٣٣١ - ٣٣٢

البشارة السادسة عشرة

جاء في (سفر دانيال) في الاصحاح الثاني :

« ٣١ أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم . هذا التمثال العظيم البهي جداً وقف قبالتك ومنظره هائل - ٣٢ رأس هذا التمثال من ذهب جيد . صدره وفراعه من فضة . بطنه وفخذه من نحاس . ٣٣ ساقاه من حديد . قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف . ٣٤ كنت فنظر إلى أن قُطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما . ٣٥ فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كمصافاة البدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان . أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملاً الأرض كلها » .

٣٦ هذا هو الحلم فنخير بتعبيره قدام الملك .

٣٧ أنت أيها الملك ملك ملوك لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً . ٣٨ وحاشا يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دُفعها إليك وسلطتك عليها جميعها . فأنت هذا الرأس من ذهب . ٣٩ وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتسلط على كل الأرض . ٤٠ وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء أو كالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء . ٤١ وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف القحار والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث أنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين . ٤٢ وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قوياً والبعض نصفاً . ٤٤ وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتغنى كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد . . . »

جاء في (إظهار الحق) : « فالمراد بالمملكة الأولى سلطنة يختصر ، وبالمملكة

الثانية سلطنة المادئين الذين تسلطوا بعد قتل بلشاصر بن يختنصر كما هو مصرح في الباب الخامس من الكتاب المذكور وسلطنتهم كانت ضعيفة بالنسبة إلى سلطنة الكلدانيين . والمراد بالملكة الثالثة سلطنة الكيانيين لأن قورش ملك إيران الذي هو بزعم القيسيين كاخسرو تسلط على بابل قبل ميلاد المسيح بخمسمائة وست وثلاثين سنة ، ولما كان الكيانيون على السلطنة القاهرة فكأنهم كانوا متسلطين على جميع الأرض . والمراد بالملكة الرابعة سلطنة اسكندر بن فيلقوس الرومي الذي تسلط على ديار فارس قبل ميلاد المسيح بثلاثمائة وثلاثين سنة فهذا السلطان كان في القوة بمنزلة الحديد ثم جعل هذا السلطان سلطنة فارس منقسمة على طوائف الملوك فلهذه هذه السلطة ضعيفة إلى ظهور الساسانيين ثم صارت قوية بعد ظهورهم فكأنهم ضعيفة تارة وقوية تارة . وتولد في عهد نوشيروان (محمد بن عبد الله) (١) سلطة وأعطاها الله السلطنة الظاهرية والباطنية وقد تسلط متبعوه في مدة قليلة شرقاً وغرباً وعلى جميع ديار فارس التي كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقتين بها فهذه السلطنة الأبدية التي لا تنقضي وملكيها لا يعطى لشعب آخر (٢) .

البشارة السابعة عشرة

جاء في (سفر التكوين) في الأصحاح التاسع والأربعين :

« ١٠ فلا يزول القضيبي من يهوذا والمدبر من فخذك حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم » .

وهذا النص هو من النسخ العربية المطبوعة سنة ١٧٢٢ وسنة ١٧٧٣ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤١ وسنة ١٨٤٤ .

وفي ترجمة عربية سنة ١٨١١ (وإليه تجتمع الشعوب) (٣) .

فالمراد بالقضيبي الحكم والسلطة ، وقد زال القضيبي من آل يهوذا قبل ظهور عيسى عليه السلام بمقدار ستمائة سنة (٤) .

والمراد بالمدبر من فخذك عيسى لأنه من فخذ يهوذا فإنه بعد زوال حكم آل يهوذا لم يجيء صاحب شريعة إلا عيسى . جاء في إنجيل متى في الإصحاح الثاني : « ٦ وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعب إسرائيل » .

وهذا الكلام في حق عيسى فهو المدبر .

وفي هذا النص دلالة على مجيء سيدنا محمد بعد زوال السلطة والحكم من آل يهوذا وبعد زوال المدبر وهو عيسى .

قال فيه : « حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم » وفي طبعة أخرى (وإليه تجتمع الشعوب) وهذه صفات سيدنا محمد الذي له الكل وهو خاتم النبيين

(١) إظهار الحق ٢/٢٥٢ ، الجواب الفسيع ٧٩
(٢) إظهار الحق ٢/٢٥٣

(١) إظهار الحق ٢/٢٦٨ - ٢٦٩

وإليه اجتمعت الشعوب .

وقد عبث المترجمون بهذا النص عبثاً عجيباً .

ففي الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « فلا يزول القضيبي من يهوذا والرسم من تحت أمره إلى أن يجيء الذي هو له وإليه تجتمع الشعوب » .

والمقصود بالرسم التدبير .

وفي الترجمة المطبوعة بلندن سنة ١٩٥٢ وطبعة بيروت سنة ١٩٦١ هكذا : « يزول قضيبي من يهوذا ومشرع من بين رجله حتى يأتي شيلون وله يكون الشعوب » .

« فانظر إلى اختلاف توراتهم التي يتمسكون بها فضي كل نسخة من نسخة المطبوعة خلاف ما في النسخة الأخرى ولم تجتمع نسختان على كلام واحد » (١)

البشارة الثامنة عشرة

جاء في (سفر ملاخي) في الاصحاح الرابع :

« فهوذا يأتي اليوم المنقذ كالنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشاً ويجرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يبقى لهم أصلاً ولا فرعاً . . . »

ها أنذا أرسل إليكم إيلياء النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لتلا آتي وأضرب الأرض بلعن » .

(و إيليا) ليس علياً على شخص بل هو رمز . جاء في (انجيل مرقس) في الاصحاح الثامن : « ٢٧ ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم : من يقول الناس أني أنا ؟

٢٨ فأجابوا يوحنا المعمدان ، وآخرون إيليا ، وآخرون واحد من الأنبياء

٢٩ فقال لهم : وأنتم من تقولون اني أنا ؟

فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح . »

ونحن نرى أن المقصود بإيلياء محمد لأمرور :

١ - قوله (ها أنذا أرسل إليكم إيلياء النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم المخوف) ومحمد خاتم النبيين وهو قد أرسل بين يدي الساعة كما قال « بعثت أنا الساعة كهاتين » وقرن بين أصبعيه الوسطى والسبابة . وقال : بعثت في نفس ساعة .

٢ - قوله (فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم) وهذه صفة محمد الذي رد قلب الآباء على الأبناء فمنع قتل الأولاد خشية الفقر (ولا تقتلوا أدمكم خشية إملاق) ومنع وأد البنات (وإذا المؤودة سثلت بأي ذنب قتلت) وأمر

بتربيتهم وتعليمهم .

ورد قلب الابناء على الآباء فجعل طاعة الوالدين بعد طاعة الله رجلاً عقولهم
من الكبرياء ومن الموبقات بل هو بعد الشرك بالله وأمر بطاعتها وحسن معاملتها
والدعاء لها « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك
الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واحدهما
لها جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً »

وأمر بحسن صحبتها ولو كانا مشركين « وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس
لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً » .

٣ - إن إيلياء رمز عن أحد « والدليل على ذلك أن اليهود كثيراً ما يراعون
أبجد في تفسير الآيات وهذا الحساب معتبر في شريعتهم ، وإذا لاحظنا هذه الآيات
في هذا الاسم اعني (إيلياء) نراه موافقاً لاسم (أحمد) لأن كلاً منهما ثلاثة والحرف
(إيلياء) (أحمد) وهم اسم نبينا عليه الصلاة والسلام »^(١) .

وذهب النصاري إلى أن إيلياء هو يوحنا المعمدان أي يحيى عليه السلام بدلالة
جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح السابع عشر :

« ١٠ وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة أن إيلياء ينبغي أن يأتي أولاً ؟
فاجاب يسوع وقال لهم إن إيلياء يأتي أولاً ويرد كل شيء . ١٢ ولكني أقول لكم أن
إيلياء قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الانسان أيضاً
يتألم منهم . حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان . »

وهذا مردود بجملة أمور منها :

١ - ما قاله يوحنا عن نفسه حين سئل هل أنت إيليا ؟ فأجاب : لا وهو
صريح في أنه ليس إيلياء والأنبياء منزّهون عن الكذب .

جاء في (إنجيل يوحنا) في الاصحاح الأول :

(١) الفارق ٢٨٧

« ١٩ وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من اورشليم كهنة ولاويين
ليسألوه من أنت ؟ ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقر أنني لست أنا المسيح . ٢١ فسألوه إذاً
ماذا ؟ إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا . النبي أنت ؟ فأجاب لا . . . »

فسألوه وقالوا له فيما بالك تعمّد ان كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي ؟ « وهم
واضح وصريح .

٢ - النصوص الأخرى الميثونة في الأناجيل تنفي أن يكون إيليا هو يوحنا . جاء في
(إنجيل لوقا) في شفاء المرضى في الاصحاح التاسع :

« ٧ لأن قوماً كانوا يقولون أن يوحنا قد قام من الأموات . ٨ وقوماً أن إيليا ظهر
وأخر أن نبياً من القدماء قام . »

فهم كانوا ينتظرون ظهور إيلياء بعد موت يوحنا .

وجاء في (إنجيل مرقس) في الاصحاح الثامن :

« ٢٧ ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى فرى قيصرية فيلبس وفي الطريق سأل تلاميذه
قائلاً لهم : من يقول الناس أنني أنا ؟

٢٨ فأجابوا : يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون واحد من الأنبياء

٢٩ فقال لهم وأنتم من تقولون أنني أنا ؟ فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح . «

فنحن نرى أن المسيح لم يجبر تلاميذه أن إيليا هو يوحنا حين رأهم يفصلون
بينهما .

وجاء نحو هذا النص في (إنجيل لوقا) في الاصحاح التاسع : ١٨ ، ١٩ .

وجاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الحادي عشر :

« ١١ الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان .

ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه .

١٢ ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السماوات يغصب والغاصبون يحتفظونه . ١٣ لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا .

١٤ وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي . ١٥ من له أذانان للسمع فليسمع . »

فهذا النص صريح في أن إيليا هو غير يوحنا .

٣ - ثم إن النص الذي جاء في البشارة لا ينطبق على يوحنا لأن إيليا كما هو في النص يعني قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم المخوف أي قبل يوم القيامة ومعنى ذلك أنه يكون آخر الأنبياء وإلا فجميع الأنبياء هم قبل يوم القيامة . ويوحنا ليس كذلك لأنه قتل في زمن عيسى . جاء في الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى أن هيرودوس قطع رأسه وأحضره على طبق : « ١٠ فأرسل وقطع رأس يوحنا في السجن . ١١ فأحضر رأسه على طبق ودفع به إلى الصبية فجاءت به إلى أمها . ١٣ فلما سمع يسوع انصرف من هناك في سنيئة إلى موضع خلاء منفرداً . »

وانظر إنجيل مرقس في الاصحاح السادس .

وعند النصاري أن تلاميذ المسيح هم رسل كما جاء في إنجيل لوقا ١٧ : « ٥ فقال الرسل للرب زد إيماننا »

والرسل هنا هم تلاميذ المسيح والمقصود بالرب هنا المسيح تعالى الله عما يقولون ، (بولس) عندهم رسول وعندهم رسل آخرون (انظر أعمال الرسل) فكيف ينطبق هذا النص على يوحنا المعمدان وقد جاء بعده رسل كثيرون كما يعتقد النصاري ؟

وعندنا أن عيسى رسول وقد عاش بعد يوحنا فلا يصح أن يكون يوحنا هو إيليا .

٤ - ثم إن ما جاء في البشارة أن إيليا يرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء إلى آبائهم أي تكون تعليماته نافذة يؤمن بها الناس ويطبقونها فيرد بها قلوب الآباء والأبناء .

وهذا لا ينطبق على يوحنا لأن بني إسرائيل كذبوه ولم يؤمنوا به ورفضوه وقتلوه .

قال المسيح كما جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الحادي والعشرين . « ٣٢ لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به . »

فهم إذن لم يؤمنوا به ورفضوا تعاليمه وقتلوه فكيف تنطبق عليه هذه البشارة ؟

إن هذه البشارة تنطبق على محمد الذي آمن به الناس وصدقوه ونفذوا تعاليمه فردّ قلوب الآباء والأبناء .

٥ - ثم أين التعليقات التي جاء بها يوحنا المعمدان بهذا الخصوص أو بغيره ؟

إننا لم نجد شيئاً من تعليقات يوحنا ولم تذكر الأنجيل عنها شيئاً فلا تعلم تعليماته بشأن الآباء والأبناء أو بغير هذا الشأن .

ولذا فإن البشارة لا تنطبق عليه وقد نفى هو ذلك عن نفسه ، فتكون هذه بشارة بظهور سيدنا محمد وهي تنطبق عليه تمام الانطباق .

البشارة التاسعة عشرة

جاء في (إنجيل يوحنا) في الاصحاح الرابع عشر :

« ١٦ وأنا أطلب من الأب فيعطىكم فارقليطاً آخر ليثبت معكم إلى الأبد .

١٧ روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . . .

٢٦ والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم كل شيء ويذكركم كل ما قلته لكم . »

وفي الاصحاح الخامس عشر :

« ٢٦ وإذا جاء الفارقليط الذي أرسله إليكم من الأب روح الحق الذي من

وفي الاصحاح السادس عشر :

« ٧ إن لم أنطلق لا يأتبكم الفارقليط . ولكن إن ذهبت أرسله إليكم .

« ٨ ومنى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى دينونة . . . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمعه يتكلم به ويخبركم بأمر آتية . ذاك يمجديني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم . »

هذه النصوص من طبعة الموصل سنة ١٨٧٦ . والفارقليط هو الخادم أو الخدماء أو الخدماء أو الخدماء .

جاء في (الأجوبة الفاخرة) : « والفارقليط عند النصارى الخدام وقيل الخدام وجهورهم أنه المخلص »^(١) .

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٣٩

وجاء في (هداية الحيارى) : « والفارقليط بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد أما أحمد أو محمد أو محمود ونحو ذلك وهو في الإنجيل الحبشي برنقطيس . . . والدليل عليه قول يوشع من عمل حسنة يكون له بارقليط جيد أي حمد جيد »^(٢) .

وفي (سيرة ابن هشام) : « فلو قد جاء المنحماً هو الذي يرسله الله إليكم من عند الرب . روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد عليّ وأنتم أيضاً . »

والمنحماً بالسريانية محمد وهو بالرومية البرقليطس^(٣) .

ويترجمه كثير من النصارى بالمعزي أو المخلص والصواب ما ذكرناه ، جاء في (قصص الأنبياء) : « فارقليط » وهو تعريب لفظ بيريكلتوس اليونانية ومعناها الذي له حمد كثير^(٣) .

وذكر الأستاذ عبد الوهاب النجار أنه سأل العلامة الكبير الدكتور كارلو نلينو المستشرق الايطالي وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في آداب اليهود اليونانية القديمة . وكان آنذاك في مصر :

ما معنى « بيريكلتوس » ؟

فأجابني بقوله : إن القسيس يقولون إن هذه الكلمة معناها « المعزي » .

فقلت : إنني أسأل الدكتور « كارلونلينو » الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيساً .

فقال : إن معناها « الذي له حمد كثير » .

فقلت : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من (حمد) ؟

(١) هداية الحيارى ٣٦٦ - ٣٦٨ ، الجواب الفسيح ٨١

(٢) سيرة ابن هشام ١٥٢/١ - ١٥٣ وانظر هداية الحيارى بهامش قبل الفارق ١١

(٣) قصص الأنبياء ٣٩٧

فقال : نعم .

فقلت : إن رسول الله ﷺ من أسمائه (أحد) .

فقال : يا أخي أنت تحفظ كثيراً . ثم افترقنا .

وقد ازددت بذلك تثبناً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح * ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد^(١) .

ثم إن ورود ترجمة لفظ (فارقليط) بلغات أخرى في الأناجيل المختلفة يوضح المقصود به فهو في الانجيل الحبشي (برنقطيس) وبالسرانية (المنحمن) وبالرومانية (بيريكثوس) وكلها تعطي معنى (محمد) .

فدل ذلك على أن المقصود به سيدنا محمد كما قال تعالى « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » .

ثم إن هذه النصوص تنطبق على سيدنا محمد بغض النظر عن معنى لفظ (الفارقليط) فإن قوله (ليثبت معكم إلى الأبد) يعني أن رسالته خالدة إلى يوم الدين ويبقى تشريعها نافذاً لا ينسخ .

وقوله (فهو يعلمكم بكل شيء) ينطبق عليه ﷺ الذي لم يترك شيئاً من أمور الخير إلا دلاً عليه ولا شيئاً من سبل الشر إلا حذراً منه . كما قال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

وقال يهودي لأحد الصحابة أن نبيكم يعلمكم كل شيء . فقال له : أجل إني أعلمنا كل شيء .

وإن قوله (بيكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة) هو أوضح دليل على صفات سيدنا محمد الذي بيكت العالم على الخطية وأقامهم على البر . وفي بعض الطباعات (يوبخ العالم على خطية) . جاء في (الجواب المسيح) : « أن قول

(١) قصص الأنبياء حاشية من ٣٩٧ - ٣٩٨

عيسى عليه السلام (يوبخ العالم) بمنزلة النص الجلي على نبوة نبينا خاتم النبيين ﷺ لأنه كما هو معلوم . . . قد وبخ العالم . . . وما يضحك الأطفال ما قاله القسيس راتكين في كتابه المسمى (رافع البهتان) الذي ألفه في لسان الأوردو إن لفظ التوبيخ لا يوجد في الإنجيل ولا في ترجمة من تراجمه قال وإنما ذكره المسلمون ليصدق على محمد ﷺ صدقاً بيناً لأن محمداً وبخ وهدد كثيراً . انتهى . فنسخ الإنجيل المترجمة قد ملأت العالم ولفظ (يوبخ) أو (بيكت) موجوداً فيها * الترجمة المطبوعة في رومية العظمى سنة ١٦٧١ والمطبوعة في بيروت سنة ١٨٦٠ والمطبوعة سنة ١٨١٤ وسنة ١٨٢٥ وفي التراجم الفارسية المتعددة الطبع . . .

إن في هذه الأيام مترجمي العربية والفارسية وأوردوا تركوا لفظ فارقليط في تراجمهم للإنجيل لشهرته عند المسلمين في النبي ﷺ^(١) .

وقوله (وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به) واضح فقد أرشد محمد العالم إلى جميع الحق ولم يتكلم من نفسه بل كان يتكلم بما يخبره الله به كما قال تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » .

وقوله (ويخبركم بأمر آتية) ينطبق عليه فقد كان هذا شأن سيدنا محمد فقد أخبر بأمر آتية في القرآن والحديث كإخباره بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين وإخباره بانتصار الإسلام وظهوره على الأديان وإخباره بظهور النار في الحجاز وغيرها من الأمور التي ذكرنا طرفاً منها .

وقوله (ذاك يمجديني لأنه يأخذ عا لي ويخبركم) يدل عليه أيضاً فقد مجد سيدنا محمد عيسى عليه السلام في القرآن الكريم قال تعالى « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه ، اسمها المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين » .

ونزله عما افترت عليه النصارى من ادعاء الربوبية ونزله عن الكذب الذي ألصقته به وغير ذلك .

فهذه النصوص تدل على أن محمداً هو المقصود بهذه البشارات .

(١) الجواب المسيح ٨٢-٨٣

البشارة العشرون

جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الثالث : « ١ وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهود قائلاً توبوا لأله فد اقترب ملكوت السماوات » .

وجاء فيه في الاصحاح الرابع : « ١٧ من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات » .

وجاء في هذا الاصحاح أيضاً : « ٢٣ وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم الناس مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت » .

وجاء فيه في الاصحاح السادس : « ٩ فصلوا أنتم هكذا . أبانا الذي في السماوات لبتهقدس اسمك . ١٠ ليأت ملكوتك » .

وفيه في الاصحاح الحادي والعشرين : « ٤٣ لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل إثاره » .

وفيه في الاصحاح الرابع والعشرين : « ١٣ ولكن الذي يصير إلى المنتهى فهذا يخلص . ١٤ ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم . ثم يأتي المنتهى » .

وفي (إنجيل مرقس) في الاصحاح الأول : « ١٤ بعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله . ١٥ ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » .

معنى الملكوت

يظهر من هذه الفقرات أن المقصود بالملكوت هو دين جديد ينزله الله إلى الخلق وهو - فيما نرى - الإسلام ولا يصح أن يكون النصرانية لأن قوله (اقترب ملكوت السماوات) يمنع من ذلك لأن النصرانية دين حاصل لا مقترّب . وكذا قوله (ليأت ملكوتك) فلو كان المقصود به النصرانية لم يصبح لهذا الدعاء معنى ، وكذا قوله « إن ملكوت الله ينزع منكم » أي أن الرسالة ستزع منكم وقد نزع منهم فعلاً وأعطى للعرب .

جاء في (كتاب الإنجيل والصليب) : « إذا سألتهم راهباً مسيحياً ما هو الملكوت ؟ يجيبكم فوراً هو الكنيسة وإن لم يكن قد تشكل في زمن المسيح مثل هذه الكنيسة ومثل هذه الملة والجماعة . فالمسيح وتلاميذه كانوا يدخلون (السيناغوغا) المسمى (كنيسة كنيس) كسائر اليهود وبصلون ويتعبدون ولم يغفلوا على باله أحداث مذهب جديد أو جماعة جديدة وبناء على ذلك لم يتشكل ملكوت الله في زمن عيسى عليه السلام . . . »

فالكثيرة المتخشعة الصارخة بضع مرات في كل يوم « ليأت ملكوتك » (متى ٦ : ١٠) منذ أكثر من ألف وتسعمائة سنة لم تكن غير الجماعة العيسوية يا للتضاد ، يا للعناد والعصيان ، لقد مضى تسعة عشر عاماً إلى الآن نتظر قائلين (ليأت ملكوتك) فإن كان ملكوت الله هو الكنيسة فما بال الكنيسة تكرر بفمها ولسانها كل يوم هذا الدعاء وتطلب من الله أن يبعث لهم ملكوته ؟ « ١١ »

وادعاء أن المراد بالملكوت الكنيسة مردود ردها صاحب الكتاب ويردها الإنجيل نفسه . جاء في (إنجيل متى) ٢١ : ٤٣ « لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل إثاره » .

فلا يصح أن يكون معناه الكنيسة إذ ما معنى أن الكنيسة تنزع منكم وتعطى لأمة تعمل اثمارها ؟ وهكذا بقية النصوص .

وإثما هو - كما ذكرنا - تبشير بدين جديد وهو الإسلام .

جاء في (إظهار الحق) : « فظهر أن كلاً من يحيى وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين بشر بملكوت الله وبشر عيسى عليه السلام بالالفاظ التي بشر بها يحيى فعلم أن هذا الملكوت كما لم يظهر في عهد يحيى عليه السلام فكذلك لم يظهر في عهد عيسى عليه السلام ولا في عهد الحواريين والسبعين بل كل منهم مبشربه وغبر عن نفسه ومرتج لمجيئه فلا يكون المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة التي ظهرت بشريه عيسى عليه السلام وإلا لما قاله عليه السلام والحواريون السبعون إن ملكوت السماوات قد اقترب . . . فهو عبارة عن طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد » (١)

وقد نزع الله ملكوته من بني إسرائيل وأعطاه لأمة تعمل اثماره وهو أمة الإسلام فكان كما أخبر السيد المسيح .

البشارة الحادية والعشرون

جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الحادي والعشرين :

- ٤٢ « قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا .
- ٤٣ لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل اثماره .
- ٤٤ ومن سقط على هذا الحجر يترفض ومن سقط هو عليه يسحقه » .

وهذا الحجر إنما هو سيدنا محمد، جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

قال ابن القيم : « وتأمل قوله [المسيح] في البشارة الأخرى : ألم تر إلى الحجر الذي أخره البنائون صار رأساً للزاوية ، كيف تحجده مطابقاً لقول النبي ﷺ : مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنة منها فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ويقولون : هلا وضعت تلك اللبنة فكنت أنا تلك اللبنة .

وتأمل قول المسيح في هذه البشارة : إن ذلك عجيب في أعيننا . وتأمل قوله فيها : « إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى آخر » كيف تحجده مطابقاً لقوله تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » وقوله « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض » (١) .

ونحو هذا النص ما جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الثامن :

« ١١ وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب ويتكثرون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » .

وهذه بشارة تشير إلى ظهور أمة الإسلام التي تأتي من المشرق والمغرب وتكون مرضية عند الله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

جاء في (الفارقي) : « أيها المسيحي إذا أنصفت تحكم بأن هؤلاء الذين سيأتون من مشارق الأرض ومغاربها هم الأمة المحمدية لأنكم مخاطبون حاضرون إذ جاء المسيح سلام الله عليه بخبر عن قوم سيأتون في مستقبل الزمن وقد أخرجكم بقوله « وأما بنو الملكوت »^(١) .

ونحو ذلك ما جاء في (إنجيل يوحنا) في الاصحاح الرابع :

« ٢٠ - ٢٤ قال لها يسوع : يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجيل بل في أورشليم تسجدون لله » .

وهذا النص يشير إلى ظهور الدين الجديد وإنه سينحول مركزه عن أورشليم ويشير إلى تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المعظمة ، فبئس أصحاب الدين الجديد ويصدق قوله تعالى « قد نرى تغلب وجهك في السماء فلتولينك ظهرنا نرضاه ، قول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره »^(٢) الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون » (البقرة ١٤٤)

فقد كان المسلمون أول الأمر ينجحون في صلاتهم إلى بيت المقدس ثم نزلت الآية بوجوب اتجاههم إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة .

فانظر إلى قوله تعالى (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) أي يعلمون أن هذا التحول من بيت المقدس إلى الكعبة حق أخبروا به في كتبهم . هذان الله إلى الصراط المستقيم .

كالاختلافات والمعاربات والمنازعات . . . فمن المحال أن يعيش الناس على وجه الأرض بالصلح والمسالمة » .

ثم يستشهد بقول المسيح « ما جئت لألقي سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً » (متى ١٠ : ٣٤)

ويستشهد بقول آخر للمسيح : « جئت لألقي ناراً على الأرض ، فهاذا أريد لو اضطرمت ؟ انظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض ؟ كلا أقول لكم بل انقساماً » (لوقا ١٢ : ٤٩ - ٥٣)

وعلى هذا فالترجمة لا تنطبق ورسالة المسيح وأقواله والصواب (وعلى الأرض إسلام) . (انظر البحث من ص ٣٨ - ٤٤)

كما يرى أن (ايا دوكيا) بمعنى (أحد) لا (المسرة أو حسن الرضا) كما يترجمها القسس وذلك لأنه لا يقال في اليونانية لحسن الرضا (ايودوكيا) بل يقال (ثليا) .

ويقول أن كلمة (دوكوثة) هي بمعنى (الحمد ، الاشتهاه ، الشوق ، الرغبة ، بيان الفكر) . وها هي ذي الصفات المشتقة من هذا الفعل (دوكسا) وهي (حمد ، محمود ، ممدوح ، نفيس ، مشتهى ، مرغوب ، مجيد) .

واستشهد بأمثلة كثيرة من اليونانية لذلك . وقال : أنهم يترجمون (محمدينو) في (أشعيا ٦٤ : ١١) بـ (اندوكساهيمسون) ويترجمون الصفات منها (محمد ، أحد ، أمجد ، ممدوح ، محتشم ، ذو الشوكة) بـ (ايندكسوس) .

واستدل بهذا التحقيق النفيس أن الترجمة الحقيقية الصحيحة لما ذكره لوقا هي (أحمد ، محمد) لا (المسرة) فتكون الترجمة الصحيحة لعبارة الإنجيل :

« الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض إسلام وللناس أحمد »^{١١} .

(انظر التحقيق من ٤٥ - ٥٣)

(١) انظر كتاب (الإنجيل والصلب) للاب عبد الأحد داود ٣٤ - ٥٣

البشارة الثانية والعشرون

ذكر صاحب كتاب (الإنجيل والصلب) أنه جاء في (إنجيل لوقا) ٢ : ١٤ :

« الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض إسلام وللناس أحد »

ولكن المترجمين ترجموها في الإنجيل هكذا :

« الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وللناس المسرة »

ومؤلف الكتاب يرى أن الترجمة الصحيحة ما ذكره هو .

يقول المؤلف أن ثمة كلمتين وردتا في اللغة الأصلية لم يدرك أحد ما تخويان «^{١٢}» من المعاني تماماً فلم تترجم هاتان الكلمتان كما يجب في الترجمة القديمة من السريانية

هاتان الكلمتان هما :

أيريني - التي يترجمونها : السلامة

و : أيودكيا - التي يترجمونها : حسن الرضا

فالأولى من الكلمتين اللتين هما موضوع بحثنا الآن هي (أيريني) فقد ترجمت بكلمات (سلامة) (مسالمة) (سلام) .

والمؤلف يرى أن ترجمتها الصحيحة (إسلام) فيقول في ص ٤٠ : « ومن المعلوم أن لفظ (إسلام) يفيد معاني واسعة جداً ويشتمل على ما تشتمل عليه الله إلا (السلم ، السلام) (الصلح ، المسالمة) (الأمن ، الراحة) . . . وتتضمن «^{١٣}» زائداً وتالياً آخر أكثر وأعم وأشمل وأقوى مادة ومعنى ولكن قول الملائكة «^{١٤}» على الأرض سلام » لا يصح أن يكون بمعنى الصلح العام والمسالمة ؛ لأن جميع الكائنات «^{١٥}» وعلى الأخص الحية منها ولا سيما النوع البشري الموجود على كرة الأرض دارنا العساة «^{١٦}» هي بمقتضى السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية خاضعة للوفائع والفجائع الرثة «^{١٧}»

البشارة الثالثة والعشرون

جاء في (رؤيا يوحنا اللاهوتي) في الاصحاح التاسع عشر :

« ١١ ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكمهم وبحارب . ١٢ وعينه كذهب من نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو . ١٣ وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله . ١٤ والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين برأ أبيض ونقياً . ١٥ ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سير عاهد بعضاً من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله الفادر على كل شيء »

وهذا النص ينطبق على سيدنا محمد ﷺ من وجوه :

١ - قوله (والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً) وهذه صفة رسول الله فقد قال يدعى الصادق الأمين قبل الرسالة - كما ذكرنا - . وفي طبعة الموصول (والجالس عليه يسمى الأمين الصادق) . وقد قال المغيرة إلى المقفوف حين سأله : كيف صارت حديثه ؟ قلنا : ما يسمى إلا الأمين من صدقه^(١) .

٢ - قوله (وبالعدل يحكمهم وبحارب) وهذه صفة رسول الله وتعليمه قال تعالى « ولا يجرمكم شتان قوم على أن لا تعدلوا ، عدلوا هو أقرب للتقوى » أي لا تحملكم عداوة قوم وبغضهم على عدم العدل بل عدلوا .

وقال : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

وكانت حروب رسول الله في غاية العدل والرحمة فقد كان يوصي أصحابه ألا يقتلوا امرأة ولا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا عابداً في صومعته ولا يقطعوا شجرة إلا

للأكل . وكانوا حافظين للوعود والعهود « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » قال تعالى « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » وقال : « وإن عاقبتهم فمعاقوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

٣ - قوله (وعينه كذهب من نار) أي في عينيه حمرة وهذه صفة رسول الله ﷺ فقد كان لا تفارق عينيه حمرة^(٢) .

وفي طبعة الموصول (وكانت عيناه شبه وقيد النار) .

٤ - قوله (وعلى رأسه تيجان كثيرة) أي يستولي على أمم كثيرة فتكون تيجانها له . وهذا الذي حصل لمحمد وصحبه فقد استولوا على تيجان فارس وقيصر وغيرها وقسموا خزائنهما في سبيل الله .

٥ - قوله (وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو) وهذا شبهه بالنص الذي نقلناه سابقاً (ويدعى اسمه عجيباً) أي ليس اسمه من معتاد بني إسرائيل بل أن اسمه ﷺ ليس مما اعتاد العرب التسمية به كما ذكرنا .

٦ - قوله (وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله) يشير إلى الحروب التي أثارها ﷺ وأصحابه من بعده في سبيل الله وإرساء دعائم الإسلام ونشره فهذا إشارة إلى لباس الحرب .

وأما قوله (ويدعى اسمه كلمة الله) فهو - والله أعلم - من وضع المحرفين لأنها تنافض والعبارة السابقة . (وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو) فكيف يذكر هنا أن (اسمه كلمة الله) ؟

ولعل المقصود أن اسمه عليه السلام ألقاه الله وعلمه للأنبياء السابقين في كلماتهم فيكون اسمه على هذا كلمة الله .

٧ - قوله (والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين برأ أبيض

(١) طبقات ابن سعد ١ / ج ١ / ١١٦ ، ٨٣ ، ١٢٠ / ج ٢ / ١٢١ ، وانظر هداية الخياري بهامش ذيل الفارق ١٨ ، ١٩ ، ٢١ .

(١) الجواب الصحيح ٩٩/١

تقياً) يعني أن الملائكة تنصره وتؤيده وتحارب معه وهذه صفة رسول الله فقد نزلت معه الملائكة وأيدته في بدر والأحزاب وغيرها من الوقعات كما ذكر القرآن الكريم .

٨ - قوله (ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم) يشير إلى تعليلاته النافذة التي تشبه السيف .

وفي طبعة الموصل (سيف ماض ذو حدين ليضرب به الأمم) وهذه صفة السيوف العربية كما أسلفنا .

جاء في (الفارق) : « أقول إن هذه الأوصاف لا تصدق إلا على أحمد عليه السلام لأنه حارب وحكم بالعدل وهو المسمى بالصادق الأمين قبل النبوة ويعدها . وعيسى لم يسم بهذا الاسم . ثم نبينا وخلفاؤه استولوا على تيجان الملوك »^(١) .

بَشَارَاتٌ مِنْ إِنْجِيلِ بَرْنَابَا

إنجيل برنابا :

برنابا قديس ممتليء من الروح القدس تجلوه الكنيسة وتعظمه . وهو مذكور في (أعمال الرسل) بالتجلة والإكبار . جاء في (أعمال الرسل) ١١ : « ٢٢ - ٢٤ فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى انطاكية . . . لأنه كان رجلاً صالحاً وممكناً من الروح القدس » .

وجاء فيه ١٢ : « ٢٥ ورجع برنابا وشاول من أورشليم بعدما أكملوا الخدمة وأخذوا معها يوحنا الملقب مرقس » .

وجاء فيه ١٣ : « ٢٥ قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل » .

لهذا القديس إنجيل ينسب إليه ورد اسمه في طائفة الأساجيل الممنوعة قبل الإسلام . جاء في كتاب (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن) (إنجيل برنابا)

« ويقال أن البابا جلاسيوس قد حرم قراءة هذا الإنجيل سنة ٤٩٢ م . يعلن الدكتور شارلس فرنسيس بوتر في كتابه (السنين المفقودة من عيسى تكتشف) « أن إنجيلاً يدعى إنجيل برنابا استبعدته الكنيسة في عهدها الأول . والمخطوطات التي اكتشفت حديثاً في منطقة البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الإنجيل » .

وتوالت بعد ذلك الاكتشافات التي لم يسمع عنها الجمهور لدينا كثيراً ، وهذا هو سر التعجب فالمصادر التي تذكر هذه الأمور - كلها أجنبية غربية - قد ذكرت أن مخطوطاً آخر في الفيوم وآخر في مصر العليا^(١) .

وجاء فيه : « إن الأمر الباباوي الذي أصدره البابا جلاسيوس الذي جلس على

(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ٩٣

(١) الفارق بين المخلوق والمخلوق ٤٠٠

الاربيكة البابوية سنة ٤٩٢ م يبين أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى (إنجيل برنابا) . وفي هذا دليل قاطع على أن هذا الإنجيل كان موجوداً قبل ظهور الإسلام ومشهوراً بين خاصة العلماء^(١) .

إكتشافه :

وجدت نسخة من إنجيل برنابا في جو مسيحي خالص فإن : النسخة الوحيدة المعروفة الآن في العالم التي نقل عنها هذا الإنجيل إنما هي نسخة إيطالية في مكتبة بلاط فيينا . . . وأول من عثر على النسخة الإيطالية عن لم يعف التاريخ أثرهم هو كرمير أحد مستشاري ملك بروسيا . . . ثم انتقلت إلى كرمير طولند ثم أهداها الأخير إلى البرنس أبوجين سافوي .

وجدت النسخة الإيطالية راهب لاتيني يسمى (فرامرينو) وذلك إن هذا الراهب عثر على رسائل لا برينايوس وفي عدادها رسالة بندد فيها بالقدس بولس الرسول وإن ارينايوس أسند تدينه هذا إلى إنجيل القديس برنابا فأصبح من ذلك الحين الراهب (مرينو) المشار إليه شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل .

وانفق أنه أصبح حيناً من الدهر مقرباً من البابا سكس الخامس فحدث يوماً أنها دخلت معاً مكتبة البابا فران الكرى على أجفان قداسه فأحب (مرينو) أن يشغل الوقت بالمطالعة إلى أن يفنى البابا فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو هذا الإنجيل نفسه فكاد أن يطير فرحاً من هذا الاكتشاف فخبأ هذه الذخيرة الثمينة في أحد رديه ولبث إلى أن استفاق البابا فاستأذنه بالانصراف حاملاً ذلك الكنز معه . فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم فاعتنى على أثر ذلك الدين الإسلامي . . .

ثم إنه لم يرد ذكر لهذا الإنجيل في كتابات مشاهير الكتاب المسلمين سواء في الأعصر القديمة أو الحديثة حتى ولا في مؤلفات من انقطع منهم إلى الأبحاث والمجادلات الدينية مع أن إنجيل برنابا أمضى سلاح لهم في مثل تلك المناقشات وليس ذلك فقط بل لم يرد ذكر لهذا الإنجيل في فهرس الكتب العربية القديمة عند الأعراب

(١) حمد، في التوراة والإنجيل والقرآن ١٤٥

أو الأعاجم أو المستشرقين الذين وضعوا فهرس لأندر الكتب العربية من قديمة وحديثة^(٢) .

بشاراته :

تحرم الكنيسة قراءة هذا الإنجيل ولا تعترف به لأنه يقوم على أسس تخالف عقائد الكنيسة تماماً فهو ينكر ألوهية المسيح وأنه ابن الله ويقول هو عبد الله ورسوله ، وينكر الصلب ، ويورد اسم محمد عليه السلام صراحة في كثير من المواضع ومن ذلك على سبيل المثال :

ما جاء في « ٣٩ : ١٤ فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها : لا إله إلا الله ومحمد رسول الله » .

وجاء في الاصحاح الحادي والأربعين : « ٢٩ فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس ٣٠ فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب : لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وفي الاصحاح الرابع والخمسين يتكلم على يوم الحشر إلى أن يقول :

« ٩ ثم يحيي الله بعد ذلك سائر الاصفياء الذين يصرخون : اذكرونا يا محمد » .

وفي « ٩٧ : ١٤ أجاب يسوع أن اسم مسياً عجيب » إلى أن يقول : « قال الله أصبر يا محمد . . . ١٧ ان اسمه المبارك محمد » .

وفي « ١١٢ : ١٧ ولكني متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة » .

وفي « ١٦٣ : ٧ أجاب التلاميذ يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم ؟

٨ أجاب يسوع بابتهاج قلب : انه محمد رسول الله » .

إلى غير ذلك من البشارات المبشورة في هذا الإنجيل .

(١) مقدمة الدكتور خليل سعاده لإنجيل برنابا.

وفي خاتمة البشارات نذكر قولاً للسيد المسيح يضع فيه ميزاناً لمعرفة النبي من الدعي الكذاب . جاء في إنجيل متى في الاصحاح السابع : ١٥ : « احتذروا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بشباب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خائفة . ١٦ : من ثمارهم تعرفونهم . هل يجنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً ؟ ١٧ : هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً رديئة . ١٨ : لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديئة ولا شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة . كل شجرة لا تصنع ثمرأً جيداً تقطع وتلقى في النار . فإذا من ثمارهم تعرفونهم » .

هذا الكلام حق فإن الشجرة الجيدة تصنع ثماراً جيدة والشجرة الرديئة تصنع ثماراً رديئة .

وإذا طبقنا هذا القول على سيدنا محمد وعلى ثماره عرفنا أي منزلة في النبوة يحتلها هذا الرسول العظيم فقد عرف الإنسان بربه تعريفاً لا تجده في دين من الأديان ونزّهه عن التشبيه والتشليل وعما لا يليق وجاء بالخير الشامل والعدل العام والإحسان إلى الخلق أجمعين وغير ذلك من السلوك النبيل العالي والخلق المتين القويم ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وعن كل ما يشين .

وقد ربى أصحابه على هذا الخلق العالي فلا تجد في الإنسانية نماذج أعلى من هذه النماذج بعد أنبياء الله .

ثم قال : كل شجرة لا تصنع ثمرأً جيداً تقطع وتلقى في النار . وعلى هذا فالشجرة التي تصنع ثمرأً جيداً تنمو وتثبت لينتفع بها الخلق وهكذا شجرة الإسلام الثابتة الوارفة الظلال قال تعالى : « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » .

فهذا الميزان الذي وضعه السيد المسيح أثبت لنا أن محمداً في أعلى مقامات النبوة وصحبه من أعلى مقام المؤمنين .

نرجو من الآخرين أن يجتبروا الثمار وما أمر معرفتها بعسير .

كلمة أخيرة

بعد عرض هذه الدلائل العقلية من القرآن والحديث وعرض بشارات الكتب السماوية السابقة . تبين لكل ذي لب بصورة فاطمة أن محمداً نبي أرسله الله إلى الناس كافة بالحق الواضح والقسطاس المستقيم وأيده بالحجة الفاطمية والبرهان المنير . بشرت به الأنبياء وذكرته اسمه ونعته الرسل . وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ليس بعده نبي ولا تشريع حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فالمتبدي من اهتدى بهديه والضال من خاد عن نهجه وقصده .

وإن القرآن كتاب الله العظيم أنزله تبياناً لكل شيء وشفاء لما في الصدور أقام به الحجة على خلقه . فقد جعل فيه من الدلائل العقلية على نبوة محمد ما فيه مقنع لكل ذي لب .

وقد جعل أعلام نبوته لائحة منشورة يهندي بها كل من ابتغى الهدى من خلقه (وانزلنا إليكم نوراً مبيناً) .

وقد ذكرنا طرفاً من هذه الأعلام والدلائل ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب الله فإن فيه ما يقنع العقل وتطمئن إليه النفس ويسكن معه القواد على أن يستعين بالله ويسأله العون والسداد وأن يقرأه بعقل متدبر وقلب متيقظ فإن القرآن يعطيك أضعاف ما تعطيه من نفسك .

ولا بأس أن يستعين بكتب الدلائل فإن فيها مفتاحاً للوالجين وأعلاماً للمسالكين . وأنا واثق بأن الله سبحانه سيؤتي رشد من يبتغي الرشده ويمنح هداً من يطلب الهدى وأنه تعالى سيفتح له ما استغلق ويقود له ما استعصى .

وهذا أمر جدير باطالة البحث والتنقيب وإدامة التدبر والتفكير وأنت إن أفنيت عمرك في سبيله ثم حصلت عليه فما عمرك بفان ولا ما أنفقت عليه بذهاب فإنه أثمن مما أفنيت ، وأعلى مما أبليت ، وأحسن مما أعطيت . فليس ثمة شيء أغلى منه بضاعة

ولا أريج منه شجرة .

وليس في الخاسرين أخير من رجل يحمي القمين .

تأله تعالى العز والساد والمضى والزناد وأن يجعلنا هذه مهدين غير ضالين ولا مضلين .

وأجر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين

مراجع البحث

- القرآن الكريم

- الأجوبة الفاعرة عن الأسئلة الفاعرة للشهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي القراني
طبع بهامش كتاب (القارف بين المخلوق والحالف)

- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة للسيد أحمد صديق حسن خان - مطبعة
المدني - القاهرة

- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي تفتيح السيد أحمد مسرطا
١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م - دار الكتاب الحديث

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر
تحقيق علي محمد البجاوي - مطبعة النهضة مصر

- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير - المكتبة الإسلامية بقطران
- الإحياء في تميز الصحابة لأبي حجر العسقلاني - مطبعة مطعوني محمد مختار

١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م

- أضواء على المسيحية - لثوبان يوسف شلبي ط ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م لشر النصار
الكويتية

- إظهار الحق لرحمة الله بن خليل الرحمن اختصني تحقيق عمر البديوي - مطبعة
الرسالة - مصر

- إعلام النبوة لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي - المطبعة البهية بمصر ١٣١٩ هـ
- الله يتخلل في عصر العلم ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المنجيد - سرحان تشرداوا إخفاء

الكتاب العربية - عيسى البناي الحلبي وشركة

- الانصاف من الكشاف لابن المنير طبع بحاشية (الكشاف) للشيخ شري

- إنجيل برنابا نشر السيد محمد رشيد رضا

- الإنجيل والصلب تأليف الأب عبد الأحد داود طبع بالقاهرة سنة ١٣٥١ هـ

- الباعث الخفي شرح المختار علوم الحديث لابن كثير ط ٣ - مصر

- بحوث في تاريخ السنة المشرفة لآكرم تياح الحسري - مطبعة الارصاد ببغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م
- البداية والنهاية لأبي كثير ط
- تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد علي الخطيب البغدادي لشهداء الكتاب العربي - بيروت
- تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر ١٩٦٤
- ثبت دلائل النبوة لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الشافعي بتحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان - دار العربية بيروت
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع لأبي شامة ط سنة ١٣٦٠ هـ - ١٩٤٧ م
- عمدة نثر السيد عزت العطار الحسيني
- تفسير ابن كثير - طبع بدار إحياء الكتب الغربية
- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد - مؤسسة المطبوعات الإسلامية
- جامع البيان من تأويل أي القرآن تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ط ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٤ م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م
- الجواهر البصريح لمن يدل دهر الشيخ الإسلام ابن تيمية - مطبعة المدني بمصر
- الجواهر البصريح لما يقفه عبد المسيح لأبي البركات نعمان خضر الدين الأندلسي
- الألباني ط - المطبعة الإسلامية - لاهور
- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ط - مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٠ هـ
- دبل الفارق تأليف عبد الرحمن بك باجه جي زاده طبع مع الفارق
- ذيل مرآة الزمان لأبي الفتح موسى بن محمد اليوناني ط - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م
- الرحلة المنزلية للشيخ محمد جواد البلاغي - مطبعة النعمان - النجف ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م

- الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي المطبعة السلفية بمصر ١٣٧٢ هـ
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ط ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي بمصر
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى الباني ط ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م مطبعة المدني بمصر
- السنن الكبرى للبيهقي ط - حيدر آباد الدكن - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٤٧ هـ
- سنن النسائي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر
- سريرة النبي ﷺ لمحمد بن اسحاق - هذا ابن هشام - تحقيق محمد عبد الله عبد الحميد - طبع بمطبعة علي صبيح وأولاده - مطبعة المادني ١٣٥٢ هـ - ١٩٦٣ م
- صحيح البخاري طبع بمطابع الشعب بمصر
- صحيح مسلم - مطبوعات مكتبة ومطبعة عبد علي صبيح وأولاده
- الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ط ١٩٥٨ هـ - مطبعة دار الجهاد
- الفارق بين المخلوق والجالحق تأليف عبد الرحمن بك باجه جي زاده ط - مطبعة التذليل بمصر سنة ١٣٦٢ هـ
- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني الباني ط - طبع بمطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر
- الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة
- فضائل الأنبياء لعبد الوهاب بن محمد ط ١٣٢٧ هـ - ١٩٥٢ م
- كتاب التاريخ المصنوع على التحقيق والتصديق تأليف الطبري أوتشوبوس المكني بسعيد بن الطبري طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩ م
- كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد مفسر عن كتاب طبع في مدينة لندن
- المحرر بمطبعة بريل سنة ١٣٢٢ هـ من منشورات مؤسسة النصر - طهران
- الكتاب المقدس طبع في بريطانيا بمطبعة الجامعة - كامبردج
- الكشف عن حقائق التنزيل لجواد الله الزعزعي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م